المجلـــــة العربيـــــة

"مــــــداد"

دورية - علمية - محكمة - إقليمية - متخصصة

تصدر عن
المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب
(AIESA)

رئيس التحرير

أ.د/ هــــــدى عطية عبد الغفار

مدير التحرير

حســــام شعبان عبدالشافي

العدد الثالث **يوليو** (٢٠١٨) **شوال** (١٤٣٩)

مداد

المجلة العربية مـــداد
دورية علمية محكمة (ربع سنوية)
الترقيم الدولي ISSN 2537-0847
(Online) (ISSN 2537-0898)

الرابط على شبكة الانترنت
https://wp.me/P94dJH-bq

إدارة المجلة غير مسؤولة عن الأفكار والآراء الواردة بالبحوث المنشوره في أعدادها وإنما فقط تقع مسؤوليتها في التحكيم العلمي والضوابط الأكاديمية

طبعت بمطابع مؤسسة دار المعارف بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً)

صدق الله العظيم

سورة النساء : الأية (١١٣)

الهيئة الاستشارية العلمية

شـــــروط النشـــــــــــر

- يجب أن لا يتجاوز البحث المقدم للنشر عن (٥٠) صفحة .
- تكون أبعاد جميع هوامش الصفحة الأربعة (العليا، والسفلى، واليمنى، واليسرى) (٣) سم، والمسافة بين الأسطر مفردة.
- يكون نوع الخط فـي المتن للبحوث العربية (Simplified Arabic)، بحجم (١٣)، وللبحوث الإنجليزية (Times New Roman)، بحجم (١٢).
- يكون نوع الخط فـي الجداول للبحوث العربية (Simplified Arabic)، بحجم (١٢)، وللبحوث الإنجليزية (Times New Roman)، بحجم (١٠).
- تستخدم الأرقام العربية (Arabic...٣-٢-١) فـي جميع ثنايا البحث.
- يكون ترقيم صفحات البحث فـي منتصف أسفل الصفحة.
- يكتب عنوان البحث ، واسم الباحث ، أو الباحثين ، والمؤسسة التي ينتمي إليها، وعنوان المراسلة ، على صفحة مستقلة قبل صفحات البحث. ثم تتبع بصفحات البحث، بدءاً بالصفحة الأولى حيث يكتب عنوان البحث فقط متبوعاً بكامل البحث.
- يراعى فـي كتابة البحث عدم إيراد اسم الباحث، أو الباحثين، فـي متن البحث صراحة، أو بأي إشارة تكشف عن هويته، أو هوياتهم، وإنما تستخدم كلمة (الباحث، أو الباحثين) بدلاً من الاسم، سواء فـي المتن، أو التوثيق، أو فـي قائمة المراجع.
- يتأكد الباحث من سلامة لغة البحث، وخلوه من الأخطاء اللغوية والنحوية.
- توضع قائمة بالمراجع العربية بعد المتن مباشرة، مرتبة هجائياً حسب الاسم الأول أو الأخير للمؤلف (اختياري) ، وفقاً لأسلوب التوثيق المعتمد فـي المجلة.
- لهيئة التحرير حق الفحص الأوّلي للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم، أو رفضه.
- فـي حال قبول البحث للنشر تؤول كل حقوق النشر للمجلة، ولا يجوز نشره فـي أي منفذ نشر آخر ورقياً أو إليكترونياً، دون إذن كتابي من رئيس هيئة التحرير.
- الآراء الواردة فـي البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين فقط، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- يتم تقديم البحوث إلكترونياً من خلال موقع المؤسسة

http://wp.me/P94dJH-9I

أو بريد المجلة الإلكتروني: search.aiesa@gmail.com

محتويات العـدد الثالث

افتتاحية العدد :

بسم الله نبتدئ (وبعد)،

لعل أهم ما ينبغي أن نصدر به العدد الثالث ، تلك الأهداف التي تسعى هذه المجلة جاهدة لتحقيقها، والميادين التي تبتغي كشف معالمها واكتناه مجاهلها. فالمجلة تنذر دفتيها لاستعاب حصاد ما ينبت من بحث علمي جاد في مجال اللغة، والتجربة الإبداعية، والدراسات النقدية، متصلا بمختلف العصور والبيئات، لا سيما تلك المساحة البينية البكر، التي تحتاج إلى مزيد من الجهد.

فقد أحرزت الدراسات اللغوية والأدبية والمنهجيات النقدية في حركتها المرحلية تقدما يوازيه، بل ويشتبك معه، ما تم احرازه في الحقول المعرفية على تنوعها، هذا التداخل والتواشج الذي يحكم منظومة المعرفة في علاقتها باللغة والأدب يستحيل بالضرورة (مدادا) بينيًّا واعدا يثري المنظومة البحثية المتعلقة بالحقلين؛ ومن ثم نتوخى بذل الجهد في سبيل تأصيل النهج البيني الماضي بفاعلية في الفكر المعاصر، وكشف كنوزه القابلة للاستثمار.

ولعلنا بعد ذلك كله إنما نطمح لأن تكون هذه المجلة نتاجا بحثيا بينيا، بمعنى آخر، إذ تضم باحثين ينتمون لمؤسسات علمية وثقافية من مختلف الأقطار المعنية بالعربية؛ سعيا لبناء معرفة تقوم على أساس من التراكم والتكامل.

وختاما، لا بد في هذه الافتتاحية أن نتوجه بالشكر والعرفان للمؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب التي تسعى عبر نوافدها الثقافية وفي مقدمتها المجلة العربية (مداد)، إلى الارتقاء بالثقافة ودفع أشرعة المعرفة.

والله نسأل أن يهيئ لنا من أمرنا رشدا ..

رئيس التحرير

الموسيقى الداخلية في شعر الشريف الرضي

(قصائد المدح نموذجاً)

إعداد

د/عمر سعيد محمد

أستاذ مساعد قسم اللغة العربية

كلية اللغات – جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

استلام البحث : ٢٠١٨/٤/٢٨ **قبول النشر** : ٢ / ٦ / ٢٠١٨

المستخلص :

تطرقت هذه الدراسة لـ(الموسيقى الداخلية في شعر الشريف الرضي، قصائد المدح نموذجاً) وقد بينت هذه الدراسة معنى لفظة موسيقى ودورها في زيادة انتباه المتلقي، ودورها في دخول التجربة الشعرية مجال الفن ، كما بينت المراد بالموسيقى الداخلية وأنواعها من جناس وتكرار وتصدير، مع تعريف هذه الأنواع وتطبيق ذلك في شعر الشريف الرضي. وقد توصلت هذه الدراسة إلى ثراء شعر الرضي في جانب الموسيقى خاصة الداخلية ودور تلك الموسيقى في البناء الفني للقصيدة وهي شرط اساسيّ لذيوع الشعر وسيرورته.

Abstract:

This study tackles the internal music in Sharif Aradi's poetry' it highlighted the meaning of a musical term ' its role in drawing the attention of a listen' its role in introducing the experience of poetry in the field of

music ' it also illustrated what is meant by an internal music ' its types' genas reppratition tasdir and its application in Sharief Alradis' poetry. This study has come up with the following findings; Alradis' poetry is rich in ternal music ' the role of music in artistic bulding of the poem ' it is considered as an essential element for previalance of the poetry.

المقدمة :

الشعر ديوان العرب الذي اذاع مآثرهم، ودون تاريخهم وأيامهم، وهو بحقّ المرآة التي تعكس العصر الذي قيل فيه، ومن أهمّ ما يميزه الوزن والقافية، ويسميان بالموسيقى الخارجية وهي متمثلة في بحور الشعر العربي ولوازم القافية أضف إلى ذلك الموسيقى الداخلية تلك الموسيقى التي تجعل المعنى ماثلاً أمام عينيك، وهذا النوع من الموسيقى لا يتأتى إلا لمن لهم علم بها وينتج ذلك عن اختيار الالفاظ ذات الجرس الموسيقي، وكذلك اختيار الحروف وتناسقها، فإنّ الموسيقى الداخلية تنساب في دواخل النص، لأنها تنبع من التناغم الداخلي للنص الذي يعتمد على ألوان بديعية كالجناس والطباق والتصديروغيرها.

البناء الموسيقي للقصيدة العربية

أوَّلاً– مفهوم الموسيقى:

لفظة موسيقا في أبسط معانيها تعني، مجموعة من الأصوات ربَّما تكون مبهمة لبعض النَّاس، إلَّا أنَّها تترك أثرًا ما في نفوس بعضهم سلبًا أو يجاباً. وقد أثبت الجواليقي في "المعرَّب" لفظة موسيقا في باب أهم الكلمات التي

جاءتْ من اليونانية، فذكرَ أنَّها لفظة يونانيَّة دخلتْ إلى العربيَّة في العصر العباسيِّ عن طريق الترجمة، كما ذكر أنَّها من الألفاظ التي لم تخضع لقواعد التعريب.[١]

وفي المعجم الوسيط ما يؤكد الأصل اليوناني لِلَفظة موسيقا إذ ورد في تعريفها أنَّها: "لفظٌ يوناني يُطلقُ على فنون العزف على آلات الطرب"[٢]

وقد عرَّفَ صاحبُ " قاموس المصطلحات الأدبيَّة واللُّغويَّة" الموسيقا في اللغة والاصطلاح فهي لغةً تعني، "فن تأليف الألحان والغناء والطَّرب. واصطلاحًا تعني، "النَّغم الذي تُشيعه حروفُ الكلمات والتعابير، خاصَّةً الشِّعريَّة منها"[٣]

وللموسيقا دورٌ فعَّال في زيادة انتباه المتلقِّي، كما أنَّها تجعل إحساسه بالمعاني إحساسًا قوياً كأنَّما تَمْثُلُ أمامَ عينيه تمثيلًا واقعيًّا، ثمَّ إنَّها تُضفي على الكلمات حياةً فوقَ حياتها، وتكسو الكلام مظهراً من مظاهر العظمة والأُبَّهة، وتصقله وتهذِّبهُ وتسهِّل وصوله إلى القلب.[٤]

والموسيقا في الشِّعر تتحقق بوجود جملة عناصر متى اكتملت برز الدَّور الإيجابي لها في العمل الأدبي بصورة عامة، وفي القصيدة بصورة خاصة، ولعلَّ أوَّل تلك العناصر وأبرزها النَّغم المنتظم، أي التفعيلات التي تُعطي الإيقاع العام للبحر الذي تظهر موسيقاه بسبب توالي تفعيلاته أو تكرار تفعيلة منها، وثاني تلك العناصر جرس الألفاظ أي ما يحدث من نغم لحسن اختيار الألفاظ وحسن تجاور أصواتها، ومن ثَمَّ تكرارها في البيت الشعري، وقد ينتج عنصر موسيقيّ ثالث نتيجة اندماج العنصرين السابقين وتواليهما في

البيت تلو البيت في القصيدة أو في بعض أبياتها، وربّما في القصيدة كلِّها؛ إنْ أُحسِنَ الوزن والقافية وأحسَنَ الشاعرُ اختيار الأصوات وأحسن تجاورُها"[٥]

وللموسيقا دورٌ واضِحٌ وأهميَّةٌ قصوى في البناء الفني للقصيدة، وتعدُّ أداة توصيل جيِّدة تؤدي عملًا وظيفيا مُهِمّاً للعمل الشِّعري نلمحه في الاتساق بين الألفاظ والمعاني حيناً، وفي الرَّنين الذي يُحدِثُهُ توافق الأوزان والقوافي ممّا يُرَقِّقُ الحس ويُلطِّف النَّفسَ حينًا آخرَ.[٦]

ولأهمية الموسيقا ودورها الفعَّال في العمل الأدبي عدَّها بعضُ النُّقَّاد المحدثين شرطًا أساسيًّا لذيوع الشِّعر وشهرته، يقول صاحب كتاب "قضايا الشعر في النقد العربي" وشرطُ ذيوع الشعر وشهرته أن تستمتع آذان الناس بموسيقاه قبل استمتاعهم بمعانيه ومراميه، فنغمته الموسيقيَّة تَلَذُّ الأسماعَ أيًّا كانت بيئته الاجتماعيَّة."[٧]

وأيضاً للموسيقا دورٌ مهم في دخول التجربة الشعرية في مجال الفن؛ فالموسيقا للشعر بمثابة الألوان للصورة يقول شوقي ضيف:" ولا يوجد شعر بدون موسيقا، وهي فيه تقوم مقام الألوان من الصورة، فكما أنَّه لا توجدُ صورةٌ بدون ألوان كذلك لا يوجد شعر بدون موسيقا وأوزان وأنغام"[٨]

ومن النُّقَّاد من عدَّ الموسيقى بمثابة الحُلى الأصلية التي لا بدّ منها، ولا تظهر حلاوة الشعر دون موسيقاه، فهي من أقوى وسائل إيحائه؛ لما لها من قدرة عالية للتعبير عن خفايا النَّفس وأعماقها التي لا يتأتَّى للكلام العادي التعبير عنها، كما أنَّها من أقوى وسائل الإيحاء تأثيرًا على النفس.[٩]

هذا وقد قسَّمَ المهتمون بالموسيقا الموسيقا الشعريَّة إلى قسمين:

موسيقا خارجيَّة: تتمثَّلُ في أوزان الشِّعر – أي بحوره – وقوافيه.

وموسيقا داخليَّة: تتمثَّلُ غوالبًا في حسن اختيار الألفاظ أو الأصوات وما يحدثُ لهما من تكرار، وفي بعض الأجناس البديعية التي تُعطي نغمًا موسيقيًّا واضحًا كالجناس والطباق وغيرهما.

الموسيقا الدَّاخلية:

الموسيقا الداخلية نوع خاص من الموسيقا لا يتأتّى إلّا لمن لهم علم بها، ويُفهم ممّا قاله النُّقاد بأنّها تنتج من حُسنِ اختيار الألفاظ ذات الجرس الموسيقي، وتعلو وتتضح بحسن اختيار الحروف وتناسقها وتجانسها في تلك الألفاظ. وقد وصف عبد الله التطاوي الموسيقا الدَّاخلية بقوله:" إنّها الموسيقا الخفيّة النّفسية التي تكمن في الألفاظ والأساليب وحسن اختيار التعبيرات لتعبِّر عن التجربة والشعور"[١٠]

وذكر التطاوي أنّها تُكوّن الإطار العام للصورة الشعرية، وأنّ الإيقاع يُعدُّ أهم العناصر التي تتطلبها تلك الصورة ثمّ، أشار إلى أهمية الأصوات في الموسيقا فقال: "فالعامل الصوتي في الشعر يُمثّل جانبًا مهمًا في سياق البنية العامة بل يرتبط إلى حدٍّ ما بتجربة الشاعر"[١١]

بل أرجع التطاوي التزام الشعراء بالتصريع والقافية والروي في الشعر لاستحداث التقطيع الصوتي في كُلِّ بيت من أبيات الشعر.[١٢]

ومن النقاد الذين تحدثوا عن الموسيقا الداخلية وأشاروا إلى بعض عناصرها: محمد زكي العشماوي الذي قال: "وإن كانت الموسيقا الخارجية تتجه نحو الإطار العام للنص الشعري؛ فإنّ الموسيقا الداخلية تتسرب في دواخله لأنّها

تنبع من التّناغم الداخلي للنص الذي يعتمد على عدة ألوان بديعية تزيد من موسيقى الشعر وتقويها كما تنبع من الإيقاع الذي هو عبارة عن النسيج المتآلف من التوقيعات والاشباعات التي يوَلِّدها سياق النّص."[١٣]

هذا وقد تتحقق الموسيقا الداخلية بأحد أنواع التكرار؛ فالتكرار مهما يكن نوعه يؤدي إلى زيادة النّغم وتقوية الجرس.[١٤] وقد تتحقق أحياناً بحسن استخدام بعض الألوان البديعية كالجناس والطباق، وغيرها. يقول كمال بشر: "وقد تنتج الموسيقا الداخلية بتكرار بعض الحروف التي تتسم بصفات تجعلها ذات جرس موسيقي واضح، مثل: الباء والقاف من حروف القلقلة والشِّدة، والشين والسين والصاد من حروف الصّفير، وكالراء من حروف الإذلاق، فتضفي هذه الحروف بتكرارها على البيت الشعري لوناً من الموسيقى"[١٥]

ولعلّ كمال بشر يعني بحروف الإذلاق تلك الحروف السّهلة المخرج والتي تخرج من طرف اللسان، وحروف القلقلة هي التي تتوسط الكلمة وتكون ساكنة فتنطق كأنّها حرفان، وقد جمعها العلماء في عبارة" قطب جد"، وحروف الصفير هي التي تخرج من طرف اللسان واللثَّة العليا.

أنواع الموسيقا الدَّاخليّة:

لقد رأينا أنّ الرضي أولى الموسيقا الخارجية" الوزن والقافية" عناية واضحة ودليل ذلك مجيء معظم مدائحه على البحور الكاملة والقوافي الذُّلل. وبالمثل فقد اهتم الرضي بعناصر الموسيقى الداخلية متمَثِّلة في الجناس، والتكرار والتَّصدير والتّدوير، حيث أكثر الشاعر منها في جميع مدائحه، وفيما يلي نورد بعض النماذج على تلك العناصر مبتدئين بالجناس.

١- الجناس:

ذكر صاحب الصَّناعتين لفظ التّجنيس، وعرّفه بأنه:" أن يُوردُ المتكلم كلمتين تُجانس كلٍّ منها صاحبتها في تأليف حروفها"[١٦]

وقد جاء في قاموس المصطلحات الأدبية واللغوية أنّ الجناس، تشابه الكلمتين لفظاً لا معنى وهو نوعان: تام وهو ما اتفقت فيه اللفظتان في أربعة أمور هي: أنواع الحروف وعددها وهيئتها الحاصلة من الحركات والسَّكنات وترتيبها مع اختلاف المعنى، وغير تام وهو: ما سُمِّي بالجناس الناقص وهو ما اختلف فيه اللفظان في أحد الأمور الأربعة سابقة الذِّكر[١٧]، ومن الجناس عند الرضي قوله من الوافر يمدح بهاء الدولة البويهي:

وما انْتَظم الممالك مثل ماضٍ يَتمُّ له القضاءُ على القضاء[١٨]

في قول الشّاعر "القضاءُ على القضاءِ" جناس، حيثُ تعني الأولى "الحُكم" والثانية معناها" ما يُقَدَّرُ من الأمور".

ومن الجناس قول الرضي يصف الخيل:

وَقُدتَ إليْهِ الخَيْلَ يَسْبُبنَ بالقَنَا ويَسبُبْنَ بَوْغاءَ المَلا والسَّباسِبِ[١٩]

ففي تكرار لفظة" يسببن" في البيت جناس تام فالأولى تعني الطعن، والثانية تعني القطع، ولعل للتكرار اللفظي في قوله: "يسببن" والسباسب" أثرٌ في زيادة نغم البيت.

وفي القصيدة التي مدح بها أباه من المنسرح جاء الجناس في قوله:

فأنتَ يومَ النّوالِ في حُلَلٍ منها ويَوْمَ النّوالِ فِي زَرَدِ[٢٠]

حيث يبدو الجناس التام في تكرار لفظة النَّوال، إذ تعني في صدر البيت العطاء، وفي عجزه النَّصيب من الحرب والغنيمة.

ومن الجناس قوله من السّريع:

عهدُ الحِمى لا أين عهدُ الحِمَى قضى على الصّبِّ جوى وانْقضى[٢١]

الجناس في قوله:" قضى وانقضى"، جناس ناقص، فقضى تعني أودى بحياته. وانقضى تعني: مضى وانتهى.

وبعد أربعة أبيات من البيت أعلاه جاء الرضي بالجناس الناقص مرتين في البيت الواحد، وذلك في قوله:

ما آنَ لِلمَمْطولِ أنْ يَقْتَضِي وَلَا لِذَا المَاطِلِ أنْ يُقْتَضَى[٢٢]

جاء الجناس الأول في قوله:" الممطول والماطِل" فاللفظة الأولى تعني الشخص الذي لم يُوفَ له بالعهد" والثانية تعني الشخص الذي لم يفي بعهده. والجناس الثّاني جاء في قوله:" يَقْتَضي، ويُقْتَضى" فالأولى تعني أخذ الحقِّ له، والثانية تعني أخذ الحق منه.

وفي ذات القصيدة وبعد جملة أبيات لا يكاد يخلو بيتٌ منها من التكرار اللفظي، جاء الشاعر بالجناس في قوله:

قَضَى عَلَى قَلْبِي بإقْلاقِهِ مَا أنَا بِالجَلْدِ عَلَى مَا قَضَى[٢٣].

ففي تكرار لفظة قضى جناس تام، حيث تعني الأولى: القتل وسلْب النفس، والثانية تعني ما قُرِّر وأُصدِرَ بالحُكم.

وبلوغا لِما يَنْشد الرضي من وضوح الموسيقا وأثرها، قد يجيء بالجناس متوالِياً كما سبق، وتأكيداً لذلك نوردُ قوله من الخفيف:

بَيْتُ جودٍ تُكْفَى النّوائِبُ فِيهِ وَجِفانُ القِرى بِــهِ لَيْسَ تُكـفَا
عِنْدَهُ النَّارُ أُوقِدَتْ باليَــلَنجُو جي تُذْكَى عَرْفاً وتُجزَلُ عُرْفاَ[٢٤]

جاء الجناس التام في البيت الأول في قوله: "تُكفى" التي جاءت في صدر البيت بمعنى تُتَّقى، وفي عجزه بمعنى قلب الإناء رأساً على عَقِب، وفي ذلك كناية عن وجود الطعام بها على استمرار، وجانس الشاعر في البيت الثاني بين اللفظتين: "عَرفاً وعُرفاً" فالعرْفُ بفتح العين طيب الرائحة وبضمِّها هو العطاء والكرم.

ومن الجناس الناقص قوله من الطويل، يمدح الطائع لله العباسي:

وَمَن لي بيومٍ شَاحِبٍ فِي عَجاجِهِ أَنَـــالُ بــأَطْــرَافِ الـقَـنَا وأُنَـالُ[٢٥]

وفي البيت جانس الشاعر بين لفظتي "أَنَالُ و أُنَالُ"

وفي قصيدةٍ أُخرى مدح بها الطّائع لله، من المتقارب جاء الجناس الناقص في قوله:

إلَى أَيْنَ خَلْفِيَ أَثْنِي العِنَانَ إذَا مَا وَجَدْتُ أَمَامِي إمَامَا[٢٦].

وقد أكثر الشاعر من التكرار اللفظي والجناس بنوعيه ممّا أضفى على القصيدة نغمًا موسيقيّاً حلواً.

وفي النُّونيَّة التي مدح بها أباه وذكر فيها إحدى مواقعه، والتي بدأها بالفخر بنفسه جاء الجناس في قوله:

عَزْمٌ رَضِيْعُ لِبَانَ أطرافِ القَنَا في حيثُ يَرْضَعُ مِنْ نَجِيعِ لَبَانِ[٢٧]

حيث جاءت لفظة لبان، مكسورة اللام في صدر البيت، ومفتوحة في عجزه، ففي تكرارها جناس ناقص، حيث تعني اللفظة بالكسر الصَّدر، وبالفتح اللبن.

ومن الجناس الناقص قوله من الخفيف:

مِن قُلُوبٍ لَهَا التّقَلُّبُ فِي العَزْ مِ وأيْـدٍ طَـلِيـقَـةٍ بالأيَـادِي[٢٨]

يبدو من الأمثلة المتقدِّمة أنّ الشّاعر استفاد من الجناس بنوعيه كعنصر موسيقي داخلي ووظّفه توظيفاً حسناً في زيادة الجرس والنغم الموسيقي.

٢ – التكرار:

يُعَدُّ التكرار وسيلة من وسائل التَّجربة الشِّعريَّة وبه يتحقق للشاعر قدر من النَّظم والبناء، وقدر لا يُستهان به من النَّغم والموسيقا الدَّاخلية إنْ أحسن الشاعر تكرار الألفاظ أو الأصوات أو أحسن تجاورهما "فاللفظة ليست ظِلَّاً أو معنى وإنّما هي نغمٌ أيضاً، وتأثيرها في النّفس لا يتأتّى بفضيلة المعنى، بقدر ما يفيض من الطّاقة الإيحائيّة التي تنطوي عليها اللفظة في أجراس حروفها وبالتالي في أنغامها"[٢٩]

يكشف نص المعرِّي السابق الدور الذي تلعبه اللفظة، ومن ثَمَّ الأصوات التي تُبْنى منها في البناء الموسيقي إنْ أفلح الشّاعر في حُسْنِ اختيارها وأحسَنَ تجاور حروفها. وقد ذهب بعض النُّقاد المحدثين إلى ما ذهب إليه المعرِّي في تبيين الدور الذي تلعبه الأصوات والحروف في بناء الموسيقا الداخلية، فمصطفى السّعدني ذهب إلى أنّ القصيدة: "توجد في العلاقات بين الكلمات كأصوات ليس إلّا، وإنّ معنى القصيدة إنّما يُثيره بناء الكلمات كأصوات أكثر ممّا يُثيره بناء الكلمات كمعانٍ، وذلك التّكَشُّف للمعنى الذي نشعرُ به في أيّ قصيدة أصلية إنّما هو حصيلة بناء الأصوات"[٣٠].

وتَخَيُّر الأصوات وجودة تراكيبها تُعدُّ من أبرز عناصر الصياغة؛ لذا ذهب بعض النقاد إلى أنّ القصيدة يمكن أنْ تستغني بتخيُّر اللفظ وجودة التركيب عن الصور الخيالية والموسيقا الجيّاشة، إذ إنَّ الألفاظ وأصواتها ودلالاتها وحسن تأليفها يكفي لإنتاج أبدع القصيد وأروعه."[٣١]

والرأي أنّ في ذلك مُغالاة ومجافاة لحقيقة الشعر الذي لا يستغني عن الخيال والصورة فَهُمَا من أقوى وسائل التأثير في المُتلقِّي إنْ وُفِّقَ الشاعر فيهما.

ويرى النّاقد الإنجليزي "جرننج لامبورن" إنْ كان العروض يحكم الموسيقا الخارجية فإنّ الموسيقا الدّاخلية تحكمها قيم صوتية باطنية، وهي أرحب من الوزن والنّظم المُجَرَّدَيْن."[٣٢]

هذا وقد ذكر صاحب المرشد" أنّ للتكرار فائدة تتمثّل في زيادة النغم وتقوية الجرس الموسيقي."[٣٣]

وفيما يلي نُوردُ بعض نماذج التكرار في مدائح الرضي، ومن ذلك قوله من الوافر يمدح أباه:

أَرَابَــكِ مِـنْ مَـشِيبِي مَـا أَرَابَا   وَمَا هَذَا البَيَاضُ عَلَيَّ عَابَا

لَئِنْ أَبْغَضْتِ مِنِّي شَيْبَ رَأسِي   فَـإنِّي مُبغِضٌ مِنْكِ الشَّبَابَا

يَذُمُّ البِيضُ مِنْ جَـزَعٍ مَشِيبِي   وَدَلُّ البِيضِ أَوَّلُ مَـا أَشَابَا[٣٤]

في الثلاثة الأبيات السابقة جاء التكرار في الألفاظ" أرابكِ و أرابا، و"شيب والشبابا" والبيض" ومشيب وأشابا". ثمّ إنّ الشاعر بنى التكرار اللفظي على حروف ذات نغمٍ موسيقي واضح، فالشين حرف تفشّي، والضاد المفخمة كُرِّرَ

خمس مرات، وكُررت الباء المُقلقلة أربع عشرة مرة، كلُّ ذلك أشبع الموسيقا في الأبيات وزاد النغم فيها.

ومن التكرار اللفظي قوله من البسيط:

بِيضٌ وسودٌ بِرأسي لا يُسَلِّطُهَا عَلَى الذَّوائِبِ إلّا البِيضُ والسُّودُ[٣٥]

إلى جانب التكرار اللفظي في البيت وُفِّق الشاعر في تكرار حرف السين ذي الصّفير العالي، ثمّ عنصر موسيقي آخر هو تكرار الجناس في قوله" بيض، والبيض"، وسود والسُّود" فالبيض الأولى تعني الشّيب والثانية تعني حسان النّساء، وأما سود الأولى فتعني سواد الشعر، والثانية تعني المصائب.

ومن التكرار اللفظي في ذات القصيدة قوله:

نِهَايةُ العِزِّ أنْ تَبْقَى لَهُ أبدًا وَغَايَةُ الجُودِ أنْ يَبْقَى لَكَ الجُودُ

وبعد خمسة أبيات من البيت أعلاه قال:

وَمَا كُلُّ بَارِقَةٍ تَحْدُو السَّحَابَ وَلَا كُـلُّ السَّحَـابِ مَبَارِيقٌ مَـرَاعِـيدُ

فقد أكثر الشاعر من التكرار في البيت. ولو تتبعنا القصيدة لوجدنا أثر التكرار اللفظي أو الحرفي واضحًا مؤثِّرًا.

ومن التكرار قوله من الكامل يصف غلمان الممدوح:

وإذا سَرَوْا كَمَنُوا كُمُونَ أراقِمٍ وإِذَا لَقُوا بَرَزُوا بُرُوزَ أُسُودِ[٣٦]

جاء التكرار الحرفي في "الواو وإذا" واللفظي في" كمنوا كمون" وبرزوا بروز". ولا شكّ أنّ توالي مثل هذا التكرار يُضيف إلى موسيقى الوزن والقافية حُسنًا وجمالاً.

وقال من الخفيف:

أيَكُونُ البَخِيلُ غَيْرَ بَخِيلٍ أمْ يَكُونُ الجَوَادُ غَيْرَ جَوَادِ[٣٧]

كرّر الشاعر معظم ما جاء من مفردات الشّطر الأول في الشّطر الثّاني مما كان له أثر موسيقي واضح في البيت.

وقال من المنسرح:

قَلُّوا عَلَى كَثْرَةِ العَدُوِّ لَهُمْ وَكَمْ عَدَدٍ لَا يُعَدُّ فِي العَدَدِ[٣٨]

استفاد الشاعر من التكرار اللفظي فجعله في الشّطر الأخير حتى يُشبع النّغم ويُقَوِّي القافية مُستفيدًا من صوت الدّال الواضح القلقلة.

ومن الموسيقى التي لا تخفى حلاوتها ما نتج عن تكرار حرفي النون والياء، والتكرار اللفظي للفظة" البيد" في قول الشاعر من البسيط:

بَيْنِي وَبَيْنَ المُنَى أنِّي أقُولُ لَهَا بَيْنِي وَبَيْنَكِ قَطْعُ البِيدِ وَالبِيدِ[٣٩]

والشريف الرضي له مقدرة واضحة في جمع كل ما يُمكن أن يؤدي إلى تقوية الموسيقى وإبرازها، نلمحُ ذلك في قوله في أبيات من القصيدة السّابقة:

يَا بنَ الحُسينِ وَمَا دَعْوَايَ كاذبةٌ إذَا نَسَبْتُكَ فِي الشُّمِّ المَنَاجِيدِ

الطَّاعِنِينَ مِنَ الأعْدَاءِ مَا لَحِقُوا والخَيْلُ تَلْطِمُ هَامَاتِ الصَّيَاخِيدِ[٤٠]

مُعَوَّدُونَ مِنَ الأيّامِ مَرْتَبَـــةً لا يَسْتَطِيلُ إلَيْهَا كُـلُّ صِنْـدِيـــدِ[٤١]

إضافة إلى ما في البسيط من حلاوة النّغم وقوة الجرس، وُفِّقَ الشاعر إلى حُسْنِ اختيار القافية، وأحسبُ أنّه أحسنَ اختيار الحروف وأحسن تجاورها، ففي البيت الأول مثلًا، جاء بـ: "السين والشين والذال" وجميعها يتصف بصفير واضح، وفي البيت الثاني اعتمد حروفًا قريبة المخارج وكرّر بعضها، كـ: "العين

والقاف والحاء"، وجاء في البيت الأخير بـ: "السين والصاد" ولا شكّ أنّ توالي تلك الحروف كسا الأبيات نغماً لا يَخفى.

وبعد بيتين فقط قال:

هُمُ الضُّيوفُ لأرضٍ غَيْرِ آهِلَةٍ مِنَ الأنِيسِ وَوِرْدٍ غَيْرِ مَوْرُودِ
فَأَنْتَ أبْسَطُهُمْ بَاعاً إذَا بَسَطُوا أيْـدِيـهِـمُ لِـوَعِـيدٍ أوْ لِمَوْعُودِ

وأدّى تكرار النون الساكنة ثلاث مرات في البيت الأول ومرتين في الثاني إلى وضوح النغم في البيت أضف إلى ذلك التكرار الحرفي واللفظي في الأبيات. كلُّ ذلك يؤكّد مقدرة الشاعر على حشد عناصر الموسيقى الدّاخلية في الأبيات منفصلة أو في القصيدة كلّها.

وقال يمدح خالَه من البسيط:

أَنْتَ الـمُـؤَدِّبُ أخْـلَاقَ الـسَّحَـابِ إذَا ضَنَّتْ بِـدَرّتِـهَا العَرَّاصَةُ الـهُـمُـرُ[٤٢]
مِنْ بَعْدِ مَا اصْطَفَقَتْ فِيهَا صَوَاعِقُهَا وَشَاغَبَ البَرْقَ فِي أطْرَافِهَا المَطَرُ

حيث وُفّقَ الشاعر في استخدام صوت الراء التكراري الذي كَرّره ثلاث مرات في كلا البيتين ثمّ كرّر الباء ذا القلقلة في البيت الأول، والقاف والصاد في البيت الثاني، ولا يخفى ما لهما من حُسْنِ نغم، فجميع هذه الحروف ساعدت في تقوية وتكثيف الموسيقا في الأبيات.

ولعلّ من الواضح ما أدّاه تكرار صوت الراء من موسيقى في قول الشاعر من البسيط:

صَرَفْتُ نَفْسِي عَنْكُمْ وَهْيَ غَانِيَةٌ وَالنَّفْسُ تُصْرَفُ أَحْيَاناً فَتَنْصَرِفُ[٤٣]

لعلّ التكرار اللفظي في "نفس والنّفس" والتصدير في قوله:" صرفتُ" في صدر البيت، و"تنصرف" في عجزه أدّى إلى زيادة الموسيقا في البيت.

وبعد أبيات قليلة من ذات القصيدة قال:

تَنَظَّرِ الصُّبْحَ إنَّ الصُّبْحَ مُنْتَظَرٌ   والفَجْرُ يُعْرِبُ عَمّا أعْجَمَ السَّدَفُ

جمع الشاعر التكرار بنوعيه في البيت، ولا شكّ أنّ توالي مثل هذه العناصر الموسيقية في الأبيات ومن ثَمّ في القصيدة، تُعطي نغمًا قويًّا ومؤثِّرًا في النّفس.

وفي القصيدة التي مدح بها الرضي سلطان الدولة، نجد أنّ الأثر النّغمي واضحٌ فيها؛ لِتوالي التكرار اللفظي أو الصّوتي، ونمثّل لذلك بقوله من الخفيف:

يَا عِمادَ الدِّينِ الّذِي رَفَعَ المَجْـ   ـدَ وَقَدْ مَالَ بِالعِمَادينِ ضُعْفَا

وَمُغِيثَ الأنَامِ وابنَ مُغِيثِ الخَلـ   ـقِ طَوْدٌ رَسَـا وطَوْدٌ تعَفّى

ومُجَارِي الزّمانِ خَطْباً فَخَطـباً   سَابِقاً خَطَوهُ وصَرْفاً فَصَرْفَـا

أنْتَ ثَانِي جِمَاحِهَا يوْمَ لا يَمْـ   ـلِكُ كَفٌّ لِجَامِحِ الخَطْبِ كفّا[٤٤]

وفي البيات أعلاه جمع الرضي جملة عناصر موسيقية كالتكرار في أكثرها، والتدوير في ثلاثة أبيات منها، والتنوين في البيتين الثاني والثالث ثُمّ الجناس في قوله: "كَفًّا فكفّا" حيث تعني اللفظة الأولى الجزء من اليد، والثانية تعني الحرمان والمنع.

ومن قبيل التكرار المتوالي الذي يضيف للأبيات موسيقا واضحة قول الشاعر من الطويل:

يَقَرُّ بِعَينِي أنْ أَرُوحَ مُـحَسَّـدًا   فَـمَا حَسَدَ الحُسَّادُ غَيْرَ نَبِيـلِ

وَمَا صَافَحَتْ يَوماً يَدِي يَدَ غَـادِرٍ   وَلَا ضَاقَ خُلقِي عَنْ مُقَامِ نَزِيلِ

وأوّلُ لُؤْمِ الـــمَرْءِ لـؤمُ أُصُولِـــهِ وأوّلُ غَدرِ المَرءِ غَـدْرُ خَـلِيــلِ[٤٥]

ونختم الحديث عن التكرار بأنّه جاء متنوعا عند الرضي، حيثُ شَمِلَ تكرار الجملة واللفظ والحرف، وأنّ الشاعر وُفّقَ فيه إذ جاء به متواليا في أغلب الأحيان- وقد أثبتت النماذج ذلك- وعضَّده بكثير من مدائحه بعناصر الموسيقى الأخرى، كالجناس والتدوير وغير ذلك.

٣- التصدير:

يعدّ التصدير من عناصر الموسيقا التي اعتمدها الشعراء في تقوية الموسيقا الداخلية وأشار النقاد إلى حسنه وقد عرّفه صاحب "البديع في نقد الشعر" بأن "ترد كلمة من النصف الأوّل من البيت في النصف الثاني منه"[٤٦] وعرّفه ابن رشيق بقوله: " أن يُردّ أعجاز الكلام على صدوره فيدلّ بعضه على بعض"[٤٧]، وهو يرى أنّه يكسب البيت أبّهة ويكسوه رونقاً وديباجة ويزيده ماء وحلاوة.

وفيما يبدو أنّ ابن رشيق وسّع ضيّقاً حين جعل مفهوم التصدير أن يأتي في صدر البيت وعجزه ما يجعل الكلام متصلاً في المعنى، وهذا ما لا نلمحه في ما ذكره صاحب "البديع" الذي قرر بأن ترد كلمة في صدر البيت ومن ثمّ ترد في عجزه، ويقرب مفهوم صاحب "الايضاح" للتصدير ممّا ذكره صاحب "العمدة" إذ عرّف القزويني التصدير بقوله وهو في النثر" أن يجعل أحد اللفظين المكرّرين، أو المتجانسين، أو الملحقين بهما، في أولّ الفقرة، والآخر في آخرها كقوله تعالى: (وتخشى النّاس واللهُ أحقُّ أن تخشاه)[٤٨] وهو في الشعر أن يكون أحدهما في آخر البيت، والآخر في صدر المصراع الأوّل أو حشوه، أو آخره، أو صدر الثاني"[٤٩]. كقول امرئ القيس:

إذَا المَرءُ لَمْ يخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ فَلَيْسَ عَلَى شَيءٍ سِواهُ بِخَزّانِ[٥٠].

وفيما يلي نورد بعض النماذج ممّا جاء في التصدير في مدائح الشريف الرضي. قال الشاعر من الكامل:

التصدير في قوله من الطويل:

وطَوَيْتُ مَا بَعُدَتْ مَسَافَةَ بَيْنِنا إنَّ الـبَعِـيـدَ إلَيْكَ غَيْـرُ بَعـيدِ[٥١]

ونلمح التصدير في جملة "غير بعيد" التي تبيّن معناها من جملة "ما بعدت مسافة" في صدر البيت، وبعد أبيات قليلة قال خاتماً هذه الدالية:

وَسَمَحْتُ بِالمَوْجُودِ عِندَ بَلَاغَتِي إنِّـي كَـذَاكَ أَجُودُ بالمَوْجُودِ

ما يلفت النظر أنّ الشاعر حين يستخدم التصدير يجئ به تباعاً ولعلّ الرضي يريد بذاك إشباع النغم وعلوّه، ومن ذلك قوله من الطويل:

فَطِبْ عَنْ بُلُوغِ العِزّ نَفْساً لَئِيمَةً فَمَا لِلعُلى إلّا النُّفُوسِ النَّفَائِسُ[٥٢]

لقد دلّ معنى الشطر الأوّل من البيت على معنى الشطر الثاني منه؛ إذ إنّ العلى سمة من سَمَتْ نفسه وليس من لَؤُم طبعه، وبعد جملة أبيات وصف آل الممدوح بالشجاعة فقال:

ومَا جَالَسُوا إلّا السُّيوفَ مُعَدّةً لِيَومِ الوَغَى والمَرْءُ مِمّنْ يُجَالِسُ[٥٣]

حيث دلّ معنى صدر البيت على معنى عجزه ممّا جعل الكلام متصلاً، وقد جاء التصدير في آخر أبيات هذه السينية متوالياً فادّى ذلك إلى وضوح الموسيقا يبدو ذلك في قوله:

فَجَـدِّدْ يَـداً عِنْدِي يُـرَفُّ لِبَـاسُـهَا فَـقَـدْ أخْـلَقَـتْ تَلْكَ الأيـادي الـلَّبَـائِسُ

وَبَابُكَ أوْلَى بِي مِنَ الأرْضِ كُلّهَا فَحَـتَّـام لِـي عَنْ قَـرْعِ بَـابِكَ حَـابِسُ

وأقْسِـمُ لَـوْ لَا أنّ دَارَكَ فَـارِسٌ　　لِـمَا انْتَصَفَتْ مِنْ أرْضِ بَغْدَادَ فَـارِسُ[٥٤]

جاء لتصدير في البيت الأوّل من حيث دلالة صدره على معنى عجزه، وفي البيت الثاني دلّ قوله "وبابك أوْلى" على قوله "قرع بابك حابس"، وفي البيت الأخير دلّت لفظة فارس في صدره على "فارس" في عجزه. والتصدير وإن كان فيه شيء من التكرار إلّا أنّ الرضي لا يلجأ في الغلب إلى تكرار اللفظة بعينها بل يعتمد دلالة المعنى، نلمح ذلك في قوله من السريع:

لَا تُعَطِّشِ الزَّهْرَ الّـَذِي نَبْتُـهُ　　بِصَـوْبِ إنْـعَـامِـكَ قَدْ رَوَّضَا

لَا تَبْرِ عُـوداً أنـْتَ رَيّـشْتَـهُ　　حَاشَا لِبَانِي المَجْدِ أنْ يَنْقُضَا

لَوْ عُوَّضَ الدُّنْيَا عَلَى عِزِّهَا　　مِنْـكَ لِـمَـا سُرَّ بِـمَا عُـوّضَا[٥٥]

ولعلّ في البيت الثاني تصديراً؛ فلمّا كان أنّ من يبني بيتاً يستبعد أن يهدمه طلب الشاعر من الممدوح ألّا يقطع إحسانه عنه، مُكنّياً عن ذلك بقوله: "لا تبر" البيت. ثمّ جاء التصدير في البيت الثالث لورود كلمة "عوّض" مرّة في صدره ومرّة في عجزه.

وبعد أبيات قليلة قال :

وَكَيْفَ لَا أبْكِي لإعْرَاضِ مَنْ　　يُعْرِضُ عَنِّي الدَّهْرُ إنْ أعْرَضَا[٥٦]

وممّا وقع فيه التصدير قول الشاعر من الكامل:

يَوْمٌ تَزِلُّ بِهِ القُلُوبُ مِنَ الرَّدَى　　جَزَعَاً وَأحْرَى أنْ تَزِلَ الأرْجُلُ[٥٧]

يبدو التصدير في دلالة معنى عجز البيت على صدره، إذ إنّ المعنى أنّ اليوم الشديد الذي تَزِلّ فيه القلوب أحرى بأنْ تزلّ فيه الأرجل.

وقال من الطويل:

أَرَادُوكَ بِالأَمْرِ الجَلِيلِ وإنّمَا يُصَادِمُ بِالأَمْرِ الجَلِيلِ جَلِيلُ[٥٨]

وأحياناً يلجأ الرضي إلى التصدير كعنصر موسيقي لزيادة النغم، ويأتي به متتابعاً في القصيدة نرى ذلك في العينية التي مدح بها الملك أبا شجاع فناخسرو حين انتقل إليه المُلْك بعد موت أبيه، فقال الشاعر من الكامل:

تَمْضِي العُلَى وإلَى ذَرَاكُم تَرْجِعُ شَمْسٌ تَغِيبُ لَكُمْ وأُخْرَى تَطْلُعُ

إنّ الصَّفا العَادِيّ يُقْرَعُ بالأذَى مِنْ غَيْرِكُمْ وَصَفَاكُمُ لَا يُقْرَعُ[٥٩]

فمثلما أنّ طلوع الشمس وغروبها صفتان ملازمتان لها، ذلك شأن العلى في ملازمته لآل الممدوح فإن مضى لا بد أنّه عائد، ولعلّ في ارتباط المعنى في عجز البيت وصدره تصديراً ،وفي البيت الثاني تصدير لتكرار لفظة " يقرع"، وبعد بيتين فقط قال الرضي :

عَيْنَانِ عَيْنٌ لِلْمَزِيدِ قَرِيرَةٌ مِنَّا وعَيْنٌ لِلنَقِيصَةِ تَدْمَعُ

وإذَا اطْمَأنَّ مِنَ العَطِيَّةِ مَضْجَعٌ يَوماً أغَضَّ مِنَ الرَزِيَّةِ مَضْجَعُ

هنا يقرّ الشاعر حقيقة أنّ الإنسان إذا ما فرح يوم سيأتي يوم يبكي فيه، هكذا حال الدنيا ففي ارتباط عجز البيت بصدره تصدير، ولعلّ التصدير في البيت الثاني واضح

وبعد جملة أبيات قال:

وَحَفِظْتُ مَا اسْتَوْدَعْتُ مِنْ نَعْمَائِكُمْ إنَّ الوَفَاءَ أَمَانَةٌ تُسْتَوْدَعُ

وبعد بيت واحد قال:

وَسَلِيلِ مُحْصَنَةِ العُلَى فِي حِجْرِهَا مُسْتَوْدَعٌ وَبِدَرِّهَا مُسْتَرْضَعُ

تَحْنُوا المُلُوكُ عَلَيْهِ مِنْ جَنَبَاتِهِ كَالقَلْبِ حَانِيَةٌ عَلَيْهِ الأضْلُعُ[٦٠]

فهذه الأمثلة من التصدير كما اتضح جاءت متوالية في قصيدة واحدة، ومثل ذلك كثير في بقية قصائده المادحة، ولعلّ الرضي أراد من ذلك علو النغم فيها.

٤ – التدوير:

التدوير أن يشترك شطرا البيت في لفظة فيجيء بعضها في الشطر الأوّل وبعضها الآخر في الشطر الثاني، وترى نازك الملائكة أنّه يضفي على البيت غنائية وليونة لأنّه يُمدّ ويطيل نغماته[٦١].

ومن الأمور الملاحظة على التدوير في مدائح الرضي ما يلي:

١- أنّ أكثر مدائح الشاعر التي نظمت على أوزان البحور التامة خلت من التدوير، وعلى سبيل المثال أنّ أطول[٦٢] قصيدة مدح تجاوزت أبياتها التسعين بيتاً وهي من الطويل لم يجيء التدوير في أيّ بيت منها، كما خلت قصيدتان[٦٣] أخريان من الطويل من التدوير وقد بلغت كل واحدة منها ثلاثة وسبعين بيتاً. وبالمثل خلت قصيدتان[٦٤] جاءتا على وزن الكامل من التدوير وقد تجاوز عدد أبيات الأولى الثمانين بيتاً وتجاوز عدد أبيات الثانية السبعين بيتاً، وقد جاء التدوير في بيتين فقط في قصيدة[٦٥] له من الكامل بلغ عدد أبياتها الثمانين بيتاً.

وإذا نظرنا في بحر الوافر وجدنا أنّ ثلاث قصائد[٦٦] ممّا نُظم عليه خلت من التدوير، وقد تجاوز عدد أبيات اثنتين منها السبعين بيتاً وجاءت الثالثة في ستّة وستين بيتاً، وبالرجوع إلى بحر البسيط الذي نظم عليه الشاعر إحدى عشرة قصيدة، والتي تراوح عدد أبيات كل واحدة منها ما بين الأربعين إلى الستين بيتاً ما عدا واحدة جاءت في خمسة وعشرين بيتا خلت جميعها من التدوير.

٢- كثر التدوير بصورة واضحة في وزن الخفيف عند الشاعر، يؤكّد ذلك أنّ الرضي نظم على بحر الخفيف خمس قصائد تراوح عدد الأبيات في أربعة منها ما بين الخمسة والثلاثين والستين بيتاً، وقد وقع التدوير في كل واحدة منها بواقع أكثر من عشرين بيتاً، والقصيدة الخامسة جاء التدوير في ثمانية وعشرين بيتاً من جملة أبياتها البالغ ستة وأربعين بيتاً، والراجح أنّ إكثار الشاعر من التدوير في وزن عُرف عنه تدفّق الأنغام وتلاحقها؛ هدف منه إلى زيادة الجرس وتقويته.

٣-أكثر الشريف الرضي من التدوير في مجزوءات البحور، ففي مجزوء الرمل مثلاً نظم قصيدتين[٦٧] تجاوز عدد أبيات كل منها الستين بيتاً، جاء التدوير في واحد وثلاثين بيتاً من الأولى، وفي ستة وثلاثين بيتاً من الأخرى، وكما نظم قصيدتين[٦٨] من مجزوء الرجز تجاوزت أبيات كل منها الثمانين بيتاً جاء التدوير في الأولى في ثلاثة وثلاثين بيتاً، وفي الثانية وقع التدوير في خمسة وعشرين من أبياتها ،وفي قصيدة[٦٩] له من مجزوء الكامل وقع التدوير في أكثر من نصف عدد أبياتها البالغ واحداً وخمسين بيتاً، هذا وقد تجاوز التدوير ثلث أبيات قصيدة[٧٠] للشاعر نظمها على مجزوء الوافر.

ممّا تقدّم نرى أنّ الشاعر لم يكثر من استخدام التدوير كعنصر موسيقي في البحور الكاملة بقدر استخدامه له في البحور القصار والمجزوءات، وفيما يلي بعض النماذج ممّا جاء فيه التدوير في مدائح الرضي.

قال الشاعر من الخفيف:

هِمّةٌ كَالسَّمَاءِ بُعْداً وَكَالـرِّ يـحِ هُـبُوباً فِي كُـلِّ شَرْقٍ وَغَرْبِ

وَنِزَاعٌ إلَى العُلَى يَفْطِمُ العِيـ سَ عَنِ الوِرْدِ بَيْنَ مَاءٍ وعُشْبِ

رُبَّ بُؤسٍ غَدَا عَلَيّ بِنَعْمَا ءَ وَبُعْدٍ أفْضَى إلَيّ بِقُرْبِ[٧١]

حيث نرى أنّ التدوير جاء متوالياً في الأبيات كما أكثر الشاعر من التنوين فيها حيث كُرِّره أربع مرات في البيت الأوّل ومرّتين في البيت الثاني والثالث كلّ ذلك من شأنه أن يكثف من الموسيقا ويقوّيها، وبعد بيتين فقط جاء الشاعر بالتدوير في قوله:

أَمُقَاماً أَلَذُّ فِي غَيْرِ عَلْيَـا ءَ وَزَادِي مِنْ عِيشَتِي زَادُ ضَبِّ

دُونَ أنْ أتْرَكَ السُّيُوفَ كَقَتْلَا هَا رَزَايَا مِنْ حَرّ قَرْعٍ وَضَرْبِ

وبعد ستّة أبيات لم يخل بعضها من التدوير جاء التدوير يتبع بعضه بعضاً في قوله:

عَزَّ شِعْرِي إلّا عَلَيْكَ وَمَازَا لَ عَزِيزاً يَأْبَى عَلَى كُلِّ خَطْبِ

أيّ نَدْبٍ مَا بَيْنَ بُرْدَيْكَ والدَّهْـ رُ أَجَذُّ اليَدَيْنِ مِنْ كُلّ نَدْبِ

بَيْنَ كَفٍّ تَقِي المَطَامِعَ والآمَا لَ أوْ ذَابِلٍ يُغِيرُ وَيَسْبِي[٧٢]

ولا تبرير لإكثار الشاعر من التدوير بهذه الصورة إلّا لعلو النغم وزيادته في القصيدة كلها، ففي هذه البائية وقع التدوير في واحد وعشرين بيتاً، حيث جاء به الشاعر بعد بيتين فقط من الأبيات السابقة في سبعة أبيات متتالية[٧٣].

وهكذا يبدو أنّ الشاعر حين يعتمد التدوير عنصراً موسيقاً نراه يكثر منه، ففي رائية له من الخفيف وقع التدوير في أربعة وعشرين بيتاً من جملة أبياتها البالغ ثلاثة وخمسين بيتاً، وقد جاء في سبعة أبيات منها يتلو بعضه بعضاً،

ويدل على إكثار الرضي من التدوير الرائية التي مدح بها والده من مجزوء الكامل والتي مطلعها :

نَطَقَ اللِّسَانُ عَنِ الضَّمِيرِ والبِشْرُ عُنْوَانُ البَشِيرِ [٧٤]

هذه القصيدة جاءت في تسعة وستين بيتاً جاء الشاعر بالتدوير في واحد وأربعين بيتاً منها، ولعلّ مجيء التدوير فيما يُقارب ثلثي القصيدة نلمح فيه اعتماد الرضي على التدوير كعنصر موسيقي مؤثّر.

الخاتمة :

يعدّ الشعر مرآة تعكس صورة الحياة بكل جوانبها ويعدّ توثيقاً أميناً للحوادث والتاريخ وهو مقيد بقيود الوزن والقافية(الموسيقى الخارجية) وكذلك بموسيقى من نوع آخر(الموسيقى الداخلية) وقد تناولت هذه الدراسة الموسيقى الداخلية في شعر الشريف الرضي ،قصائد المدح)وقد خلصت هذه الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

١-أهمية معرفة الموسيقى الداخلية للحكم على جودة الشعر وعلوّ شأنه،

٢-ثراء شعر الرضي من الناحية الموسيقة(الداخلية) خاصة قصائد المدح.

٣-من أراد معرفة الموسيقى الداخلية فعليه إجادة علم البلاغة(البديع) وكذلك معرفة صفات الحروف.

المراجع :

[1] المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، موهوب بن أحمد بن محمد المشهور بالجواليقي، تحقيق د. عبد الرحيم، دار القلم، دمشق،ط١، ١٩٩٠م، ص٥٦.

[2] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ج.م. ع. مادة موسيقى ج ٢ ص٩٢٧

[3] قاموس المصطلحات الأدبية واللغوية، أميل يعقوب وآخرون، ص٣٨٠.

[4] المرشد، عبد الله الطيب، ج،١ ص٩٣. والشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه، محمد النويهي، الدار القومية للنشر، القاهرة، ج١ ص٣٩.

[5] المرشد، ج١، ص٩٣.، والشعر الجاهلي، د. محمد النويهي، ج١، ص٣٩

[6] قصيدة المدح العباسية، عبد الله التطاوي، ص٣٥٧.

[7] قضايا الشعر في النقد العربي، إبراهيم عبد الرحمن، مكتبة الشباب، القاهرة ١٩٧٧م، ص٦٠، وقصيدة المدح، ص٣٧٤.

[8] في النَّقد الأدبي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٥، د.ن، ص٩٧.

[٩] الأدب وقيم الحياة المعاصرة، محمد زكي العشماوي، الهيئة العامة للكتاب القاهرة، ط٢، د.ن ص ٤٣٤- ٤٣٥.

[١٠] قصيدة المدح العباسية، عبد الله التطاوي، ص٣٧٥

[١١] المرجع السابق، ص ٣٧٤.

[١٢] قصيدة المدح العباسية، ص٣٧٥.

[١٣] قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، محمد زكي العشماوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، ١٩٨٣م، ص٤٧.

[١٤] المرشد، عبد الله الطيب، ج٢ ص١٢٦.

[١٥] الأصوات العربية، كمال بشر، مكتبة الشباب القاهرة، ١٩٨٧م، ص٨٧.

[١٦] الصناعتين، لأبي هلال العسكري، ص٣٢١.

[١٧] قاموس المصطلحات الأدبية واللغوية، لإميل يعقوب وآخرين، ص١٧٤.

[١٨] ديوان الرضي، ج١ ص٦٠.

[19] يسببن بالقنا: يطعن بالقنا: يسببن الثانية: يقطعن. البوغاء الأرض الرخوة، الملا: الصحراء. السباسب: القفار. ديوان الرضي ، ج١ص١٤٨.

[20] الزرد: الدروع. الديوان، ج١ ص٣٦١

[21] ديوان الرضي، ج١ ص٥٨٨.

[22] المصدر السابق، ج١ ص ٥٨٩.

[23] الديوان، ج١، ص٥٨٩

[24] اليلنجوجيّ: عود البخور. ديوان الرضي ، ج٢ ص٩

[25] ديوان الرضي، ج٢ ص١١١

[26] المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٧١.

[27] المصدر السابق، ج٢، ص٤٣٧.

[28] المصدر السابق، ج١، ص٣٥٥.

[29] الفصول والغايات، المعري، ج١ ، ص٢٦٧.

[٣٠] البنية الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، مصطفى السعدني، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ن ص٣٨.

[٣١] الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث، مصطفى عبد اللطيف السّحرتي، مطبعة تهامة، جدة، ط٢، ١٩٨٤م، ص١٠٧.

[٣٢] المصدر السابق ص٥٢.

[٣٣] المرشد، عبد الله الطيب، ج١، ص٥٨.

[٣٤] ديوان الرضي، ج١، ص١٥٠.

[٣٥] المصدر السابق، ج١، ص٣٣٢.

[٣٦] ديوان الرضي، ج١، ص٣٤٨.

[٣٧] ديوان الرضي، ج١، ص٣٥٦.

[٣٨] الديوان، ج١، ص٣٦٠

[٣٩] المصدر السابق، ج١، ص٣٧٠

[٤٠] الصياخيد: الواحد صيخود، الصّخرة الشديدة.

[٤١] ديوان الرضي، ج١، ص ٣٧١.

[٤٢] العراصة: السحابة ذات البرق والرعد. الهَمِر: السَّيالة. اصطفقت: تصادمت. ديوان الرضي، ج١ ص٤٩٤.

[٤٣] ديوان الرضي، ج٢، ص٦.

[٤٤] ثاني جماحها: متغلب على عصيانها واندفاعها. الكفّ الثانية: المنع. ديوان الرضي، ج٢ ، ص ٨- ٩.

[٤٥] ديوان الرضي، ج٢، ص١٣٣.

[٤٦] البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، ص ٥٧.

[٤٧] العمدة، ابن رشيق، ج٢، ص٣.

[٤٨] الأحزاب، آية ٣٧.

[٤٩] الايضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني جمال الدين محمد بن عبد الرحمن ،شرح وتحقيق، أ. د محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، طبع١، سنة ٢٠٠٦م ص ٤١٥-٤١٦.

[٥٠] ديوان امرئ القيس، شرح وتعليق د. محمد الإسكندراني، د. نهاد رزوق، الناشر، دار الكتاب العربي ، بيروت– لبنان، طبع سنة٢٠٠٧م.

[٥١] المصدر السابق، ص٣٤٩.

[٥٢] ديوان الرضي، ج ١، ص٥٦٧.

[٥٣] المصدر السابق، ج١، ص٥٦٨ .

[٥٤] المصدر السابق، ج ١، ص٥٧١.

[٥٥] ديوان الرضي، ج١، ص٥٨٩.

[٥٦] ديوان الرضي، ج١، ص ٥٩٠.

[٥٧] المصدر السابق، ج ٢، ص١٣٧

[٥٨] ديوان الرضي، ج٢، ص١٤٣.

[٥٩] المصدر السابق، ج١، ص ٦١٢.

[٦٠] ديوان الرضي، ج٢، ص٦١٥.

[61] قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، مكتبة النهضة المصرية القاهرة،ط٣ سنة ١٩٦٧م ص ٩١.

[62] ديوان الرضي، ج ٢، ص٥٠١- ٥٠٧.

[63] ديوان الرضي، ج١، ص١٣٢. و ص ٣٤١.

[64] ديوان الرضي، ج١، ص٣٤٥. و ج ٢، ص٢٨٨.

[65] المصدر السابق ج٢، ص٢٨١.

[66] ديوان الرضي، ج٢ ص٤٦٨. وج١ ص ١٥٠. و ص٦٠.

[67] ديوان الرضي، ج١، ص١٠٦. وج٢، ص٢٣٨.

[68] ديوان الرضي، ج٢ ص١١٩. وج١، ص٤٥١.

[69] ديوان الرضي،ج٢، ص٢٩٢ .

[70] ديوان الرضي، ج١، ص٤٨٨.

[71] ديوان الرضي، ج١، ص ١٠٠.

[٧٢] ديوان الرضي، ج١ ص١٠١.

[٧٣] ديوان الرضي، ج١، ص ١٠١– ١٠٢.

[٧٤] ديوان الرضي، ج١ ص ٤٦٣.

من البلاغة القرآنية في قصة أصحاب الجنة في سورة القلم

إعداد

د/ عبدالله بن سعد بن محمد الرويس

الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية

كلية التربية بمحافظة الدوادمي – جامعة شقراء

استلام البحث : ٢٠١٨/٤/١٥ **قبول النشر** : ٢٢ / ٦ / ٢٠١٨

الملخص

يتناول البحث البلاغة القرآنية في قصة أصحاب الجنة قي سورة القلم، وقف فيه الباحث على الأساليب البلاغية التي كان لها دورها في إبراز المعاني والإقناع بها ، ومن آكد هذه المعاني العبرة والعظة التي هدفت إليها القصة. ويهدف البحث إلى عدة أمور منها : الدعوة إلى تذوق القصة القرآنية، والإفادة مما فيها من عبر ومواعظ ، وإلى إبراز إعجاز القرآن البياني، وذلك من خلال دراسة مكون من مكوناته وهي القصة القرآنية، وبدراسة الأسلوب البلاغي الذي جاءت به القصة على وجه الخصوص .

وسار منهج البحث على نوعين : وصفي تحليلي، قائم على وصف الآيات موضع الدراسة، وتحليلها تحليلا بلاغيا. والآخر استنباطي؛ باستنباط الفنون البلاغية، ووضع خط تحت كل فن بلاغي يرد في الآيات ؛ مع بيان أثره في الأسلوب عند البلاغيين .

وانتهى البحث إلى جملة من النتائج والتوصيات منها ، بروز الإعجاز البلاغي في قصة أصحاب الجنة، حيث اشتملت القصة على أساليب بلاغية

متنوعة ذات أغراض مختلفة متناسبة مع السياق . وأظهر البحث خاصية من خصائص الأسلوب القرآني المعجز، وهو ثراء المفردة القرآنية وغناها بالكثير من الدلالات . وبان من البحث –أيضا– أن قصة أصحاب الجنة جمعت بين جمال الأسلوب ورصانته وبين الإقناع الذي يأتي من مطابقة الأسلوب لمقتضيات الأحوال في عرض القصة .

وأوصى البحث بدراسة القصص القصيرة في القرآن الكريم، والوقوف على أساليبها البلاغية سواء أكانت هذه الدراسة جامعة لها أو على جهة إفراد كل قصة على حدة .

الكلمات المفتاحية : البلاغة القرآنية ،أصحاب الجنة، سورة القلم

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الناظر في كثرة الدراسات والبحوث التي تناولت جوانب من البلاغة القرآنية في قصص القرآن الكريم؛ يرى أنها لا تعدو إلا أن تكون قطرة من قطرات بحر القرآن العظيم. ومع هذا؛ فإن الحاجة ماسة للكشف عن أسرار القصص القرآني البلاغية وأساليبه الثرّة .

ومن المؤكد أن القص في القرآن الكريم جاء في بعض صوره لأخذ العبرة والعظة . وإذا كان الأمر كذلك فإن القصص القرآني يستوجب الوقوف بتأن

وتمعن لمعرفة الأساليب البلاغية التي كان لها دورها في إبراز المعاني والعبر في تلك القصص .

ومن الأسباب التي جعلتني أختار هذه القصة للدراسة بروز ظواهر أسلوبية تكاد تنفرد بها عن غيرها من القصص القرآني، من ذلك أن نظمها نُسِج على أسلوب الإيجاز؛ ليكون شبهها بالتذكير أقوى من شبهها بالقصص (*) .

وانفراد القصة بمفردات قرآنية لم تذكر إلا في سورة القلم أمر يغري بالدراسة، ففيها على وجه الخصوص مفردات ، مثل : (يصرمونها) و (صارمين) و (حرد) .

- **مشكلة البحث :**

تكمن مشكلة البحث في وجود طاقات تعبيرية ثريّة في قصة أصحاب الجنة في سورة القلم ؛ وهذه الطاقات تتمثل في أساليب بلاغية متنوعة متناسبة مع السياق وحاجة المقام، وهي أساليب جاءت على جميع المستويات، على مستوى الكلمة، والجملة، والجمل، والتصوير، والمحسنات البديعية. لذا؛ جاءت هذه الدراسة كاشفة عن تلك الأساليب وأثرها في المعنى .

- **موضوع البحث :**

(*) **التحرير والتنوير** ، ابن عاشور ، محمد بن محمد الطاهر (١٣٢١ه) ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤م، ١/ ٣٥ .

"من البلاغة القرآنية في قصة أصحاب الجنة في سورة القلم "؛ وقفت فيه على بعض ما تزخر به آيات القصة من دقة في النظم، وجمال في التصوير، وغير ذلك من الأساليب البلاغية .

وعمادي في هذا البحث – بعد توفيق الله – مصنفات البلاغيين، والاستضاءة بكتب التفسير، وما يجلّي المعنى ويحقق الهدف؛ مع إضافات تتناسب مع سياقات نظم القصة.

– **حدود البحث :**

يقتصر البحث على دراسة قصة أصحاب الجنة الواردة في سورة القلم وهي قوله تعالى : ﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ
لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ١٧ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ١٨ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ
وَهُمۡ نَآئِمُونَ ١٩ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ٢٠فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ ٢١ أَنِ ٱغۡدُواْ
عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ ٢٢ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ٢٣ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا
ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ٢٤وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ ٢٥ فَلَمَّا رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا
لَضَآلُّونَ ٢٦بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ٢٧ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ
٢٨ قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٢٩ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ
يَتَلَٰوَمُونَ ٣٠ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ٣١ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا
مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ٣٢ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ
يَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ [القلم : ١٧– ٣٣] .

- **أهداف البحث :**

١- الدعوة إلى تذوق القصة القرآنية، والإفادة مما فيها من عبر ومواعظ.

٢- إبراز إعجاز القرآن البياني، وذلك من خلال دراسة مكون من مكوناته وهي القصة القرآنية .

٣- الوقوف على الأساليب البلاغية التي كان لها دورها في إبراز المعاني والإقناع بها .

- **منهج البحث :**

قام البحث على منهجين :

١-المنهج الوصفي التحليلي القائم على وصف الآيات موضع الدراسة، وتحليلها تحليلا يشمل المفردات والجمل والتراكيب كل في سياقها؛ لما للسياق من أثر في كشف المعنى والدلالة عليه.

٢- المنهج الاستنباطي؛ باستنباط الفنون البلاغية، ووضع خط تحت كل فن بلاغي يرد في الآيات مع بيان أثره في الأسلوب عند البلاغيين .

-**الدراسات السابقة :**

نشرت مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية في عددها الثاني عشر في شهر ذي الحجة عام (١٤٣٢هـ) بحثا للدكتور عبدالله بن رجاء السلمي بعنوان " جماليات النظم في قصة أصحاب الجنة في سورة القلم " ، وهذا البحث دراسة بلاغية أدبية . وهي دراسة قيمة ، قسّم الباحث فيها الدراسة إلى مبحثين، الأول: تناول فيه الملامح البلاغية في أحداث القصة ومشاهدها، والمبحث الثاني: دَرَس فيه القصة دراسة أدبية . وبعد الاطلاع

عليها رأيت أن أتمّ البحث إيمانا مني بأن معين بلاغة القرآن يجري ولا ينضب، ومتجدد ولا يقف .

- **الإضافة العلمية :**

١- دراسة آيات القصة دراسة بلاغية تحليلية .

٢- إضفاء مزيد من الاهتمام بالتفسيرات المتعددة التي يحتملها السياق.

٣- استدراك بعض الفنون البلاغية التي غفلت عنها الدراسة .

-خطة البحث :

اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، الأول : من البلاغة القرآنية في مقدمة القصة من آية ١٦ إلى آية ٢٠ . والمبحث الثاني : من البلاغة القرآنية في حوارات القصة من آية ٢١ إلى ٣٣. ثم خاتمة تضمنت أهم نتائج البحث وتوصياته، وتلتها المصادر والمراجع .

تمهيد

أ- التعريف بسورة القلم، وبيان سبب نزولها، ومقصدها :

سورة القلم من السور المكية، وعدد آياتها ثنتان وخمسون آية. نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي، وذلك أنه عرض على النبي -ﷺ- المال على أن يرجع عن دينه [†].

ومقصد السورة الأساس هو : إثبات نبوة محمد - ﷺ- وتثبيت قلبه [‡] .

([†]) **تفسير مقاتل بن سليمان** ، ابن سليمان، مقاتل بن سليمان (١٥٠هـ)، تحقيق : عبدالله محمود شحاته ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣هـ ، ٤ / ٤٠٤

([‡]) ينظر : **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم** ، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن ، إشراف : أ. د : مصطفى مسلم ، جامعة الشارقة ، ١٤٣١ه ، ٨ / ٢٩٠ .

واشملت السورة على عدة مقاصد هي[§] :

١-تحدي المشركين بهذا القرآن الكريم ، والثناء على النبي- ﷺ- بأفضل أنواع الثناء .

٢-التسلية الجميلة للنبي - ﷺ- عما أصابه من أعدائه .

٣-نهي النبي - ﷺ- عن مهادنة المشركين أو ملاينتهم أو موافقتهم على مقترحاتهم الماكرة.

٤-ضرب الأمثال لأهل مكة لعلهم يتعظون ويعتبرون ويتركون الجحود والبطر .

٥-المقارنة بين عاقبة الأخيار والأشرار ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة .

٦-تسفيه أفكار المشركين وعقولهم وتهديهم بأقصى ألوان التهديد .

٧-تكرار التسلية للنبي- ﷺ - وبأمره بالصبرعلى أذى أعدائه .

ب- بين يدي القصة

قصة أصحاب الجنة ذات الثمار قصة مليئة بالعبر ، فقد ضُربت لكل من أعطي نعما ولم يصرفها في طاعة الله وشكر نعمه، بأن شأنه شأن أصحاب الجنة الذين ابتلاهم ربهم بأن أعطاهم نعما؛ ليشكروا ويعطوا الفقراء حقوقهم؛ فلما جحدوا النعمة، وحرموا المساكين، حرمهم الله الثمار كلها .

(§) ينظر : **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** ، طنطاوي، محمد سيد (١٤٣١ه)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٨م ، ١٥ / ٣٥ .

وتذكر كتب التفسير خبر أهل الجنة ((وذلك أنها كانت بأرض اليمن، بالقرب منهم على فراسخ من صنعاء ، وكانت لرجل يؤدي حق الله تعالى منها؛ فلما مات صارت إلى ولده ، فمنعوا الناس خيرها، وبخلوا بحق الله فيها ؛ فأهلكها الله من حيث لم يمكنهم دفع ما حل بها)) (**) .

ج- ارتباط القصة بمقصد السورة :

في القصة تأكيد على صدق النبي - ﷺ- حيث أُخْبِر من خلال هذه الآيات الكريمة عن طرف من غيب الماضي (قصة أصحاب الجنة) لم يكن عند النبي- ﷺ- منه خبر (††).

د- التعريف بالقصة القرآنية :

القصة القرآنية أحد وسائل التعبير في القرآن الكريم ، - وهي في نظر سيد قطب - ((ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه - كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة ، التي ترمي إلى غرض طليق - إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية))(‡‡) ؛ ولهذا كانت السمة الغالبة على القصص القرآني هي الطابع الديني ، أما الجانب الفني فكان يأتي تبعا معينا على تجلية الهدف الديني .

(**) **الجامع لأحكام القرآن** ، القرطبي ، محمد بن أحمد (٦٧١ه) ، تحقيق : عبدالرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د.ط ، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، ١٨/ ٢٠٩ .

(††)ينظر : **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم** ، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن ، ٨ / ٣٠٤ .

(‡‡) **التصوير الفني في القرآن** ، قطب ، سيد قطب (١٩٦٦م)، دار الشروق ، بيروت والقاهرة ، ط٦ ، ١٤٠٠ه-١٩٨٠م ، ١١٧.

ويهدف القصص القرآني إلى تحقيق أهداف ، منها [§§] :

١- شحذ العقول والأفكار .

٢- تقديم العبر والعظات .

٣- تثبيت القلوب على الدعوة .

هـ- العناصر الفنية لقصة أصحاب الجنة في سورة القلم :

من المؤكد ((أن في القصص القرآني مبهمات مقصودة، تسمى " مبهمات القرآن " وتتعلق بأسماء أشخاص، أو بلدان، أو تحديد زمان أو مكان. ويجب علينا أن نبقيها على إبهامها، ونتوقف عند ما عرضه القرآن منها، ولا نحاول تحديد هذه المبهمات...)) [***] .

وبالنظر في قصة أصحاب الجنة سنجد أهم العناصر التي نادى النقاد بضرورة توفرها في الفن القصصي ، وهي : الشخصيات والأحداث والزمان والمكان ، والحوار .

أما عن الشخصيات فقد سلط القرآن الكريم الضوء على الأحداث التي نشأت عن شخصيات الأخوة وما نتج عنها، وجاء التعبير القرآني عنها بواو الجماعة في أحداث القصة مثل : (أقسموا – يستثنون – فتنادوا– اغدوا ...) . وذلك من أجل توضيح شنيع فعلهم .

([§§]) **القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث**، الخالدي ، صلاح الخالدي ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م ، ٣٧/١ .

([***]) المرجع السابق ، ١ / ٤١ .

أما الشخصية التي أبرزت في هذه القصة فهي شخصية الأخ الأوسط من خلال ذكر حواره لأخوته .

وركزت القصة على تصوير البعد النفسي لهذه الشخصيات المتمثل في الشح والبخل في مقدمة القصة، والتلاوم والندم في آخرها. أما في شخصية الأوسط فقد رأينا الشخصية الناصحة التي وعت الدرس واستلهمته .

أما عن الأحداث فهي الأبرز في هذه القصة، ويمكن القول : إن المشاهد جاءت على النحو التالي :

١-مشهد المؤامرة . ٢- مشهد التدمير ٣- مشهد الانطلاق نحو تنفيذ المؤامرة ٤- مشهد رؤية الجنة بعد إهلاكها وتوبتهم بعد ذلك .

وقد سارت الأحداث في القصة مرتبة حسب وقوعها، كل حدث يقود إلى الآخر في تتابع ، وجاءت طريقة العرض عن طريق الدخول في القصة مباشرة بلامقدمة، واحتوت على مفاجآت ما يغني عن التقديم .

وتميز العرض باستخدام طريق الرواية، وهي المنهج الشائع في القصص القرآني . وتميز العرض في بناء الأحداث بما يسمى (قص المناظر)، فلم تصور القصة كيفية حدوث البلاء بالجنة ونوعه. وفي هذا دلالة واضحة على أن القصة القرآنية تركز على ماهو موطن العظة والعبرة، أما التفاصيل والجزئيات التي لا أهمية لها فتُحذف، مما يحقق متانة البناء القصصي وتماسكه .

أما عن الزمان فلم يذكر في القصة الزمان الخارجي كذكر الأعوام والتواريخ التي دارت فيها هذه القصة، وهذه خاصية تختص بها القصة القرآنية ((إذ أن قرب هذا الحدث أو بعده عنا في أي زمن من الأزمان لا يؤثر فيما يحمل الحدث من مواقع العظة والاعتبار، إذ هو قائم على طريق الإنسانية، موصول بما في الإنسان من نوازع الخير والشر التي لا تتغير في أجيال الناس والتي لا تختلف في زمن عن زمن))[†††] .

ويبرز في القصة القرآنية الزمان الداخلي الدال على المدة التي استغرقها وقوع الحدث؛ وذلك لارتباطه بالغاية من القصة، وكشفه عن موطن العبرة فيها [‡‡‡] .

ووردت في قصة أصحاب الجنة إشارات عابرة تنم عن الزمن الداخلي، كاستخدام فاء التعقيب التي تدل على سرعة وقوع الأحداث ووقت الطائف الذي حل بجنتهم، وهو وقت الليل، وكذلك وقت مشاهدتهم لجنتهم بعد حلول العذاب بها وهو وقت الصباح ﴿ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ١٩ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ٢٠فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ ٢١ ﴾ .

أما عن المكان القصصي ونعني به مسرح الأحداث فهو كثير في القصة القرآنية؛ لأنه ((وسيلة من وسائل تقديم الحدث الذي لايُتصور بغير مكان، أما وقوع هذا المكان فذاك لا فائدة من ذكره ولاعبرة فيه))[§§§] في الغالب .

([†††]) **خصائص القصة الإسلامية** ، جرار ، مأمون فريز ، دار المنار ، جدة ، ط١ ، ١٤٠٨ – ١٩٨٨م ، ٨٦.
([‡‡‡]) المرجع السابق ، جرار ، ٩٠ .
([§§§]) المرجع السابق ، ٩١ .

أما الحوار فهو أحد العناصر البارزة في هذه القصة، وجاء مضفيا الحيوية على الأحداث، وكاشفا عن الصراع في بواطن الشخصيات، وملونا للأسلوب، ومسهما في عرض الأحداث .

وسيأتي مزيد من البيان عند دراسة الحوار في المبحث الثاني فانظره هناك .

المبحث الأول : البلاغة القرآنية في مقدمة القصة :

في هذه الآيات عُرضت مقدمة القصة بأسلوب فريد، حيث ابتدأت القصة من غير مقدمات أو تلخيص إلا ما ذكر من العبارة الانتقالية التي ربطت القصة بما قبلها وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ ... ﴾ .

ولعل العلة في عدم التقديم لقصة أصحاب الجنة تكمن في طبيعة السياق الذي عرضت فيه، فوجّه المقامُ طريقة عرضها على هذا المنوال؛ لأن الحديث السابق لها عن المال والبنين والتكذيب ((فسيقت القصة كمثل ضربه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة وأعطاهم من النعم الجسيمة، وهي بعثة محمد – ﷺ– إليهم فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة)) (****) .

ولعل مجيء القصة بلا مقدمات هو : أن في طريقة عرض أحداثها الكثير من المفاجآت التي تغني عن تلك المقدمات (††††).

(****) **تفسير القرآن العظيم** ، ابن كثير ، إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ)، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ ، ٨ / ٢١٤ .

(٢) ينظر : **التصوير الفني في القرآن** ، قطب، ١٨٢ .

ومما يُلْحَظ على مقدمة قصة أصحاب الجنة أن جملة : ﴿ إِنَّا بَلَوۡنَٰهُم ...﴾ استئنافية ابتدائية ، جاءت فيه مفصولة لما بينها وبين الآية التي سبقتها مناسبة، وهي قوله تعالى: ﴿ أَن كَانَ ذَا مَال وَبَنِينَ ﴾ وهو ما يسمى عند البلاغيين ***كمال الاتصال*** . فالآية﴿ أَن كَانَ ذَا مَال وَبَنِينَ ﴾ [القلم : ١٤] تحمل التقريع والتوبيخ – وهو ما سارت عليه الآية ﴿ إِنَّا بَلَوۡنَٰهُم ...﴾ – على مقابلة ما أنعم به الله عليهم من المال والبنين بالكفر بآيات الله تعالى والإعراض عنها .

والفصل في جملة ﴿ إِنَّا بَلَوۡنَٰهُم ... ﴾ جاء على نسق الآيات السابقة :

- ﴿ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾ [القلم : ١٠] .
- ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴾ [القلم : ١١] .
- ﴿ مَّنَّاعٍ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ [القلم :١٢] .
- ﴿ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾ [القلم :١٣] .
- ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ [القلم : ١٤] .
- ﴿ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [القلم : ١٥] .
- ﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ﴾ [القلم : ١٦] .

فالفصل في الآيات السابقة عرض للموضوع بأشكال متعددة، فمع كل صفة يذهب العقل في تصورها وتمثلها، ثم ينتقل إلى الصورة التي

تليها[‡‡‡‡] ... وهكذا حتى تكتمل الصورة بضرب المثل الذي يمعن في إشباعها بأخذ العبرة والعظة من أصحاب الجنة .

ومن هنا يتضح دور ***الفصل*** الذي أسهم في الإحاطة الشاملة للموضوع؛ بالإضافة إلى إعطاء المخاطب فرصة للاستيقاظ من الغفلة والغرور .

ويُلحَظ أن ***التوكيد*** الذي صُدّرت به القصة يهدف إلى زيادة تقرير المعنى، ذلك أن النعم والخيرات التي يرفل فيها هؤلاء ما هي إلا ابتلاء وامتحان من الله، وحقيقة هذا الاختبار أن الله ما أعطاهم الأموال والبنين إلا ليشكروا، لا ليبطروا ويكذبوا .

وأداة التشبيه صُرّح بها في ﴿...كَمَا بَلَوۡنَآ ... ﴾ وأطرافه جاءت على النحو التالي :

١-***المشبَّه*** ، وهو: حال كفار قريش بما أمدهم الله به من نعم كثيرة : نعمة الأمن في مكة ، ونعمة الرزق الذي يأتيهم فيها من كل جهة ، وغيرها من النعم التي لا تعد ، فلما أكمل الله لهم النعمة بإرسال رسول منهم ليكمل لهم صلاح أحوالهم ، ويهديهم إلى ما فيه النعيم الدائم؛ أعرضوا، وطغوا، ولم يتوجهوا إلى النظر في النعم السالفة، ولا فيما أكمل الله به النعمة الكاملة التي أكملت لهم النعم .

(1) ينظر: **بلاغة الكلمة والجملة والجمل**، سلطان، د. منير سلطان ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ط٣ ، ١٩٩٦م، ٢٤٤ .

٢-***المشبَّه به***، وهو: حال أصحاب الجنة بما أمدهم الله به من نعمة المال التي كلفوا بشكرها وإعطاء الفقراء حقوقهم، فلما جحدوا النعمة وحرموا المساكين حرمهم الله الثمار كلها .

٣- ***وجه الشَّبه***، وهو: ((الإعراض عن طلب مرضاة الله وعن شكر نعمته)) (§§§§).

والذي يظهر لي أن ***التشبيه تمثيلي***، شُبّهت به حال المشركين في طغيانهم بعد إنعام الله عليهم بحال أصحاب الجنة في عدم شكرهم النعمة وإعطاء المساكين حقهم.

والغرض من التشبيه التمثيلي التعريض بالتهديد بأن يصيبهم ما أصاب أهل الجنة من فاقة بعد غنى، ويبس بعد خضرة (*****) .

ومما لاشك فيه أن لتشبيه التمثيل أثرا في النفوس، وفي ذلك يقول الشيخ عبدالقاهر : ((اعلم أنّ مما اتّفق العقلاء عليه أنّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو أُبرزت هي باختصار في معرضه، ونُقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أُبّهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشبّ من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار من أقاصى الأفئدة صبابة وكلفاً، وقسر الطّباع على أن تُعطيها محبة وشغفاً)) (†††††) .

(§§§§) **التحرير والتنوير، ابن عاشور** ، ٢٩ / ٧٩.

(*****) ينظر :المرجع السابق الصفحة نفسها .

(†††††) **أسرار البلاغة** ،الجرجاني، عبدالقاهر بن عبدالرحمن (٤٧١هـ)، علق عليه : محمود شاكر، دار المدني، جدة ، ط١ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م ، ١١٥ .

وانظر كيف ***واءم التعبير القرآني*** بين حال الوليد بن المغيرة الذي هو حلاّف ومنّاع للخير، وحال أصحاب المزرعة الذين يقسمون ويمنعون من خلال تلك الصورة التشبيهية .

وغيرخاف أن ***التشبيه*** السابق قد قام بمهمة كبرى في إيضاح المعنى وإبرازه ، وهو ما ذكره ابن الأثير من أن ***التشبيه*** يقوم بمهام، منها : البيان (‡‡‡‡‡) .

ولعل ***التعريف بالإضافة*** في (أصحاب الجنة) يكشف عن ملكيتهم للجنة، وكثرة ترددهم عليها .

والتعبير بالقسم دون الحلف أبلغ؛ ((لأن معنى قولنا: أقسم بالله؛ أنه صار ذا قسم بالله. والقسم: النصيب، والمراد: أن الذي أقسم عليه من المال وغيره قد أحرزه ودفع عنه الخصمَ بالله، والحلف: من قولك: سيفٌ حَليفٌ؛ أي: قاطع ماض، فإذا قلت: حلفَ بالله، فكأنك قلت: قطع المخاصمة بالله؛ فالأول أبلغ؛ لأنه يتضمن معنى الآخر، مع دفع الخصم؛ ففيه معنيان. وقولنا: حَلَفَ، يفيد معنى واحدًا، وهو قطْع المخاصمة فقط؛ وذلك أن من أحرز الشيء باستحقاق في الظاهر فلا خصومة بينه وبين أحد فيه، وليس كل من دفع الخصومة في الشيء فقد أحرزه)) (§§§§§) .

(‡‡‡‡‡) ينظر : **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** ، ابن الأثير ، نصر الله بن محمد(٦٣٧ه) تحقيق: د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض، ط٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، ٢ / ١٢٩ .

(§§§§§) **الفروق اللغوية** ، العسكري ، الحسن بن عبدالله (٣٩٥ه) ، تحقيق : محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة ، القاهرة ، د.ط ، د.ت ، ٥٦ .

وفي تخيّر (يصرمنّها) دون غيرها من الكلمات، مثل: قطع الثمرة وجذاذها ***لطيفة بلاغية*** ؛ حيث إن الصَّرم يدل على معنى الجمع، يقال : شجر صريم : أي ما جُمِع ثمره (******). وهذا يناسب حرصهم على جمع كامل الغلّة والثّمر .

ويحتمل أن التعبير بـ(يصرمنها)عن الجذاذ((بدلالته على القطع البائن؛المعزوم عليه؛ المستأصل؛ المانع للفقراء؛ ليكون قطعا من كل وجه)) (††††††) .

ويتضح من هذا الملمح وجه من وجوه الإعجاز البلاغي للفظ القرآني المفرد في هذه القصة، فهو متميز عن غيره من ألفاظ البلغاء؛ حيث إن ((المعنى الواحد قد يخبر عنه بألفاظ بعضها أحسن من بعض، وكذلك كل واحد من جزئي الجملة، قد يعبر عنه بأفصح ما يلائم الجزء الآخر، ولابد من استحضار معاني الجمل، ثم استحضار جميع ما يلائمها من الألفاظ ، ثم استعمال أنسبها وأفصحها، واستحضار هذا متعذر على البشر في أكثر الأحوال، وذلك عتيد حاصل في علم الله تعالى ، فلذلك كان القرآن أحسن الحديث وأفصحه)) (‡‡‡‡‡‡) .

(******) **المعجم الوسيط** ، مجمع اللغة العربية بمصر، مكتبة الشروق الدولية، ط٥، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، ٥١٤ .

(††††††) **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** ،البقاعي،إبراهيم بن عمر (٨٨٥هـ)،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، ٨ / ١٠٤ .

(‡‡‡‡‡‡) **الإتقان في علوم القرآن**، السيوطي، عبدالرحمن بن كمال الدين (٩١١هـ)، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م ، ١ / ٢٥٦ .

ومن الملاحظ أن (يصرمنها) جاء جوابا للقسم ((وجاء على خلافِ مَنْطوقِهم، ولو جاء عليه لقيل: لَنَصْرِمُنَّها بنونِ التكلم)) [§§§§§§] . وهذا *التفات* أكّد على شناعة ما أقسموا عليه، حيث عزموا على أن يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم [*******] .

وفي الالتفات تجديد لنشاط السامع، وإيقاظ له، بخلاف إجرائه على أسلوب واحد [†††††††] .

وفي (يستثنون) تعبير بالمضارع عن الماضي، وهو صورة من صور ***خروج الكلام عن مقتضى الظاهر*** ((فمقتضى الظاهر (وما استثنوا)، وكأنه إنما عدل عنه إليه استحضاراً للصورة؛ لما فيها من نوع غرابة؛ لأن اللائق في الحلف على ما يلزم منه ترك طاعة الاستثناء،...وفي ***العدول إلى المضارع*** نوع تعبير، وتنبيه على مكان خطئهم))[‡‡‡‡‡‡‡] . أو لاستحضار حالتهم العجيبة من بخلهم على الفقراء والأيتام[§§§§§§§] .

وفي هذه الصورة من صور *الالتفات* ، ((يقدر المتكلم نفسه حاضرا فيما مضى، فيعبر عن ذلك المعنى بصيغة الحضور، وهي صيغة المضارع؛

([§§§§§§]) **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون** ، الحلبي، أحمد بن يوسف (٧٥٦هـ)، تحقيق: أحمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، د.ط ، د.ت ، ١٠ / ٤٠٩ .

([*******]) ينظر : **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، ١٨ / ٢١٠.

([†††††††]) ينظر: **الإيضاح** ، القزويني، محمد بن عبدالرحمن (٧٣٩هـ) ، شرح : عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م ، ١ / ١١٨ .

([‡‡‡‡‡‡‡]) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، الألوسي ، محمود شكري (١٢٧٠هـ) ، تحقيق: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥ هـ ، ٢١ / ١٦٩ .

([§§§§§§§]) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور ، ٢٩ / ٨١.

لأنها تدل في الأصل على أن المعنى موجود حال التكلم، وإنما يعتبر ذلك إذا كان ذلك المعنى فيه غرابة وإعجاب، فيقصد إلى إحضاره ليتعجب منه بما يمكن، وهو الصيغة)) (********) .

واختلف في معنى (يستثنون) على أقوال ، منها :

١-أنها بمعنى : ولا يسبحون (††††††††) ، ولا يقولون: إن شاء الله (‡‡‡‡‡‡‡‡) .

وهنا أطلق لفظ الاستثناء على التسبيح ((لأن التسبيح تنزيه لله عن الشرك وسائر النقائص ومنها العجز . والاستثناء تنزيه لله عن ذلك؛ لأن الذي يقول : أفعل – ولم يستثن – أعطى لنفسه قدرة كقدرة الله ، الذي إذا قال : أفعل فعل، ولا يعجز، فهو هنا أشرك نفسه في صفة من صفات الله تعالى؛ فلذا كان الاستثناء تسبيحا لله ، وتنزيها له عن المشارك في صفاته وأفعاله)) (§§§§§§§§) .

(********) **مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح**، ابن يعقوب المغربي ،أحمد بن محمد (١١٢٨ه) ،مكة المكرمة ، دار الباز ، د.ط ، د . ت ، الشروح ٣ / ١٣٥.

(††††††††) ينظر : **تفسير ابن أبي حاتم** (تفسير القرآن العظيم)، عبدالرحمن بن محمد(٣٢٧ه) ، تحقيق : أسعد محمد الخطيب ، مكتبة نزار الباز ، مكة المكرمة ، ط٢ ، ١٤١٩هـ ، ١٠ / ٣٦٦ .

(‡‡‡‡‡‡‡‡) ينظر : **تفسير الكشاف** ، الزمخشري ، محمود بن عمر (٤٦٧ه) ، اعتنى به : محمد السعيد محمد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، د.ط ، د.ت ، ٤/ ٦٤٢ . وينظر: **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي ، ١٨ / ٢١٠.

(§§§§§§§§) **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير** ، الجزائري ، جابر بن موسى ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط٥ ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م ، ٥ / ٤١٢ .

والذي يظهر لي أن العلاقة التي جوزت إطلاق التسبيح على الاستثناء هي ***علاقة الإطلاق والتقييد***، أي أن " يستثنون " التي جاءت في الآية يفهم منها المعنى اللغوي للاستثناء وغيره، لكنه قيد بالتسبيح على ما بينته الآيات.

٢-أنها بمعنى : لا يستثنون حق المساكين (*********) ، أو لا يستثنون عما هموا به من منع المساكين (†††††††††) . أو لا يستثنون من الثمرة شيئا للمساكين (‡‡‡‡‡‡‡‡‡) ، وهي على هذا التقدير على حقيقتها ، ولا تخلو من *إيجاز بالحذف* .

وللإيجاز بالحذف قيمته، وفي ذلك يقول الشيخ عبدالقاهر: ((إنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما يكون بيانا إذا لم تبن)) (§§§§§§§§§) .

٣-أنها بمعنى : ولا يستثنون لأيمانهم بأن يقولوا : إن شاء الله (**********) .

وهذا القول قريب من القول الأول، ولا يخلو من محسن بديعي، وهو ***الإدماج*** (††††††††††) ، ويكون تفسيره : ((أي: لمبلغ غرورهم بقوة أنفسهم صاروا إذا عزموا على فعل شيء لا يتوقعون له عائقا)) (‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡) .

(*********) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي ، ١٨ / ٢١١.
(†††††††††) **حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي** ، الخفاجي، أحمد بن محمد (١٠٦٩هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، ٩ / ٢٤٠ .
(‡‡‡‡‡‡‡‡‡) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور ، ٢٩ / ٨١ .
(§§§§§§§§§) **دلائل الإعجاز** ، الجرجاني ، عبد القاهر بن عبدالرحمن (٤٧١هـ) ، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، جدة، ط ٣، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، ١٤٦.
(**********) **التحرير والتنوير** ، ابن عاشور ، ٢٩ / ٨١ .

وتظهر ***الاستعارة التمثيلية*** في ﴿ فَطَافَ عَلَيهَا طَآئِف مِّن رَّبِّكَ ﴾. فالطَّوف : المشي حول الشيء، ومنه الطائف الذي يدور حول البيوت حفاظا (§§§§§§§§§§). و طاف بالقوم تعني : استدار وجاء من نواحيهم، أو حام حولهم (***********). والطائف هو: الذي يمشي حول المكان ينتظر الإذن له، فهو النازل بالمكان قبل دخوله (††††††††††††) .

وأطراف التشبيه الذي طُوي في الاستعارة التمثيلية على النحو التالي :

١-***المشبّه*** المحذوف صورة البلاء المحيط بالبستان .

٢-***المشبّه به*** صورة من يطوف بالمكان .

٣-***وجه الشّبه*** الإحاطة بالشيء ومجيؤه من جميع نواحيه .

وبذا تكون الاستعارة مصورة لعظم البلاء الذي ضرب البستان تصويرا دقيقا، فهو لم يدع منه شيئا.

وعن دقة الاستعارة التمثيلية في التصوير يقول الشيخ عبدالقاهر : ((ومن الفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز هذا البيان أبداً في صورة مستجدة تزيد قدره نبلاً، وتوجب له بعد الفضل فضلاً، ... وتعطيك الكثير من المعاني باليسير

(††††††††††) محسن معنوي وتعريفه : (أن يضمن كلام سيق لمعنى معنى آخر). ينظر: **الإيضاح**، القزويني، ٤ / ٥٣ .

(‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور ، ٢٩ / ٨١ .

(§§§§§§§§§§) **المفردات في غريب القرآن** ،الأصفهاني، الحسين بن محمد (٥٠٢هـ)، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، ٣١٣ .

(***********) ينظر : **لسان العرب** ، ابن منظور، محمد بن مكرم (٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤هـ ، ٩ / ٢٢٥ .

(††††††††††††) ينظر : **التحرير والتنوير**، ابن عاشور ، ١٠ / ٢٣٣.

من اللفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر))(‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡) .

ولم تذكر الآية جنس الطائف الذي حل بالجنة؛ لأن القصد فيما أحدثه هذا الطائف الذي جاء *منكّرا*؛ لعظمه وقوته (§§§§§§§§§§§) .

وفي ***تقييد*** الطائف بأنه (من ربك) مزية، بأن من عُرف بشأنه الابتلاء والامتحان فإن من شأنه التأديب ، بأن يؤدب قومك يا محمد ليقبلوا منك كما أدب أصحاب الجنة ، وهو الحقيق بتربية العباد (************) .

وكشفت جملة الحال الاسمية ﴿ وَهُم نَآئِمُونَ ﴾– وهي ***تقييد*** لهذا العذاب الطائف – حال أهل الجنة وأمنهم من عذاب الله، وأن حلول العذاب قد يأتي في أي وقت حتى وإن كان الوقت وقت الراحة والنوم، وقد ورد مثل ذلك في قوله تعالى : ﴿ فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ﴾ [الأعراف : ٤] .

واخْتُلِف في ***المشبه به*** في قوله تعالى: ﴿فَأَصبَحَت كالصَّرِيمِ ﴾ على أقوال عدة ، أشهرها :

١–أصبحت كالأشجار الصريمة ، أي المصروم حملها (††††††††††††) .

(‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡) **أسرار البلاغة** ، الجرجاني ، ٤٢ – ٤٣ .
(§§§§§§§§§§§) ينظر :**التحرير والتنوير**، ابن عاشور ، ٢٩ / ٨١.
(************) ينظر : **نظم الدرر** ، البقاعي ، / ١٠٥ .
(††††††††††††) ينظر :**الجامع لأحكام القرآن** ، القرطبي ، ١٨ / ٢٤١ .

٢-أصبحت كقطعة منصرمة عن الرمل[‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡] ، فـ((شُبّهت الجنة وهي محترقة لا ثمر فيها ولا خير؛ بالرملة المنقطعة عن الرمال، وهي لا تنبت شيئا ينتفع به)) [§§§§§§§§§§§] .

٣-أصبحت كالليل؛ لأن الليل يقال له : الصريم، أي صارت سوداء كالليل لاحتراقها[************]. وعلى هذا يكون ***وجه الشبه*** : الاسوداد بالاحتراق[†††††††††††††] .

وعلى هذا القول يكون هناك ***طباق*** بين (أصبحت) و (الصريم) . وهو طباق خفي، فلو افترضنا أن الصريم هنا الليل فالذي يقابله النهار، فقد جمعت الآية هنا الليل ومايتعلق بمقابله وهو الصباح ، إذ هو جزء من النهار. هذا، ووضع ابن رشيق هذا النوع من *الطباق* في درجة عالية . حيث قال عنه إنه : ((من أملح *الطباق*))[‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡] .

وفي ((إيثار كلمة (الصريم) هنا لكثرة معانيها وصلاحية جميع تلك المعاني لأن تراد في الآية)) [§§§§§§§§§§§§] .

[‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡] ينظر : **المفردات** ، الأصفهاني ، ٢٨٣.

[§§§§§§§§§§§] **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)** ، الرازي ،محمد بن عمر (٦٠٦ه)، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٢٠هـ ، ٣٠ | ٦٠٨ .

[************] ينظر : **المفردات** ، الأصفهاني ، ٢٨٣ .

[†††††††††††††] ينظر : **حاشية القونوي على البيضاوي وبهامشه حاشية ابن التمجيد** ،القونوي، إسماعيل بن محمد (١١٩٥ه) ، ابن التمجيد ، مصطفى بن إبراهيم (٨٨٠ه)، دار الكتب العلمية ،بيروت، ط١ ، ١٤٢٢ه، ١٩ / ٢٤٣.

[‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡] **العمدة في صناعة الشعر ونقده** ، القيراوني ، الحسن بن رشيق (٤٦٣ه) ، تحقيق : د. النبوي عبدالواحد شعلان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، ٢/ ٥٧٠ .

[§§§§§§§§§§§§] **التحرير والتنوير** ، ابن عاشور ، ٢٩ / ٨٢ .

وهذه خاصية من خصائص اللفظ القرآني وإيجازه وغناه بالمعنى، حتى لتبدو كثير من كلمات القرآن الكريم وكأنها مشحونة بطاقة هائلة عجيبة من الدلالات، مما يجعل من غير الممكن استبدالها بغيرها أو إنابة لفظ آخر في موضعها (**************) .

فالحاصل من احتمالية تعدد هذه الدلالات هو تحول هذه المزرعة عن صورتها الأصلية تحولا جذريا؛ سواء كان المشبه به هو الشجر المقطوع ثمره، فإذا قطع ثمره تلاشت فائدته، أو كان المشبه به الليل الشديد الظلمة، فإن الليل الأسود ينعدم فيه النور، فلا فائدة من التطواف فيه .

إذاً فقد كان التشبيه السابق من القدرة بمكان على كشف صورة ذهنية للجنة بعد أن حلّ بها أمر الله ، كما رسم صورة لا تنسى لهذه المزرعة .

المبحث الثاني : البلاغة القرآنية في حوارات القصة :

الحوار عنصر مهم في القصة؛ فهو يضفي الحيوية والحركة على الأحداث ويكشف عن الصراع في بواطن الشخصيات، وفيه تشويق وتلوين للأسلوب، وتخفيف من رتابة السرد، وإبعاد الملل عن القارئ .

(**************) ينظر : **في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم** ، قصاب ، وليد قصاب ، دار القلم ، دبي ، ط١ ، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م ، ٧٢ .

(††††††††††††††) ينظر : **خصائص القصة الإسلامية** ، جرار، ٩١ .

ومما يميز الحوار في القصة القرآنية أنه يجعل ((المشهد كله حاضرًا مشخصاً يملأ الأسماع، والأبصار بكل خلجة أو خاطرة وقعت فيه)) (‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡) .

وجاء الحوار في قصة أصحاب الجنة ثريا متنوع الأساليب البلاغية حسب مقتضى الحال وداعية المقام ، كماساهم بشكل كبير في سير الأحداث والكشف عن سمات الشخصيات فيها .

واستعملت في الحوار كافة الأساليب البلاغية على مستوى الأدوات، والكلمات، والتراكيب، والصور، والمحسنات البديعية .

من ذلك الفاء في (فتنادوا) حيث جاءت للتفريع على﴿أَقسَمُواْ لَيَصرِمُنَّهَا مُصبِحِينَ﴾، أي: فلما أصبحوا تنادوا لإنجاز ما بيّتوا عليه أمرهم (§§§§§§§§§§§§§§) . وأفاد الفعل (تنادوا) معنى : دعا بعضهم بعضا إلى المضي إلى ميعادهم(***************)، وهو مشعر بالتحريض على الغدو إلى جنتهم مبكرين (††††††††††††††††) .

واختلف في معنى (اغدوا) في قوله تعالى: ﴿ أَنِ ٱغدُواْ عَلَىٰ حَرثِكُم ﴾ على أقوال :

(‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡) **القصص القرآني في منطوقه ومفهومه** ، الخطيب ، عبدالكريم الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، د.ط ، د.ت ، ١٢٤ .

(§§§§§§§§§§§§§§) **التحرير والتنوير** ، ابن عاشور ، ٢٩ / ٨٢ .

(***************) **تفسير البحر المحيط** ، الأندلسي ، محمد بن يوسف (٧٤٥ه) ، تحقيق : صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت ، د.ط ، ١٤٢٠ هـ ، ١٠ / ٢٤٢ .

(††††††††††††††††) **التحرير والتنوير** ، ابن عاشور ، ٢٩ / ٨٣ .

١-أنها بمعنى الخروج ومغادرة المكان في غدوة النهار ، أي أوله (‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡) .

٢-أن يضمن معنى الإقبال ، كما يقال : يغدى عليه بالجفنة ويراح (§§§§§§§§§§§§§§§) .

٣-أنها بمعنى غار (***************) .

وعلى القول الأخير يكون في الكلام استعارة، وهي ***استعارة تصريحية تبعية***؛ حيث ((شبّه غدوهم لقطع الثمار بغدو الجيش على شيء)) (††††††††††††††††) .

وصورت لنا *الاستعارة* استعدادهم وتجهزهم لجمع الغلة والثمر، كما هو شأن من يستعد صبيحة الغارة بكل ما أوتي من عدة وعتاد . وفي إطلاق الحرث على الجنة ***مجاز مرسل***؛ حيث يطلق الحرث لغة ويُراد به شق الأرض للزّراعة، ويسمى الزرع حرثا؛ للمجاورة (‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡) .

وفي الجملة الشرطية ﴿ إِن كُنتُم صَٰرِمِينَ ﴾ *إيجاز بالحذف*؛ حيث حُذِف جواب الشرط (إن كنتم مريدين صرامه فاغدوا) (§§§§§§§§§§§§§§§§) .

(‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(§§§§§§§§§§§§§§§) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(***************) **روح المعاني**، الألوسي، ١٥ / ٣٥ .

(††††††††††††††††) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡) ينظر : **روح المعاني**، الألوسي ، ١ / ٢٨٠ .

(§§§§§§§§§§§§§§§§) **فتح البيان في مقاصد القرآن** ، القِنّوجي، محمد صديق خان(١٣٠٧ه)، المكتبة العصرية ، بيروت ، د.ط ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، ١٤ / ٢٦٥ .

وأعقب التنادي مباشرة (فانطلقوا) الذي جاء بفاء الترتيب والتعقيب . وفي التعبير بـ (انطلقوا) مزية ، فاللغويون يقولون : ((انطلق فلان إذا مرّ متخلفا)) (*) . وهذا يعني أن لديهم شعورا بأنهم قد تأخروا في صرم الثمر .

وإذا كان ***تقديم المسند إليه*** (هم) يفيد تقوية الحكم وتوكيده، فإنه قُدّم إضافة إلى ما سلف؛ مراعاةً لحال المخاطب الذي يتلهف لمعرفة خبر أصحاب الجنة، وأن القصة تدور عليهم وهم محل الاهتمام .

ويكشف التعبير بـ (يتخافتون) عن تآمر الإخوة على شيء لا يعلمه إلا هم، ويخفى على غيرهم، بحيث يتكلمون مع البعض بصوت في شدة الضعف، ويسمعون البعض بشكل صعب. ولهذا السبب انفرد الفعل (يتخافتون) عن يتناجون .

كما أن تخير الفعل (يتخافتون) متناسب مع السياق الساخر من أصحاب الجنة الذين أحكموا التدبير ليحتجنوا الثمر كله لهم، ويحرموا منه المساكين (†) .

وأفاد ***توكيد فعل النهي*** بالنون في ﴿ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ﴾ زيادة تحقيق ما تقاسموا عليه (‡) .

(*) **المفردات** ، الأصفهاني، ٣٠٩ .

(†) ينظر : **في ظلال القرآن** ، قطب، سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، ط١٧ ، ١٤١٢هـ ، ٦/ ٣٦٦٥ .

(‡) **التحرير والتنوير** ، ابن عاشور، ٢٩ | ٨٣.

وفي إيثار التعبير بـ(مسكين) دون (فقير) مزية، وهي أن المسكين ((هو الذي لا شيء له)) (§§§§§§§§§§§§§§§§§) بخلاف الفقير (*****************) .

وأفاد ***تنكير*** (مسكين) – الذي أُسند إليه فعل النهي عن الدخول – العموم ، فالمراد

نهي بعضهم بعضا عن دخول المسكين إلى جنته؛ أي: لا يترك أحد مسكينا يدخلها (†††††††††††††††††) .

وهذا من قبيل ***الكناية***؛ لأن النهي للمسكين عن الدخول نهي لهم عن تمكينه منه، أي لاتمكنوا المساكين من الدخول (‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡). و((وأوقع النهي على دخول المساكين لأنه أبلغ؛ لأن دخولهم أعم من أن يكون بإدخالهم أو بدونه)) (§§§§§§§§§§§§§§§§§§) .

وتتميز ***الكناية*** من بين سائر ألوان التصوير بأن للإثبات بها مزية لا تكون مع التصريح، ولعل السبب في ذلك يعود إلى ((أن كل عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه، أن إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في

(§§§§§§§§§§§§§§§§§) **المفردات**، الأصفهاني ، ٢٤٣ .

(*****************) هناك خلاف كبير حول الفقير والمسكين أيهما أشد حاجة ، ينظر: **تفسير الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، وذلك عند تفسير قوله تعالى : (۞إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ) [سورة التوبة : ٦٠] ، مج ٤ج ٧ | ١٥١.

(†††††††††††††††††) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور ،٢٩ | ٨٣.

(‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡) ينظر : **التفسير الكبير**)، الرازي ، ٣٠ | ٦٠٨ .

(§§§§§§§§§§§§§§§§§§) **فتح البيان في مقاصد القرآن**، القنوجي، ١٤ | ٢٦٦.

وجودها، آكد وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها؛ فتثبتها هكذا ساذجاً غفلاً))(*) .

واختلف المفسرون في معنى (حرد) في قوله تعالى: ﴿ وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡد قَٰدِرِينَ﴾ على أقوال ، منها :

١- أن يُراد به المنع . أي : ((وغدوا وكانوا عند أنفسهم – وفي ظنهم– قادرين على منع المساكين)) (†) .

٢-أن يُراد به القصد القوي، أي: السرعة . أي : ((وغدوا قاصدين إلى جنتهم بسرعة ونشاط قادرين عند أنفسهم، يقولون : نحن نقدر على صرامها، ومنع منفعتها عن المساكين)) (‡) .

٣- أن يُراد به الغضب . أي: ومضوا على غضب قد قدروا أمرهم، وبنوا عليه .

وفي إيثارالتعبيربـ (حَرْد) في الآية نكتة من نكت الإعجاز المتعلق بشرف اللفظ ورشاقته من جانبين :

الأول: من حيث المعنى(§)، وذلك بأن تُراد كل المعاني التي ذكرها المفسرون .

والثاني : من جهة تعلق المجرور به بما يناسب كل معنى من معانيه على النحو الآتي :

(*) **دلائل الإعجاز**، الجرجاني ، ٧٢ .

(†) **التفسير الكبير** ، الرازي، ٣٠ | ٦٠٩ .

(‡) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(§) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ٢٩ | ٨٤ .

أ- بأن يتعلق (على حرد) بـ (قادرين) . ويكون معنى الحرد محمول على المنع . بحيث يفيد ***تقديم المتعلق التخصيص***، أي : قادرين على المنع ، أي : منع الخير أو منع ثمر جنتهم غير قادرين على النفع .

ومما لاشك فيه أن تقديم ماهو على نية التأخير يفيد في الغالب التخصيص، يقول القزويني : ((والتخصيص في غالب الأمر لازمٌ للتقديم)) (*******************) .

وعلى هذا يكون ***القصر حقيقياً*** ((أي وغدوا قادرين على منع لا غير))(††††††††††††††††††††) .

ويجوز أن يكون ***القصر إضافياً*** ((بالنسبة إلى انتفاعهم من جنتهم والحرمان عليه خاص بهم))(‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡)، أي : ((غدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها بدل كونهم قادرين على إصابة خيرها ومنافعها؛ أي : غدوا حاصلين على حرمان أنفسهم مكان كونهم قادرين على الانتفاع)) (§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§) .

ب- بأن يتعلق (على حرد) بقوله : (قادرين) . ويحمل معنى (الحرد) على معنى الغضب، وهو ***قصر بطريق التقديم*** ، أي : غدوا لا قدرة لهم إلا على الحنق والغضب على المساكين ؛لأنهم يقتحمون عليهم جنتهم كل يوم ، فتحيلوا عليهم بالتبكير إلى جذاذها ، أي : لم يقدروا إلا على الغضب

(*******************) **الإيضاح**، القزويني، ١ | ١٧٧ .
(††††††††††††††††††††) **روح المعاني**، الألوسي ، ١٥| ٣٦ .
(‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡) المرجع السابق الصفحة نفسها .
(§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§) المرجع السابق الصفحة نفسها .

والحنق، ولم يقدروا على ما أرادوه من اجتناء ثمر الجنة (*)

ج- بأن يتعلق (على حرد) بـ :(غدوا). ويحمل معنى الحرد على معنى السرعة والقصد. ويكون (على حرد) مبيناً لنوع الغدو، أي:غدوا غدو سرعة واعتناء(†) . وعلى هذا يكون ***كناية عن صفة*** .

د- بأن يتعلق (على حرد) بقوله (غدوا) ، وعلى هذا الاعتبار يكون في الآية الكريمة ***مشاكلة***، فالمراد بالحرد حرد الجنة جيء به مشاكلة للحرث، على غرار :﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾ [سورة الشورى : ٤]، وكأن المعنى في الآية ((كأنه لما قال: اغدوا على حرثكم وقد خبثت نيتهم عاقبهم الله – تعالى – بأن حاردت جنتهم وحرموا خيرها ، فلم يغدوا على حرث ، وإنما غدوا على حرد قادرين)) (‡) .

وفي إيثار((التعبير بقادرين على حرد دون "وغدوا حاردين" ***تهكم***؛ لأن شأن فعل القدرة أن يذكر في الأفعال التي يشق على الناس إتيانها، قال تعالى : ﴿ لا يقدرونَ على شيءٍ مّمّا كَسَبوا ﴾ [سورة البقرة : ٢٦٤]، وقال: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [سورة القيامة : ٤]

(*) **التحرير والتنوير** ، ابن عاشور ، ٢٩| ٨٤ .
(†) المرجع السابق الصفحة نفسها .
(‡) **روح المعاني** ، الألوسي ، ١٥| ٣٦ .

فقوله : ﴿عَلَىٰ حَرد قَٰدِرِينَ ﴾ على هذا الاحتمال من باب قولهم : فلان لا يملك إلا الحرمان أو لا يقدر إلا على الخيبة)) (§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§) .

وحوى أسلوب الشرط الوارد في الآية : ﴿ فَلَمَّا رَأَوهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ إيجازاً أوصل المعنى بأقرب الطرق وأيسرها دون إخلال في تركيب الجملة ومعناها. وهو ***إيجاز قِصَر*** تضمن معاني كثيرة، منها أنهم ((لما وصلوا إليها، وأشرفوا عليها، وهي على الحالة التي قال الله عز وجل، قد استحالت عن تلك النّضارة، والزهرة وكثرة الثمار إلى أن صارت سوداء مدلهمة، لا ينتفع بشيء منها، فاعتقدوا أنهم قد أخطأوا الطريق ...)) (*********************) .

وإسناد هذه المقالة إلى ضمير (أصحاب الجنة) يقتضي أنهم قالوه جميعا، أي : اتفقوا على إدراك سبب ما أصابهم (†††††††††††††††††††††) . وفي ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ ***كناية*** عن كون ما أصابهم عقاباً على إهمال الشكر (‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡) .

(§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§) **التحرير والتنوير** ، ابن عاشور ، ٢٩ | ٨٣.
(*********************) **تفسير القرآن العظيم** ، ابن كثير ، ٨ | ٢١٤ .
(†††††††††††††††††††††) ينظر : **التحرير والتنوير**، ابن عاشور ، ٢٩ | ٨٣ .
(‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡) المرجع السابق الصفحة نفسها .

وجاء ***التأكيد*** في قولهم : ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ ((لتنزيل أنفسهم منزلة من يشك في أنهم ضالون طريق الخير لقرب عهدهم بالغفلة عن ضلالهم، ففيه إيذان بالتحسر والتندم)) (§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§).

والإضراب في ﴿ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴾ نقل الحديث إلى الموضوع الأهم، فإذا كانوا قد بيتوا حرمان المساكين من فضل الثمار فإن الحرمان قد وقع عليهم من جميع الثمار (***********************) .

وفي ﴿ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴾ ***قصر إضافي*** ، حيث قُدّم المسند إليه (نحن) وجاء ضميرا بارزا مع أن ***مقتضى الظاهر*** أن يكون ضميرا مستترا في اسم المفعول مقدرا مؤخرا عنه ؛ إذ الحرمان قد اختص بهم دون غيرهم ، فحرمان المساكين ليس بشيء في جانب حرمانهم (†††††††††††††††††††††††) .

والاستفهام إنكاري في قول أعقلهم ﴿ أَلَم أَقُل لَّكُم لَولَا تُسَبِّحُونَ ﴾، حيث ((أنّبهم ووبّخهم على تركهم ما حضهم عليه من تسبيح الله؛ أي ذكره وتنزيهه عن السوء، ولو ذكروا الله وإحسانه إليهم لامتثلوا ما أمر به من مواساة المساكين، واقتفوا سنة أبيهم في ذلك)) (‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡).

(§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(***********************) ينظر : المرجع السابق الصفحة نفسها .

(†††††††††††††††††††††††) ينظر :المرجع السابق الصفحة نفسها .

(‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡) **البحر المحيط** ، الأندلسي، ٨ | ٢٣٥ .

وفي قول أوسطهم : ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ *إيجاز قصر*، حيث أمرهم بالاستثناء في بادئ الأمر فلم يطيعوه (§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§) .

ولا يخلو قولهم : ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ من ***إيجاز بالحذف***؛ حيث حذف مفعول (ظالمين)؛ ((ليعم ظلمهم أنفسهم بما جروه على أنفسهم من سلب النعمة، وظلم المساكين بمنعهم حقهم في المال)) (**********************) .

وفي إيثار التعبيربـ (أقبل) و(يتلاومون) زيادة مزية في التصوير؛ فكل فرد منهم يلوم الآخر بما كان قد تلبس به في هذا الشأن من ابتكار فكرة منع المساكين ما كان حقا لهم من حياة الأب، ومن الممالأة على ذلك، ومن الاقتناع بتصميم البقية، ومن تنفيذ جميعهم ذلك العزم الذميم، فهذه الحالة والتقاذف الواقع بينهم بهذا الإجمال البالغ غاية الإيجاز، حيث صوّرت (أقبل) حالة تشبه المهاجمة والتقريع، وكذلك صيغة التلاوم مع حذف متعلق التلاوم تصوّر في ذهن السامع صوراً من لوم بعضهم على بعض(††††††††††††††††††††††††) . فحقيقة التلاوم أن ((يقول هذا لهذا : أنت أشرت علينا بهذا الرأي، ويقول ذاك لهذا : أنت خوفتنا بالفقر ، ويقول

(§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§) ينظر : **فتح القدير** ، الشوكاني ، محمد بن علي (١٢٥٠ه)، دار المعرفة ، بيروت ، د.ط ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٤م ، ١٥١٩ .

(**********************) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ٢٩ | ٨٣.

(††††††††††††††††††††††††) ينظر : المرجع السابق الصفحة نفسها .

الثالث لغيره : أنت الذي رغبتني في جمع المال)) (‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡) .

ويظهر أن *النداء* الذي جاء في قولهم: ﴿ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴾ للحسرة والندم من جراء مخالفة أمر الله تعالى في عدم إعطاء الفقراء حقوقهم التي أوجبها الله لهم .

والتأكيد في ﴿ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴾ للاهتمام بهذا التوجه من الالتجاء إلى الرب جل وعلا بأن يعطيهم أفضل من حديقتهم؛ بعد اعترافهم بخطيئتهم . وفي الآية نفسها *قصر بالتقديم*؛ حيث قُدِّم الجار والمجرو، أي: إلى ربنا راغبون لا إلى غيره. وفي الآية نفسها حذف مضاف، تقديره : إنا إلى ما عينه ربنا لنا لا نطلب إعطاء ما ليس من حقنا (§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§) .

وفي تقديم اعترافهم بالخطيئة في قولهم : ﴿إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴾على قولهم رجاء : ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ٣٢ ﴾ *براعة استهلال*؛ حيث قدّموا الاعتراف قبل دعائهم طمعا في إجابة مطلبهم .

والمقصود من ***الإطناب*** في قولهم بعدحلول العذاب بهم تلقين الذين ضُرب لهم هذا المثل بأن في مكنتهم الإنابة إلى الله بنبذ الكفران لنعمته؛ إذ أشركوا به من لا إنعام لهم عليه (************************) .

(‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡) **التفسير الكبير** ، الرازي ، ٣٠ | ٦١٠ .
(§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§) ينظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** ، ٢٩ | ٨٣ .
(************************) المرجع السابق الصفحة نفسها .

وفي التشبيه الوارد في قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ ﴾ ((نهج فريدٌ لم يُعْهد في سواه، ذلك أن الناظر في تشبيهات القرآن يرى أداة التشبيه تأتي عقب جمل من الكلام لها معنى قد أدته. فتدخل أداة التشبيه على اسم إشارة مشار به إلى مجموع تلك الجمل باعتبار المعاني التي أدّتها، فيكون اسم الإشارة مشبّهاً به، ملحوظاً فيه معاني تلك الجمل، ويأتي بعد ذلك المشبّه مؤخراً اسماً أو فعلاً . والمعهود أن المشبّه رتبته التقديم على المشبّه به وعلى الأداة .

ومن ذلك قوله تعالى بعد ذكر قصة أصحاب الجنّة وقد فصّل القرآن الحديث فيها: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ ﴾ [القلم : ٣٣].

فالمشبّه العذاب – وهو هنا – اسم، وقد أخر على المشبّه به والأداة لفظا؛ لأن رتبته التقديم إذ هو مبتدأ . والكاف وما دخلت عليه خبره . والمعنى " العذا††††††††††††††††††††††††ب كذلك" ، ولعل السر في *التقديم* هنا أن المشبّه به لم يستقل بالمعنى؛ لأنه مشار به إلى معاني الجمل التي سبقته . فقدّم لتقدمها)) (‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡) .

(‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡) **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية** ، المطعني ، عبدالعظيم بن إبراهيم ، مكتبة وهبة ،القاهرة ، ط١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ، ٢|٢٩١ .

أي أن العذاب الذي حصل لكفار مكة ومن خالف أمر الله يشابهه العذاب الذي حصل لأصحاب الجنة، ووجه الشّبه : إتلاف الأرزاق والإصابة بقطع الثمرات في كلٍ (§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§) .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، أما بعد فهذه أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث :

أولا : أهم النتائج :

١- أن الإعجاز البلاغي في قصة أصحاب الجنة ظاهر وبارز، حيث اشتملت القصة على أساليب بلاغية متنوعة ذات أغراض مختلفة متناسبة مع السياق .

٢- أبرز البحث - عند دراسة قصة أصحاب الجنة في سورة القلم - شيئا من خصائص الأسلوب القرآني المعجز، وهو ثراء المفردة القرآنية وغناها بالكثير من الدلالات .

٣- أن قصة أصحاب الجنة جمعت بين جمال الأسلوب ورصانته وبين الإقناع الذي يأتي من مطابقة الأسلوب لمقتضيات الأحوال في عرض القصة .

(§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§) ينظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** ، ٢٩ | ٨٩ .

٤- التأكيد على الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، إذ إن قصة أصحاب الجنة شأنها شأن قصص القرآن تشتمل على أساليب بلاغية مختلفة، لا يصلح غيرها في موضعها .

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- **الإتقان في علوم القرآن** ، السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن كمال الدين(٩١١هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

٣- **أسرار البلاغة** ، الجرجاني، عبدالقاهر بن عبدالرحمن (٤٧١هـ) ، تحقيق : محمود شاكر ، دار المدني ، جدة ، ط١ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .

٤- **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، الجزائري ، جابر بن موسى ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط ٥ ، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م .

٥- **الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، القزويني، محمد بن عبدالرحمن (٧٣٩هـ) ،وبهامشه شرح عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٦- **بلاغة الكلمة والجملة والجمل**، سلطان، د. منير سلطان ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ط٣ ، ١٩٩٦م .

٧- **التحرير والتنوير** ، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤م .

٨- **التصوير الفني في القرآن** ، قطب ، سيد قطب (١٩٦٦م)، دار الشروق ، بيروت والقاهرة ، ط٦ ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .

٩- **تفسير ابن أبي حاتم** (تفسير القرآن العظيم)، ابن أبي حاتم، عبدالرحمن بن إدريس (ت ٣٢٧هـ) ، تحقيق : أسعد محمد الخطيب ، مكتبة نزار الباز ، مكة المكرمة ، ط٢ ، ١٤١٩هـ .

١٠- **تفسير البحر المحيط**، الأندلسي، محمد بن يوسف(٧٥٤هـ) ، تحقيق : صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت ، د.ط ، ١٤٢٠ هـ .
١١- **تفسير القرآن العظيم** ، ابن كثير، إسماعيل بن عمر(٧٧٤هـ) ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ .
١٢- **تفسير مقاتل بن سليمان** ، ابن سليمان، مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ)، تحقيق : عبدالله محمود شحاته ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣هـ .
١٣- **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم** ، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن ، إشراف : أ.د. مصطفى مسلم ، جامعة الشارقة ، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م .
١٤- **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** ، طنطاوي، محمد سيد (١٤٣١هـ)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٨م .
١٥- **خصائص القصة الإسلامية** ، جرار ، مأمون فريز ، دار المنار ، جدة ، ط١ ، ١٤٠٨ – ١٩٨٨م .
١٦- **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، محمد بن أحمد (٦٧١هـ) ، تحقيق : عبدالرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د. ط، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م .

١٧- **حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي** (عناية القاضي وكفاية الراضي)، الخفاجي ، أحمد بن عمر (ت ١٠٦٩هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

١٨- **حاشية القونوي على البيضاوي وبهامشه حاشية ابن التمجيد** ، القونوي، ع إسماعيل بن محمد(١١٩٥هـ) ، ابن التمجيد ، مصطفى بن إبراهيم (٨٨٠هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

١٩- **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية** ، المطعني ، عبدالعظيم بن إبراهيم ، مكتبة وهبة ،القاهرة ، ط١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

٢٠- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، السمين الحلبي ، أحمد بن يوسف (ت ٧٥٦هـ) ، تحقيق : أحمد الخراط ، دار القلم ، دمشق .د.ت ، د.ط .

٢١- **دلائل الإعجاز**، الجرجاني، عبدالقاهر بن عبدالرحمن (٤٧١هـ) ، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، جدة، ط ٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٢٢- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، الألوسي، محمود ابن عبد الله (١٢٧٠هـ)، تحقيق : علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥ هـ .

٢٣- **العمدة في صناعة الشعر ونقده** ، القيراواني، الحسن بن رشيق (٤٦٣هـ) ، تحقيق : د. النبوي عبدالواحد شعلان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .

٢٤- **فتح البيان في مقاصد القرآن**، خان ، محمد صديق خان ، المكتبة العصرية ، بيروت ، د.ط ، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

٢٥- **فتح القديرالجامع بين فن الرواية والدراية**، الشوكاني،محمد بن علي(١٢٥٠هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، د.ط ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٤م .

٢٦- **الفروق اللغوية** ، العسكري ، الحسن بن عبدالله (٣٩٥هـ)، تحقيق : محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة ، القاهرة ، د.ط ، د.ت .

٢٧- في **ظلال القرآن** ، قطب ، سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، ط١٧ ، ١٤١٢هـ .

٢٨- **القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث**، الخالدي ، صلاح الخالدي ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م .

٢٩- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل**، الزمخشري، محمود بن عمر(٥٣٨هـ)، اعتنى به : محمد السعيد محمد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، د.ط ، د.ت .

٣٠- **لسان العرب** ، ابن منظور، محمد بن مكرم(٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤هـ .

٣١- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ابن الأثير، نصر الله بن محمد(٦٣٧هـ) ، تحقيق: د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض، ط٢، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م

٣٢- **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بمصر، مكتبة الشروق الدولية، ط٥، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

٣٣- **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، الرازي ، محمد بن عمر(٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٢٠هـ .

٣٤- **المفردات في غريب القرآن**، الأصفهاني، الحسين بن محمد(٥٠٢هـ)، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

٣٥- **مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح**، ابن يعقوب المغربي، أحمد بن محمد (١١٢٨هـ)، أحمد بن محمد، دار الباز ، مكة المكرمة ، د.ط ، د. ت ، الشروح.

٣٦- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، البقاعي ، إبراهيم بن عمر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

الفلسفية التداولية و أفعال الكلام – دراسة نقدية

إعداد

د/ محمود أبو المعاطي عكاشة

أستاذ علم اللغة

استلام البحث : ٢٠١٨/٥/٥ **قبول النشر** : ٢٥ / ٦ / ٢٠١٨

مقدمة :

لقد ظهرت النظرية البراجماتية(أو التداولية) و ربيبتها "نظرية أفعال الكلام" لدواع فكرية و عقدية و سياسية و اقتصادية أنتجها الواقع الغربي الذي اتسع للصراع الفكري مثلما اتسع للصراع السياسي منذ عصر النهضة حتى زمننا، و قد صارت الفلسفة العقيدة التي يحتكم إليها بعد انهيار الملكية والكهنوتية، و قد تمردت العقيدة الجديدة على المعايير العامة و المرجعيات، و أطلقت عنان الأفكار، و تبلورت عقيدة عدمية العقيدة التي تؤله الوجود في العالم و غاياته، و قد خرجت من رحم هذه العقيدة الفلسفات الوضعية و الواقعية و البراجماتية و الوجودية و غيرها من الفلسفات، و استجابت لها مذاهب لغوية و أدبية و بلاغية و نقدية(*)، و قد ألقت هذه المذاهب بكلاكلها على البحث العربي الوئيد و المتقوت من الدراسات الغربية.

وقد نشأت البراجماتية (التداولية) في كنف العلوم المعرفية، و تفاعلت معها تجاوباً أو تمرداً، فقد رفضت معطيات المدرسة السلوكية

(*) ارجع إلى: البرجماتية اللسانية، الدكتور محمود عكاشة، مكتبة الآداب، مصر، ص ٦ فما فوقها.

اللغوية حينما اتخذ علم النفس في مستهل القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية وجهته السلوكية المتأثرة بفلسفة العقل و الذكاء الاصطناعي، و رأى أن تعلم اللغة يخضع لثنائية (التأثير و الاستجابة) المستقاة من تجارب علماء النفس على الحيوانات التي تمكنوا من تدريبها على بعض الأفعال، و عدلوا بعض سلوكها مستجيبة بتعزيز أو تكييف، و قد بحثت البراجماتية و علوم معرفية أخرى (علم النفس، و اللسانيات ، و فلسفة العقل و الذكاء الاصطناعي، و علوم الأعصاب) كيفية عمل العقل (الدماغ) و اكتساب العقل المعارف و تطويرها و استعمالها اعتماداً على الحالة الذهنية[†].

وقد تنازع علم اللسان و البلاغة البرجماتية كلاهما يدعيها لنفسه في البحث العربي، فقد تبناها اللسانيون في السبعينات القرن المنصرم، و رأوا أنها مبحث لساني يدرس كيفية فهم الناس الخطاب و إنتاجهم فعلاً تواصلياً أو فعلاً كلامياً في مقام كلامي محدد، و قد وضعوا لها محاور بحثية ملفقة من فروع بحثية أخرها متأثرين بالدراسات الغربية، و هي: التلفظ ، و أفعال الكلام، و الحجاج (Argumentation)، و الأسلوبية، و نظرية التواصل (Communication)، و المقصدية، و غيرها من المباحث المفتوحة للزيادة، و هي نفسها المحاور التي بحثها البلاغيون التداوليون الذين دمجوا

[†]) ارجع إلى: التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، آن ربول و جاك موشلار ، ترجمة د. سيف الدين دغوس، د. محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة و النشر، ط ١،٢٠٠٣م، ص٢٨.

البلاغة في اللغة مسقطين الفروق البحثية، و رأوا أن العلاقة بين البلاغة و علم اللسان علاقة تفاعل مستمرة بلغت الانصهار في بعض المباحث، و عدوا البلاغة السابق التاريخي لعلم النص، فالبلاغة الجديدة المعاصرة تدرس أشكال أسلوبية ترتبط بوظائف الاتصال و وسائل الإقناع الحجاجية بعد أن اجتازت حواجز الموضوعات التقليدية التي عرفت بها تراثياً[‡].

و لكن البراجماتية لم تشتهر في اللسانيات مثلما اشتهرت في البلاغة عند العرب الذين عدوها هي و الحجاج البلاغة الجديدة (Rhetoric) مضاهئين الحداثيين الغربيين، فاستبدلوا بالموضوعات البلاغية و البلاغيين البراجماتية و أتباعها الغربيين، و يرجع سبب تأخرها في علم اللسان أنها تتجاوز محاور اللسان الرئيسة و تفتقد إلى الدقة البحثية التي عُرف بها علم اللسان في العمل بالمنهج و المعايير الثابتة و المحددة، و أن مفاهيمها مبهمة و محاورها مفتوحة، و ليست معينة، و أنها قد اختزلت جهدها في استعمال اللغة في المقام و تعيين القصد الواقعي، و قد رفضها بعض اللسانيين، و عدوها "صندوق قمامة اللسانيات" يرمى فيه كل ما لا يمكن دراسته ضمن موضوعات اللسانيات الأساسية (الأصوات و الأبنية و القواعد و الدلالة)[§].

[‡]) ارجع إلى: علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد حسن بحيري، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة ١٩٩٧م ص٦، و ١٧، و البلاغة و الأسلوبية، هنريش بليت ترجمة د. محمد العمري، ط١، الدار البيضاء ١٩٨٩م، ص١٦.

[§]) المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانقونو، ترجمة: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠٠٥/٢٠٠٦، ص٩٢-٩٣.

و قد تخير لها الباحثون العرب مسمى "التداولية"(**) تحسيناً و تطهيراً لها من آثام "النفعية" النهَّازية و "الوضعية" المغالية في الحسن و الوجود و "الواقعية" مظاهرة الواقع و التجريب، و لكن معني التداولية لا يشمل أبعادها الفلسفية و اللسانية و البلاغية، فقد اختزلها في التناوب و التداول و المحاورة و التواصل، و هي محور بحثي فيها، و مصطلح البراجماتية مستعار من الفلسفة الواقعية التجريبية، فقد نشأ فى كنف الفلسفة ثم انتقل إلى علم اللسان و البلاغة، و له أبعاد ثقافية و تاريخية و سياسية و اقتصادية و اجتماعية.

البراجماتية (التداولية)

البراجماتية (أو التداولية): مذهب حديث في علمي اللسان و البلاغة، و قد شاع بين الباحثين بلفظ "pragmatics" ، و المصطلح العلمي لهذا المذهب في الدراسات اللسانية "Linguistic Pragmatics" : البراجماتية اللسانية أو التداولية اللسانية، و الأول أصح لدلالته على مذهبه الغربي . و هو الذى أميل إليه . و قد استخدم جورج يول اللسانى (George Yule) مصطلح "Pragmatics" فى الحقل اللسانى، و قد استخدم البلاغيون "التداولية" (pragmatics)، و ترجمته العربية لا تدل على مفهومه الغربي كاملاً، فالتداول قريب من الحوار و التشاور و التناوب، و هم يريدون استعمال اللغة و وظيفتها الجودية، و قد اخترت مصطلح (pragmatics) للتفرقة بين المصطلح اللساني و المصطلح الفلسفى "pragmatism"

**) ارجع إلى: لسان العرب، مادة دول، و القاموس المحيط ، مادة: دول.

(البراجماتية و الفوائدية و النفعية و العملية) في الفلسفة الواقعية[††]، و أصل معناه يونانى قديم، و يعنى "العمل"[‡‡].

[††]) الواقعية مذهب فلسفى أنشأه أرسطو الذى رأى أن الواقع الحسى مصدر المعرفة، و هو أيضا مذهب الوضعية الحديث (Positivism)، و أعيد العمل به فى عصر النهضه الأوربية، وحدث فيه تطوير تأثراً بالنهضة الحديثة، و قد رأى أتباعه أن حقيقة كل المفاهيم لا تثبت إلا بالتجربة العلمية، و قد ترتب على هذه الفكره ظهور المنهج التجريبى الذى أعاد النظر فى كثير من القضايا على أساس علمى، و قد أثر هذا المنهج فى البنيوية اللسانية والتداولية، و مصطلح البراجماتية مستعار من الفلسفة الواقعية و التجريبية، فقد نشأ فى كنف الفلسفة ثم انتقل إلى علم اللسان، و أول من استخدمه فى اللسان الفيلسوف تشارلز بيرس فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر. ارجع إلى: البراجماتية اللسانية، محمود عكاشة، مكتبة الآداب، مصر، ص٦ فما بعدها.

‡‡) المصطلحان: "pragmatics" الإنجليزى، و"pragmatique" الفرنسى، من اللاتينى "pragmaticus" الذى استخدم١٤٤٠م، و هو من الأصل اليونانى "pragma" الذى يعنى: العمل أو الفعل Action، وهو فى اليونانية الحديثة(πραγματολογία: بروماتودجيا) و كلمة "pragmaticos" الإغريقية بمعنى (عملى)، و اشتقت منها الصفة اليونانية"Pragmatikos"، و اشتق الرومان "Progmaticus"، و قصدوا بها "المتمرس" فى المسائل القانونية خاصة، و الكلمة تدل على العمل أو الفعل النشاطى "Action"، و تنسب الموسوعة البريطانية أول استعمال لها إلى المؤرخ الأغريقى بوليبوس (المتوفى سنة ١١٨ ق.م.)، و قد أطلق هذه التسمية على كتاباته لتعنى آنذاك تعميم "الفائدة" العملية، و لتكون منبراً تعليمياً، و قد استخدمت في اللاتينية "pragmaticus"، و اشتقت منها اللغة الإنجليزية جميع المفردات التي ترتبط بكلمة practice ، و أهمها "practical" التى خرجت من رحمها الفلسفة البراجماتية "pragmatism" التى انتشرت فى القرن التاسع عشر في أمريكا، و انتقلت منها إلى أوربا و بعض الدول الأخرى.

و يرجع تاريخ المصطلح فى العصر الحديث إلى القرن السابع عشر فى مجال الفلسفة التجريبية، و استخدمه الفيلسوف إيمانويل كانت، و أخذه عنه تشارلز بيرس رائد علمى العلامات و البراجماتية اللسانية، و نقله إلى الدراسات اللسانية، و قد تأثر المصطلح في كنف هذه الفلسفة في القرن العشرين، و قد استقر في اللسان على لفظ "pragmatics" في المصطلح الحديث، و بعض العلماء جعلوا مصطلح "pragmatism" خاصاً بحقل الفلسفة العملية أو النفعية، و جعلوا"pragmatics" لعلم اللسان التداولي، و قد استخدم اللسانى جورج يول (George Yule) مصطلح "Pragmatics" فى الحقل اللسانى، و جعله عنوان كتابه، و قد ترجمه دنحا طوبيا كوركيس إلى "الفائداتية" فى صدر الستينات، و هو أدق تعبيراً من التداولية، و لفظه القياسى الفوائدية، و يرجع تاريخ دخوله إلى العربية فى الفترة التى ترجمت فيها الفلسفة البراجماتية في النصف الأول من القرن العشرين، و قد نشأ المصطلح فى كنف الفلسفة التقليدية، ثم انتقل إلى الفلسفة الحديثة على أيدى شارل سندريس بيرس و وليام جيمس، ثم انتقل إلى اللسانيات فى أعمال بيرس وشارل موريس، و قد طوره فى اللسان أوستين وسيريل و كارناب و لودفيج فتجنشتاين. ارجع إلى:المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، المنظمة العربية للتربية والثقافة ، تونس ١٩٨٩م،ص١١١، والتداولية اليوم،علم جديد فى التواصل،آن روبول و جاك موشلار،ترجمة سيف الدين دغفوس و محمد الشيبانى، المنظمة العربية

و البراجماتية اللسانية مذهب غربي حديث في البحث اللغوي تأثر بالفلسفة الواقعية المادية و الوضعية التجريبية في بحث أعيان الأشياء و ما يتعلق بها، و هدفه القصد اللغوي، و قد تأثر البحث فيه بمناخ صراع التيارات الفلسفية و الدراسات اللغوية الغربية التي تفاعلت معه(§§).

و قد ترجم المصطلح الفلسفي (Pragmatism) بالذرائعية، و هي ترجمة غير دقيقة، فالذريعة السبب الناتج عن مقدمات مشروعة، و البراجماتية وجودية مطلقة تستهدف المنفعة و الغاية، و قد انتقل هذا المذهب إلى الدراسات اللغوية و البلاغية العربية، و قد اختار المترجمون (Pragmatics) أي: (علم اللسان البراجماتي)، و هو الذي استخدمه الفيلسوف تشارلز موريس، و قد عده فرعاً من السيمائية (Semiotics) التي تعالج العلاقة بين العلامات و مستعمليها، و استخدمه تلميذه شارل موريس، و قد طوره فى اللسان رودولف كارناب الفيلسوف الألماني الوضعي و لودفيج فتجنشتاين و أوزفالد ديكرو و جون لانجشاو أوستين . صاحب "نظرية الأفعال الإنجازية" التي استخلصها من رحم البراجماتية . و تلميذه جون سيريل، و آخرون، و قد انطلقوا من فكرة تحقيق المعنى معيار التحقق من المعنى من الواقع الحسي، و رفضوا الأقوال التي لا يمكن التحقق منها بالإدراك الحسي أو بالتجربة و الدليل و البرهان منطلقين من الفلسفة الوضعية.

للترجمة، بيروت،٢٠٠٣م،ص٢٧، ٢٨، وعلم النص، مدخل متداخل الاختصاصات،فان دايك، ترجمة الدكتور سعيد بحيرى، دار القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠١م، ص٤١٥.

(§§) ارجع إلى: البراجماتية اللسانية، الدكتور محمود عكاشة، مكتبة الآداب، القاهرة، ص٣: ١٠

و ترجع جذور المذهب البراجماتي إلى الفلسفة البراجماتية الواقعية (Pragmatism)(***) التي اجتاحتها الجوانب الفلسفية و المنطقية و تأثرت بالعلوم الطبيعية و التجريبية و تفاعلت مع بعض العلوم الإنسانية (اللغة و الاجتماع و النفس و الاتصال)، و قد تولد عن هذا اتجاهات استطاعت أن تؤلف بين مزيج من الدراسات اللسانية التقليدية و العلوم التى تأثرت بها البراجماتية، فتداخلت فيها فروع المعرفة، و صبت فيها روافد متنوعه، فتنوع أسلوب المعالجة البحثية فيها، و تنازعتها العلوم، فظهرت موضوعات بحثية في حقول معرفية تنتسب إليها، و الجامع بينها أنها تتجه نحو القصد و رد الفعل و الناتج و الأثر العملي، و من ثم تختلف أدواتها و مفاهيمها باختلاف المنحى العلمى، و هي في اللسان تستهدف الاستعمال اللغوي و مقاصده و آثارها في العالم، و هذا التداخل و التنوع سببان رئيسان فى عدم وضوح مذاهبها التحليلية و معاييرها البحثية، فهى تتسع لمجالات البحث و التحليل، و مازال العمل فى تطويرها و معالجة قضاياها مستمرين.

و قد ذكر بعض الباحثين أن الفيلسوف و المنطقى و الرياضى تشارلز ساندر بيرس (Charles Sanders Peirce) (١٨٣٩: ١٩١٤م) أول من

(***) الفلسفة الواقعية أو الوضعية (Positivism) إحدى فلسفات العلوم التي ترى أن مجال العلوم الاجتماعية هو مجال العلوم الطبيعية، فالمعرفة الحقيقية معرفة العالم المادي والبيانات المستمدة من التجربة الحسية و المعالجات المنطقية والرياضية لهذه البيانات التي تعتمد على الظواهر الطبيعية الحسية و خصائصها و تفاعلها. و قد مرت بثلاث مراحل عند أوجست كومت الفرنسي الاجتماعي (Auguste Comte) (ت ١٨٥٧م): أولها ـ المرحلة اللاهوتية. و الثانية ـ المرحلة الميتافيزيقية. الثالثة ـ المرحلة الوضعية أو العلمية، و هي الأخيرة التي عرفت بالوضعية التجريبية و المنطقية.

استخدم البراجماتية (Pragmatics)، و الصواب أن "بيرس" عرف مصطلح البراجماتية من دراسة أعمال الفلاسفة التجريبيين(†††) و الفيلسوف الألمانى "إيمانويل كانت" (Immanuel Kant) (١٧٢٤: ١٨٠٤)(‡‡‡) الذى جمع

†††) ظهر المنهج التجريبى عقب الصراع العلمى مع سلطة الكنيسة ومقاومتها التجديد و الابتكار، و أبرز رواد التجريبية الحديثة: روجر باكون (Bacon Roger)(١٢١٣:١٢٩٤م)، و جون لوك (١٦٣٢ : ١٧٠٤م) الذى رأى أن وجود الأشياء فى العقل سبقه وجود فى الحس، ودافيد هيوم وكلود برنار الذى رأى أن التجريب أساس معرفة حقيقة الأشياء، واهتم بالجانب العملى.

‡‡‡) الفيلسوف الألمانى إيمانويل كانت (Immanuel Kant)(١٧٢٤-١٨٠٤م) أشهر فلاسفة القرن الثامن عشر، و هو القرن الذي تطورت فيه الفلسفة و شغلت الحياة العامة، و قد انقسمت إلى اتجاهات، و قد نشأ جدال بينها فى نظرية المعرفة (الأبستمولوجى) فى القرن السابع عشر حتى التاسع عشر، و قد ظهر تياران رئيسان، يرى أولهما أن العقل (Reason) مصدر المعرفة، و أنه منتج الأفكار، و رأى الآخر أن الحواس (Sense) مصدر الإدراك الحسى (Perception)، و أشهر الرواد العقلانيين (Rationalists) رينيه ديكارت الفرنسى (René Descartes، و الألمانيان "باروخ سبينوزا" (Spinoza Baruch) و "جوتفريد فيلهلم ليبنيز"(Leibniz Gottfried Wilhelm)، و قد رأوا أن العقل مصدر المعرفة و أن الاختبار الأساسى لها الاستدلال العقلي القائم على مبادئ الاستنتاج الذاتى أو البديهيات (Axioms) ، و أشهر الرواد المؤيدين للإدراك الحسى للمعرفة من التجريبيين الأمبريقيين (Empiricists) الإنجليزيان "فرانسيس باكون" (Francis Bacon) و"جون لوك" (John Locke) ، و قد ذهبا إلى أن المصدر الرئيس لإدراك المعرفة الحواس، و قد وضع باكون قواعد جديدة للمنهج العلمى، و أبرزها سلسلة قواعد المنطق الاستقرائى(Inductive logic) كقاعدة لتوليد المعرفة، و رفض رأى العقلانيين الذين رأوا أن إدراك عناصر المعرفة ذاتى الوجود.

و قد تبنى إيمانويل كانت اتجاهاً وسطاً توفيقياً بين العقلانيين و التجريبيين، فدمج العناصر العقلية بالتجريبية، إذ وافق العقلانيين على إمكانية الوصول إلى معرفة دقيقة ثابتة، و أقر أيضاً وجهة النظر التجريبية الإمبريقية التى ترى أن المعرفة إخبارية (Informative) عن بنية التفكير ذاته أكثر من قيامها بتعريف العالم الطبيعي خارج نطاق التفكير، و ميزت بين ثلاثة أنواع من المعرفة: أولها ـ المعرفة القبلية التحليلية (Analytical priori)، و تتميز بالدقة و الثبات إلا أنها غير كافية للتعليم (Uninformative)؛ لأنها لا توضح إلا ما يتضمنه التعريف (Definition). و ثانيها ـ المعرفة البعدية المُنتجة (Synthetic posteriori)، و هى التى تُنتج معلومات عن العالم الخارجى نتيجة التعلم من الخبرات ، و هى عرضة للوقوع في الخطأ؛ لاعتمادها على الحواس. و ثالثها ـ المعرفة القبلية المُنتجة (Synthetic priori)، و هى تنتج عن الحدس الخالص (Pure intuition)، و تتميز بالدقة و الثبات؛ لأنها تعبر عن الحالات

بين معطيات المنهج العقلى و المنهج التجريبى، و هو يميز بين البراجماتى "pragmatic" و العملى "practical" (§§§)، و قد كان المصطلح مستخدماً قبله فى الفلسفة الواقعية، و قد ذكره بيرس فى مراجعاته آراء الفلاسفة، و هذا لا ينفى أنه أول من استخدام (Pragmatics) فى علم اللسان، و هو يتناول علاقة العلامة أو الرمز بالمدلول أو بالشيء أو موضوعات العالم، و قد رأى أن السيميائية تعالج العلاقة بين العلامات و مستعملي هذه العلامات، فالثابت أن بيرس مؤسس "علم العلامات" (أو علم الإشارة، أو علم السيمياء)(****)، و قد تأثر فيه بالبراجماتية، فعرف بـ "علم العلامات

الأساسية التى تنطبع على العقل نتيجة الخبرة بالأشياء، و رأى كانت أن هذا النوع من المعرفة تنتجه الفلسفة و الرياضيات، و قيل إن جورج بيركلى (George Berkeley) البريطانى - الإيرلندى (١٦٨٥: ١٧٥٣م) طرح بعض الأفكار البراجماتية بما اطلع عليه من فلسفة لوك التى خالفه فيها متأثراً بآراء الكنيسة فى العالم، و قد رأى أنه لا يوجد شيء اسمه مادة على الإطلاق، و أن ما يراه البشر و يعدونه عالمهم المادى لا يعدو أن يكون مجرد فكرة فى عقل الله.

(§§§) العملى عند كانت ينطبق على القوانين الأخلاقية، و البراجماتى ينطبق على قواعد الفن و أسلوب التناول اللذين يعتمدان على الخبرة. البرجماتية اللسانية، محمود عكاشة، ص ١٠

(****) مصطلح علم العلامة أو الإشارة (أو السيمياء) "Semiotics"، و هما من اللفظة الإغريقية "Semion"، و تعنى: الإشارة أو العلامة، و هنالك اختلاف فى دلالة المصطلح، فبعض العلماء استخدمه بمعنى علم الدلالة الذى يتناول كل الرموز الدلالية أو الدلائل أو العلامات في قلب الحياة الاجتماعية (الألفاظ و العلامات غير اللفظية)، و المشهور أنه يعنى الرموز اللغوية فقط، و استخدم مصطلح السيميوطيقا (Sémiotique) للدلالة على الإشارات أو العلامات، و استخدم فى الاصطلاح العربى الحديث العلامات أو الإشارات، و هو جائز لمفهوم الاصطلاح بيد أنى أميل إلى لفظ "العلامات"؛ لمجيئه فى القرآن الكريم بهذا المعنى: (وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ)[النحل:١٦]، و بعضهم يستخدم: السيمياء أو السيميائية، و هو من سوم، و ليس من وسم، و قد ورد فى لسان العرب: السُّومَة و السِّيمة و السِّيماء و السِّيمِياء: العلامة، و سَوَّمَ الفرسَ: جعل عليه السِّيمة، و سمة بمعنى علامة بيد أنها من وسم مثل صلة من وصل خلاف اسم من سمو على الراجح، و جمع سمة سمات مثل صلات، و قد شابه اللفظ الإغريقى القديم (Semion) اللفظ العربى فى اللفظ و المعنى، و لعله من الكلمات الأصيلة التى تداولتها اللغات القديمة، و يعنى مصطلح "العلامات": نظام السمة أو الشبكة من العلاقات النظمية

البراجماتى" (pragmatic semiotics, pragmatique sémiotique)(††††)، و قد حملت العلامة عنده طابعاً شمولياً متغيراً، و قد عدها كياناً ثلاثياً تتفاعل داخله العناصر التركيبية و الدلالية و البراجماتية فى إطار حركة دائمة تسمى "السيميوزيس"(Semiosis)، و قد طوره الفيلسوف الأمريكى تشالز موريس (Charles Morris)(‡‡‡‡)؛ فجعله علماً عاماً، و استحدث رموز بعض الأشياء، و وضع نظام الشفرة، و قد استخدم المصطلح البراجماتى بمفهومه الاصطلاحى الخاص فى الدراسات اللسانية فى حديثه عن علاقة العلامات بمؤوليها فى كتابه "أسس نظرية العلامات" الذى نُشر عام ١٩٣٨م(§§§§).

المتسلسلة وفق قواعد لغوية متفق عليها في بيئة معينة، و علم العلامة عند بيرس يشمل العلوم الإنسانية و الطبيعية، قال: "ليس باستطاعتى أن أدرس أى شىء فى هذا الكون كالرياضيات، و الأخلاق.. و علم النفس، و علم الصوتيات، و علم الاقتصاد.. إلا على أنه نظام سيميولوجى".

††††) لقد استفادت التداولية من علوم : اللسان و السيمياء و المنطق والفلسفة و علم النفس المعرفى و علم الاجتماع وعلم الاتصال، و قد تأثرت فروعها بهذه العلوم، فـ "أفعال الكلام" مفهوم تداولى منبثق من مناخ فلسفى عام، و هو تيار "الفلسفة التحليلة" بما احتوته من مناهج و تيارات و قضايا، و مفهوم "نظرية المحادثة " انبثق من فلسفة "بول جرايس Grice"، و"نظرية الملاءمة "، و لدت من رحم علم النفس المعرفى، و تعد الفلسفة أكثر تأثيراً فى التداولية من الفروع الأخرى، و روادها الأوائل فلاسفة، و أشهرهم أوستن و سيرل و جرايس .ارجع إلى: مقدمة فى علمى الدلالة و التخاطب، محمد يونس على، دار الكتاب الجديد، ط٢٠٠٧م، ص١٣

‡‡‡‡) ارجع إلى: charles senders Peirce: Ecrits sur le signe. Ed. Seuil, Paris,1978,p.32

§§§§) ارجع إلى: المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة د. سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، ص٢٦، وارجع إلى: الاتجاه التداولى فى البحث اللغوى المعاصر، الدكتور محمود نحلة، ضمن الكتاب الخاص بعيد ميلاد الدكتور عثمان موافى الستين،"فى اللغة و الأدب" دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٣م، ص١٦٧
Morris .C.W (1938) foundations of the theory of singns,chicago university Press , Chicago

وقد ظهرت البرجماتية اللسانية نتيجة أبحاث فلسفة اللغة و المنطق الرمزى التى قدمها أقطاب مدرسة فيينا: جلوتوب فريجه (G.Frege) و رودولف كارناب (R.Carnap) و برتراند راسل (B.Russel) و لودفيج فيتجينشتاين (L.Wittgenstein) و غيرهم حول الدلالة و العلاقات الكلامية و المعنى و المرجع و السياق، و صارت هذه الأبحاث أرضية خصبة لانطلاق نظرية لسانية تفاعلت مع مفاهيم بيرسو تشارل موريس (Ch.Morris)، فظهرت معالم المذهب اللساني.

و قد عرفت البراجماتية اللسانية بعلم السياق، و هو أربعة: أولها . السياق الظرفي. والثاني . السياق الوضعي الذي يتوافق مع المحيط الثقافي للخطاب. والثالث . السياق التفاعلي في التواصل، و هو يحدد نوع التواصل وعناصره. و الرابع . السياق المعرفي(الخلفيات و المراجع و العادات و الأعراف بين المتواصلين).

ولقد صارت فرعاً من اللسانيات الحديثة يدرس ما يتعلق بالتواصل اللغوي في السياق و المقام باعتبارهما شرطين أساسيين في الكيفية التي يحصل بها التواصل و إنتاج الدلالة بين مستعملي اللغة في ضوء علاقاتهم التخاطبية تعبيراً و توجيهاً، حيث إن التواصل اللغوي لا يستند فقط إلى الكفاءة اللغوية، بل إلى توفر الشروط غير اللغوية التي تتدخل في تحديد الأداء اللغوي.

و موضوع البحث فيها: دراسة استعمال اللغة و دلالتها في ضوء العلاقة بين مستعمليها و أفعال الكلام و الاقتضاء و الاستلزام التخاطبي، و ذلك بالاشتراك مع مجالات فلسفة اللغة و منطق الحجاج و تحليل الخطاب، و تدرس البراجماتية أيضاً رد الفعل أو الأثر، أو ما تحدثه اللغة و ما يترتب على الفعل اللغوي[*****]، و هو الجانب الذي تتداخل فيه البراجماتية مع نظرية "أحداث الكلام" التي سيأتي الحديث عنها.

و قد اختلف الباحثون في تحديد مجالات البحث فيها، فقد رأى "جرين" (Green) (١٩٨٩م) و "بليكومور"(Blikmore) (١٩٩٠م) أنها تهتم بدراسة اللغة الطبيعية أو لغة الخطاب اليومى المباشر، و رأى "أ.م. ديلر" و "ف. ريكاناتى" أنها تدرس استعمال اللغة فى الخطاب و الكشف عن المقدرة الخطابية[†††††]، و أنها تدرس معانى القول فى المقامات التخاطبية [‡‡‡‡‡]، فهى تهتم باللغة فى مقام الخطاب، و تدرس السمات الخاصة به قصد تأكيد طابعه التخاطبى، فهي تعنى بدراسة استخدام اللغة فى الخطاب و معرفة السمات المميزة التى تؤسس وجهته الخطابية فى صلب اللغة، و رأى "فرانسواز ريكاناتى "أن البراجماتية فرع من استعمال اللغة فى الخطاب[§§§§§]، و عدها "فان جاك" تخصصاً يتناول اللغة على أنها ظاهرة

*****) لقد تناولت المذهب البراجماتي (التداولي) في كتبي البراجماتية اللسانية و علم اللسان العربي و تحليل الخطاب و مناهج البحث العلمي و مذاهبه.

†††††) المقاربة التداولية، أرمينكو، ص٨. و ارجع إلى: التداولية عند العلماء العرب ، د. مسعود صحراوى ، دار الطليعة للطباعة، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥ ، ص ١٨

‡‡‡‡‡) مقدمة في علمي الدلالة و التخاطب، يونس، ص١٣

§§§§§) ارجع إلى: المذاهب الفكرية المعاصرة ، سماح رافع ، دار المعارف ، القاهرة ، د ت ، ص ٤٩ ـ ٥٢ . و التداولية عند العلماء العرب، د. مسعود صحراوى، ص٥٠.

خطابية و تبليغية و اجتماعية، و عد دراسة استعمال اللغة من مقدمة البراجماتية، و هو ما أكده "فارسشيرن" (Werschueeren) (١٩٨٧م) الذى رأى أن البراجماتية يجب أن تضع دراسة استعمال اللغة بكل جوانبه فى مقدمة بحثها(******)، و رأى "رودوف كارناب " أن البراجماتية قاعدة اللسانيات (††††††).

و يتبين من هذه الآراء أن البراجماتية لم تكتف بدراسة اللغة لذاتها كما فعلت البنيوية، بل تجاوزتها إلى دراسة "استعمال اللغة"، و استدعت عناصر أخرى مرتبطة بهذا الاستعمال و تابعة له، و هى: المتكلم و المتلقى و الكلام و اللفظ و المقام و التواصل و الغرض، و تدرس علاقة النشاط اللغوى بمستعمليه و أساليب استخدام العلامات اللغوية فى "الخطاب"، و السياقات والأنماط المقامية المختلفة التى ينجز ضمنها، و تبحث عوامل نجاح التواصل فيه، و تدرس استعمال اللغة فى الخطاب و توظيفها فى الأنماط التفاعلية و كيفية استخدام الناس الأدلة اللغوية فى خطاباتهم، و كيفية تأويلها، و العلاقة بين مستخدمى اللغة (المتكلم و المتلقى) و علاقتهما بالسياق التواصلى، و العلاقات التأثرية بينهما فى ضوء ما ينتجانه من حوار، فبعض الأشكال اللسانية لا يتحدد معناها إلا من خلال استعمالها ومعرفة القصد منها؛ و من ثم تدرس البراجماتية اللغة الخَطابية و

******) التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ص٤١

††††††) البراجماتية "La pragmatique"، فان. ف. جاك، ضمن الموسوعة العالمية، المدونة رقم١٥/١٩٨٥م.

التواصلية[‡‡‡‡‡‡]، و تعنى بفهم مستعملى اللغة هذه الأنماط الخطابية، و تهتم بمنشئ الكلام (الخطيب، المتكلم) و السياق اللغوى و المقام الخارجى، فهي تتجاوز البنية الخطابية السطحية إلى تقنية التواصل و السياق و القصد، و تدرس كيفية إنتاج المتكلم فعلاً تواصلياً أو فعلاً كلامياً فى إطار موقف كلامى محدد و فهمه أو تفسيره، و هنا يتجلى دور نظرية الاتصال فى دراسة طرفى التواصل و قناته و سياقه اللغوي و مقامه، فتتداخل معها في هذه العناصر المساعدة.

و تتجاوز البراجماتية حيز الوضع الأصلى المباشر فى بعض السياقات التى لا يقصد فيها المتكلم الدلالة المباشرة من الكلام، و تستهدف المعنى المقامى غير المباشر، و هذه المعانى لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال فهم اللغة فى مقام الاستعمال الذى يحدد قصد المتكلمين، فالوضع اللغوى وحده لا يكفى لمعرفة هذا المعنى المقامي[§§§§§§]، فبعض المعانى الثانوية

‡‡‡‡‡‡) ارجع إلى: التداولية عند العلماء العرب، ص٢٠، و التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار اللاذقية، ص٤١. و مقدمة فى علمى الدلالة و التخاطب، محمد محمد يونس على، دار الكتاب الجديد، بيروت، ص١٣، و المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة د. سعيد علوش، مركز الإنماء القومى، بيروت، ص٢٦، و علم التخاطب الإسلامى، محمد محمد يونس على، دار الكتاب الجديد، بيروت، ص ١٤.

§§§§§§)الوضع اللغوى أصل وضع اللفظ المصطلح عليه، و يسمى المعنى المعجمى و الحرفى و السطحى، و الصواب معنى اللفظ العام، و المعنى السياقى الذى يرتبط بالسياق الخارجى ، و يفهم فى ضوء علاقة المتكلم بالمتلقى وعلاقتهما بموضوع الحدث، مثل عبارة: السلام عليكم، المعنى الأصلى: التحية، و بعض المترجمين غير الواعين بالتعبير العربى،يسمون هذه المعنى المباشر من السياق اللغوى المعنى السطحى و الدلالة السطحية، و ليس بمعنى سطحى فى العربية بل أصلى، و يرتبط به المعنى المجازى أو الثانوى، أو معنى المعنى، وهذه العبارة قد تؤدى معانى أخرى ترتبط بالسياق الخارجى، مثل: الوداع و الاستئذان و التهكم والاستحسان، وهى معانى يكتسبها التعبير من طبيعة السياق الخارجي و ثقافة المجتمع والعلاقة بين طرفى الاتصال، و يبقى معنى السياق اللغوى الأصل، وإطلاق المعنى الحرفى عليه غير صحيح، فالمعنى الحرفى يجافى معنى السياق اللغوى الذى يرتبط بعلاقة الكلمة بما

للتعبير كالسخرية و الاستنكار و المدح و الذم تستفاد من علاقة الخطاب و المتكلم بالمقام الخارجى(*******)، و تدرس كذلك الأساليب الأدبية الخاصة التى يوظفها الكاتب فى عمله الإبداعى و وجوه تأويلها و القصد منها.

و تقوم البراجماتية على ثلاثة عناصر:

أولهما . العنصر الذاتي الذي يتمثل في التعبير عن معتقدات المتكلم و مقاصده و اهتماماته و رغباته.

والثاني . العنصر الموضوعي الذي يتمثل في الوقائع الخارجية، و منها الظروف الزمانية و المكانية.

والثالث . العنصر الذي يدل على المعرفة المشتركة بين المتكلم و المخاطب.

وهذه العناصر تفسر الأقوال المستعملة بمساعدة المحيط الخارجي الذي تم فيه الخطاب الصادر من المتكلم.

وقد ميزت البراجماتية اللسانية بين معنيين فى التعبير اللفظى (الفعل التواصلى اللفظى): الأول . معنى الجملة الإخبارى. و الآخر . القصد التواصلى أو غرض المتكلم، و هذا من خلال العناية بآثار الاستعمال و أثر السياقات المختلفة فى المعنى، و هو موضوع البراجماتية اللسانية، و يتبين

جاورها فى التركيب و وظيفتها فيه، فكلمة "السلام" يختلف معناها باختلاف السياق اللغوى مثل: السلام عليكم، السلام بين الشعوب،(لهم دار السلام)، مبادرة السلام (المصالحة)، مدينة السلام من أحياء القاهرة.

*******) مثال هذا قوله تعالى:(إنك لأنت الحليم االرشيد) [هود : ٨٧] أى:عند نفسك بزعمك، و مثله في صفة أبى جهل: (ذق إنك أنت العزيز الكريم) [الدخان: ٤٩] أى: عند نفسك بزعمك، لا يراد ظاهر معناه المباشر بل معنى سياقى فى ضوء العلاقة بين المتكلمين و المخاطب، وهو معنى السخرية، و هذا من المفارقات فالمراد خلاف المعنى المباشر.

من هذا الفرق بين موضوع البحث فيها و موضوع البحث فى علم الدلالة الذى يبحث فى المعنى اللفظى.

القصد في البراجماتية:

يعد القصد الواقعي المستفاد من استعمال اللغة هدف البراجماتية الرئيس، و هو فى مقدمة بحثها أيضاً لتأثرها بالفلسفة العملية التى تستهدف الفائدة، وهذا يفهم من تحليل ما يقصده المتكلمون من خلال ما يستخدمونه من تعابير فى سياقها اللغوي و مقامها، فالمقصود دراسة المعنى الذى يتضمن قصد المتكلم، و ليس المعنى التركيبى(النصى) و معانيه الوضعية و التركيبية، و تعنى البرجماتية باستنباط ما يقصده المتكلمون من وراء أقوالهم فى مقاماتها، و بحثت أثر المقام فيما يقال في ضوء معرفة أحوال الأشخاص الذين يخاطبونهم و مكان الخطاب و زمانه و ظروف إنتاجه، و لهذا تتداخل مع علم اللغة الاجتماعي في تبيين أثر العلاقات الاجتماعية بين المشاركين في الحديث و موضوعه و مرتبة كل من المتكلم و السامع و نوعهما، و أثر السياق غير اللغوي في اختيار السمات اللغوية و تنوعاتها، و تتداخل مع علم اللغة النفسي الذي يبحث قدرات المشاركين التي تؤثر في أدائهم مثل: الانتباه و الذاكرة و الشخصية، و تتداخل مع تحليل الخطاب تداخلاً عميقاً في الاهتمام بتحليل الحوار و في توزع المعلومات في جمل أو نصوص ، و في العناصر الإشارية، و المبادئ الحوارية، و هي العوامل الموصلة إلى فهم القصد.

و لقد بدأ بحث القصد فى العصور الوسطى بيد أنه كان ذا طابع فلسفى، و يراد به الفعل الذى يتجه فيه العقل إلى الموضوع ليدركه، و قد اهتم الباحثون بالظواهرية اللغوية (Phenomenal language) لمعرفة القصد، و قد رأى فرانز برنتانو (Franz Brentano) (١٨٣٨ : ١٩١٧م) أنه يحتاج مزيد بحث، فأقنع تلميذه إدموند هوسرل (١٨٥٦-١٩٣٨م) ببحثه بحثاً جديداً بعد أن أصبح القصد هدف البرجماتية الرئيس، فطوره فى نظريته الفينومنولوجية(†††††††)، و قد رأى أن القصد يتحقق من

†††††††) ألفينومينولوجيا (Phenomenologie) : لفظ أصله لاتينى، و ترجمته "علم الظواهر، و يجوز: "الظواهرية"، و لا أقول الظاهرية؛ لئلا تلتبس بمذهب ابن حزم إمام الظاهرية، ولها ترجمات أخرى منها: " الظاهراتية "، و هو شاذ لغة، فجمع الظاهر ظواهر، و استخدم اللفظ الدخيل "الفينو مينو لوجيا"، و يقصد به: العلم الذى يكتفى بدراسة الظواهر الواضحة فى الشعور دراسة وصفية مع تحليل الشعور و كشـــف حقيقة أفعال "الإدراك و مكوناتها"، و ترجع جذوره إلى فلسفة توما الأكوينى (١٢٢٥: ١٢٧٤م) الذى تأثر بفقهاء الأندلس و فلاسفتها، و قد تناول مفهومه فى كتابه "حول الوجود و الماهية"، و قد رأى فيه أن وجود الشىء خارج العقل يختلف عن وجوده داخل العقل، و استخدمه اللاهوتى الألمانى فردريك أويتنجر (١٧٠٢: ١٧٨٢م) في وصف النظام الإلهى للعلاقات بين ما هو إلهى و ما هو إنسانى؛ للتعبير عن القدرة الإلهية، و استخدمه الفيلسوف الألمانى لامبرت (١٧٢٨-١٧٧٧م) فى وصف المعطيات المباشرة للتجربة، و استخدمه كانت فى أواخر القرن الثامن عشر، و هو يفرق بين ظاهر الشىء و باطنه، و ميز بين المعرفة البشرية و بين الشىء فى ذاته، فرأى أن المعرفة البشرية تقتصر على الظاهر دون الشىء فى ذاته، و قد شاع المصطلح فى القرن الثامن عشر للدلالة على المظاهر الجوهرية للمعرفة التجريبية و خصوصاً المعطيات الحسية، و استخدمه بعد ذلك "هيجل" فى أوائل القرن التاسـع عشر، و أطلقه على "علم ظواهر الروح" الذى تبنى فيه رؤية مثالية فى وصف تجليات الروح عبر التاريخ (المؤسسات الدينية و الاجتماعية و السياسية)، و سجل هذا فى كتابه "ظواهر الروح" الصادر عام ١٨٠٧م، و استخدمه عالم النفس النمساوى فرانز برنتانو (١٨٣٧-١٩١٧م)، و ورأى أنه فى حاجة إلى بحث، فنصح تلميذه الألمانى أدموند هوسرل (١٨٥٩ ـ ١٩٣٨)، فدرسه و توسع فيه، و جعله اسم فلسفته التى تبناها فى أوائل القـــرن العشرين، و اقترن" فينو مينو لوجيا "به لشهرته فى هذا المجال، وقد اقتفت هذه الفلسفة فى بدء ظهورها خطوات التحليل الرياضى والوصف العلمى، و لكنها انحرفت عن هذا متأثراً بالفكر التقليدى، ولكن هوسرل استطاع أن يحول

خاصية الشعور الحقيقى الذى يتجه نحو شىء، و لا يستطيع أن يفصح عن نفسه إلا بعد أن يكون مقصده شيئاً محسوساً، فيستخلص معناه من الواقع، و يعبر عنه بكلام ذى دلالة دقيقة، فالقصد عنده سابق الكلام(‡‡‡‡‡‡‡)، و قد تأثر هوسرل فى تعيين القصد بـ "برنتانو" الذى وضع "علم النفس القصدى"(§§§§§§§)، و قد درسه هوسرل على يديه و تأثر به، و قد رأى

الفلسفه من مجرد مذاهب نظريـــــــة متناقضة و أبنية ميتافيزيقية خاوية إلى علم يقينى دقيق يوصـــل إلى حقائق يقينية تكون أساساً لكل العلوم الأخرى الممكنه، و ذلك مثلما أراد "كانت" من قبل تأسيس الميتافيزيقيا علماً صحيـــحاً مستقلاً، و حدد هوسرل منهجاً جديداً للعلم الجديد "الفينو مينو لوجيا" يتفق مع طبيعته وأهدافه، و يجمع بين التحليل الرياضى و الوصف العلمى برؤية جديدة. ارجع إلى: نظرية القيم فى الفكر المعاصر بين النسبية و المطلقية، ميمون ربيع، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،١٩٨٠م، ص١٣١

‡‡‡‡‡‡‡) القصد: الهدف المضمر القائم ـ فى رؤية هوسرل ـ على وعى المتكلم و العالم الخارجى معاً، و يعد برنتانو أول من قدم فكرة القصد بمفهومها الفلسفى الحديث، و قد رأى أنها تحتاج بحثاً، فنصح تلميذه هوسرل بمواصلة بحثه فيها، فقدمها فى شكلها النظرى الأخير، فاستطاع أن يختار منهجاً وسطاً بين المادية و المثالية، فعرف اتجاهه بالاتجاه المحايد، و قد ركز هوسرل فى العملية المعرفية على القصد باعتباره موجه عملية الإدراك، و جعل هوسرل كل ما هو موجود موضوع التأمل الفينومينولوجى، و رأى أن الوعى الخالص يلازم بالضرورة ماهية الموجود، ذلك أن الموضوع لا يعرف التعالى إلا من خلال وعيه، و هو يستمد معرفته التجربة والوعى الخالص فى ذهن صاحبه، و هذا الوعى الخالص يصبح مطلب الذات العارفة التى تريد أن تصل إلى ماهية الموجود، و يستحضر الوعى الخالص داخل بؤرة الشعور عند هوسرل فى وجود القصد، و هو يتكون عند هوسرل من سلسلة التجارب التى مرت بها الذات العارفة من خلال لحظة فلسفية تحدث نتيجة شعور بموضوع معين، و يتحقق القصد تحت تأثير الرغبة فى معرفة الموضوع، قال هوسرل: "إن الشعور بشىء لا يعنى أن نفرغ الشعور من هذا الشىء بل أن نجعله يتجه إليه حيث إن كل الظواهر لها تكوينها القصدى الذى يوجه الإدراك نحوها تلقائيا". ارجع إلى: كير كارد رائد الوجودية، عبدالفتاح إمام، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، ١٩٨٦م، ص١٥.

§§§§§§§) لقد أقام هوسرل فلسفته على أساس الشعور المجرد، لكونه المجال المحايد للمعرفة اليقينية، و لاتصافه بصفة القصد (Intentionnalite)، و هذه الصفة جوهرية وأساسية فى الفلسفة الظواهرية، فمن خصائص الشعور أنه يتجه إلى الأشياء التى تواجهه من أجل أن يدركها، فيحولها إلى (ظواهر ذات طبيعة ثابتة)، لتكون الأساس الذى تبدأ منه كل معرفة يقينية، و قد استعار هوسرل مصطلح "القصد الشعورى" من أستاذه الفيلسوف عالم النفس النمساوى

برنتانو أن حالات العقل الرئيسة ينبغى أن توصف فى ضوء القصد نحو الأشياء؛ لأن جميع الحالات حالات عن أشياء سواء أكانت حقيقية أم غير حقيقية، و أن حالات العقل المختلفة حالات عن موضوعاتها بأشكال متباينة، و يتعين القصد بضوابط وصفية يعرف بها(********).

و قد تبنى هوسرل رؤية تقوم على أساس الشعور المجرد؛ لكونه المجال المحايد للمعرفة اليقينية، و لارتباط القصد (Intention) به، و قد رأى أن القصد العنصر الجوهرى و الأساس فى الفلسفة الظواهرية من بين ثلاثة أسس تقوم عليها الظواهرية، و هى: المعنى، و القصد، و الحصر (تحديد الواقع و الوعى الذاتى تجاه الموضوع فى اللحظة التى يتعالى فيها الشعور)(††††††††)، و قد رفض هوسرل التفسير الفينومينولوجى المغالي في

فرانز برنتانو (١٨٣٨ : ١٩١٦م) الذى الذى استخدمه فى كتابه "كشف النفس"، و قد حاول برنتانو وضع تخطيط منطقى للتصورات الذهنية؛ لتكون تمهيداً لعلم النفس التجريبى، و قد فسر هوسرل الوجود على أنه ظاهرة، و قد كان يفسر فى صيغة جوهر ذى محمولات متعددة، فنظر إليه على أنه ظاهرة، و ظاهر الوجود هنا ليس مقابل باطنه المستتر، فالوجود نفسه يمثل هذا الظهور، و لا يتضمن وجوداً آخر خلفه (ما وراء الطبيعة)، و ينبغى دراسته من خلال سلسلة تجلياته التى تظهر لنا.

(********) لقد حدد هوسرل الوصف شروطاً للوصف الصحيح: أولها ـ تحديد الكيفية التى تتم بها عملية إدراك المعنى و ماهية الموضوع من خلال إسقاط الإدراكات التى تتجه إلى ما لا إدراك. و ثانيها ـ اليقين الذى يؤدى إلى إثبات الموضوع على النحو الذى أدركه عليه أو من خلال إدراك الاعتقاد. و ثالثها ـ تحديد معنى الإدراك وماهيته للوصول إلى ماهية الموضوع، و مذهب الفينومينولوجية يقصد التمكين لفكرة الماهية، و وضع ثلاثة شروط لتحديد ماهية الموضوع: الأول ـ تحديد قضية أو حكم يصلح أن يكون موضوع الإدراك. الثانى ـ الشك فى ماهية الموضوع الأولى، و ذلك فى حقيقة صورته و غايته و صدقه. الثالث ـ إعادة بناء الإدراك الجديد، لإثبات صواب الموضوع أو خطئه. وهذه المراحل الثلاث تعطى للتجريد بعداً فينومينولوجيا إذا ما استطاع العقل أن يميز بين المعنى المنطقى و المعنى الفينومينولوجى.

(††††††††) الحصر: تحديد الواقع و الوعى الذاتى تجاه الموضوع فى اللحظة التى يتعالى فيها الشعور، و تتبع عملية الحصر إقصاء ما وقع خارج الحصر، و عملية الحصر أو التعالى تقوم

الظواهر دون المعاني و المقاصد و البحث الماهوى و الاختزال، و دعا إلى إقصاء القارئ أحكامه السابقة فى مواجهة موضوع النص؛ لئلا تصرفه عن فهم النص.

و قد بحث هوسرل القصد فى العمل الأدبى، و رأى أن موضوع النص يدرس لذاته مستقلاً عن أحواله و ظواهره دراسة وجودية (Ontology) فى وعى المؤلف، و قد حصل المؤلف موضوعه و الصورة التى تشكلت فى ذهنه عن الواقع و طبيعته و دلالاته المتعددة من خلال الخبرة الحياتية المباشرة، و يتوجه المؤلف عن قصد لإعطاء شكل لذلك الموضوع الوجودي من خلال اللغة و الشكل الفنى للعمل الأدبى، و يعد العمل الأدبى بهذا تجسيداً جمالياً لصورة الحياة فى وعى المؤلف، فالنص الأدبى عنده تجسيد ظواهر العالم على ما تجلت عليه فى وعى المؤلف مخالفاً بهذا مذهب موت المؤلف، و القصد عنده: قصد المؤلف الكامن في وعيه، و يتحقق من

على إقصاء الحكم القبلى أو الجاهز عن الموضوع، و هى الخلفية التى يعكسها على الموضوع. و تحديد ماهية الموضوع(حصر الماهية)، و هذا يتطلب إقصاء الخلفية السابقة و فرضيات النظريات الميتافيزيقية، و هى فى النهاية تجتهد فى التوفيق بين الواقعية و العقلانية المثالية. و قد رفض هوسرل الشك الديكارتى منهجاً لمعرفة ماهية الموضوع، و رأى أن الشك نفسه عملية يصدر من خلالها حكم على الموضوع المقصود فى ذاته، و من ثم لا يمكن أن يحقق معرفة بإصدار حكم على حكم، و المذهب الفينومينولوجى يرفض الأحكام التى لا يتجلى فيها الوعى الخالص، فالإدراك المرتبط بالوعى الخالص و المدعم بالقصد يقوم بالحصر و الإقصاء، فالحكم يكون فى لحظة تجلى الوعى الخالص، و قد أعطى هوسرل للذات العارفة لحظة مثالية لأجل تأمل الموضوع تأملاً وصفياً جوهرياً فى ضوء شروط إدراك الموضوع، و ذلك بربطه بالأحوال النفسية ذات التى تأثر بأحوالها الشعورية، و المنهج الفينومينولوجى لا يهتم بالحكم فى ذاته، بل يهتم بطريقة المتأمل التى توصل بها إلى ماهية الموضوع .ارجع إلى: تاريخ الفلسفة المعاصرة فى أوربا، بوخينسكى، ترجمة عبد الكريم الوافى، مكتبة الفرجانى، ليبيا، ص ٢١٨

الوحدة الموضوعية التى تضفى الانسجام و الترابط على أجزائه، فالمعنى لا يفهم من محصلة تشابك العلاقات التركيبية و الدلالية للنص، بل يفهم عندما يكون وجوداً منجزاً و متعالياً على الوحدات النصية، و مكانه وعى المؤلف، و علته قصد المؤلف، و يصبح معنى النص: الموضوع الذهنى الذى يحمله المؤلف فى عقله أو يقصده وقت الكتابة حقيقة عندما يتطابق مع عالمه الخارجى أو يواقعه، و يصبح عقل المؤلف الجوهر الموحد لكل عناصر النص و كل مستوياته الدلالية و الأسلوبية و البلاغية و الشعرية(‡‡‡‡‡‡‡).

و تتحقق القراءة الصحيحة عنده بإعادة القارئ تشكيل التجربة الشعورية للمؤلف التى يكشف عنها النص، و يشترط لها تعليق جميع الأحكام السابقة و الافتراضات القبلية عند القارئ و التقييم و تصنيف الأفكار؛ لئلا تحجبه عن مقاصد المؤلف، و أن يحاول القارئ أن يفهم النص من خلال معطياته من أجل تحقيق فهم موضوعى للمعنى النصى الذى يتطابق مع قصد مؤلفه، و تتم القراءة هنا من خلال انفتاح الذات على الآخر و محاولة فهمه ذاتاً غيرية، و ليس صورة انعكاسية للذات فقط، و تتحقق هذه المرحلة بافتعال نوع من التواصل بين الذوات فى سياق متعالٍ؛ ليكتشف مركبات الوعى ذاته، و الظواهر نفسها، و تتجلى الروح المتعالية فى فهم القصد

(‡‡‡‡‡‡‡) من فلسفات التأويل الى نظريات القراءة، عبد الكريم شرفى، الدار العربية للعلوم، ناشرون ومنشورات الاختلاف، ط ١/ ٢٠٠٧م، ص ١٠٤،١٠٥.

عندما يبتعد القارئ عن التجريبية و الروح النفسية (Psychology) التى تفسر الأحداث التاريخية و تتوقف عند العمليات العقلية الخالصة.

و قد درس "أريك دونالد هيرش" الناقد الأمريكي(و: ١٩٢٨م) القصد، و هو من أتباع التيار النفسى (Psychology) فى النقد و القراءة، و هو تيار قام على أفكار شلاير ماخر و دلثاى و هوسرل، و لكن هيرش دافع عن مفهوم إعادة البناء النفسى للتجربة الشعورية للمؤلف هدفاً و غاية للعملية الهرمنيوطيقية (الاستبطانية أو التأويلية)، و رفض مسلمات ما يعرف بـ "النقد الجديد الأمريكى" الذى قام به "ومسات" (W. K. Wimsatt) و "بيردسلى" (Monro Beardsley) حول القصد، و قد أطلقا على دراستهما "المغالطة القصدية" (Intentional Fallacy)، و قد ذهبا إلى أن قصد القائل قد يغيب عن المتلقى، فيخالفه فى التفسير و يرى غيره، و قد خالفهما هيرش، و رأى أن قصد المؤلف يحدد المعنى النصى، و قال: "إن التحقق من النص يعنى الإقرار بأن المؤلف ربما قصد ما نظن أنه هو معنى النص، لا غيره، و تتمثل مهمة المؤول الرئيسة فى أن يعيد هو نفسه إنتاج منطق المؤلف و اتجاهاته و معطياته الثقافية ثانية"(§§§§§§§§).

و قد رأى "هيرش" أن "النص يعنى ما قصده المؤلف"، و أن معناه اللفظى قد يكون واضحاً، و قد يكون غامضاً و يحتمل وجوهاً متعددة، و أن النص

(§§§§§§§§) الحلقة النقدية، الأدب والتأريخ و الهرمنيوطيقا الفلسفية، ديفيد كوزنز هوى، ترجمة خالدة حامد، منشورات الجمل، كولونيا(ألمانيا)، بغداد ٢٠٠٧م، ص٢٦،٢٧.

يقبل أن يعيد القارئ إنتاجه، و أنه يتضمن قصداً أو معنىً واحداً؛ لأنه الأصل الذى عمد إليه المؤلف، و حاول بلوغه و تقديمه إلينا، و أنه يمكن الاستعانة بالسياق الخارجى؛ لتعيين القصد، و لدفع الاحتمال الذى يفهم من قطع النص عن سياقه، فالرجوع إلى المؤلف أو إلى الوثائق التى تركها حول نصّه أو إلى عصره و الظروف التى أحاطت بنشأة المؤلف و ثقافته يسد باب الاحتمال و القراءات الجديدة، و لا يحقق الوصول إلى المعنى المقصود، و قد خالف هيرش الذين يكتفون بالنص وحده مقطوعاً عن مؤلفه و مقامه فى تحصيل قصد المؤلف، و رأى أن القارئ قد لا يستطيع الوصول إلى المؤلف أو شىء عنه، و قد لا تتوفر لديه الوثائق الكافية لمعرفة مناسبة النصّ، و ليس لديه إلا النص، و هو الحقيقة الثابتة التى يستطيع القارئ دراستها من خلال تركيبه اللغوى و القرائن الموجودة فى داخله، و أن قراءة المتلقي هذا النص المبتور عن عالمه تختلف عن غيره، و بعضها يتعارض فى تفسير نص واحد، و رأى أن هذا التعدد و التعارض دليلا "الفوضى" فى هذا الاتجاه الذى يكتفى فى التفسير بالنص و يعزله عن سياقه، و انتقد التيار المتطرف الذي دعا إلى موت المؤلف (إقصائه عن التفسير، و اكتفاء بمعطيات النص اللفظية)، و قد خالفهم آخرون، ورأوا أن النص هو المؤلف، و لم يتورط المفسرون العرب المتقدمون فى هذا الجدل الفلسفى، فقد عالجوا النصوص معالجة كلية فى ضوء سياقيها اللغوى و مقامها الخارجى و تحري قصد قائليها بالقرائن المصلة إليه، فهي تعبير عن أغراض قائليها.

و قد ذهب مارتن هايدجر(Martin Heidegger) الفيلسوف الألماني (١٨٨٩: ١٩٧٦م) إلى أن ما قبل الإدراك الانعكاسى و المعرفة السابقة ضروريان فى عملية الفهم، و قد تبنى دمج فعل التفسير بفلسفة ظواهرية وجودية تركز على الوجود أو ما هو كائن فى هذا العالم، و ربط عملية الفهم بنوع من الحركة الدائرية المتواصلة بين الفهم و المعرفة القبلية (الإدراك الانعكاسى)، و هو الوعى بالشىء كما هو معطى للوعى، فمعرفتنا بالموضوع لا يمكن أن تتشكل معزولة عن خبرتنا الحياتية و طبيعة وجودنا التاريخى و معرفتنا القبلية، و أن الوعى يتحرك بدينامية بين ما يعرفه مسبقاً و بين ما يعرفه من دلالات و معانى جديدة يطرحها الموضوع المعطى، و يتم هذا ضمن سياق تاريخى له شروطه، و تصبح محصلة هذه الدائرة النقدية التأويلية المعرفة النظرية التي تأتى هنا للكشف و الإنارة، و ليست معرفة المعنى المنجز التام، و قد خالف بهذا هوسرل في رفضه التحول عن معطيات النص إلى معارف قبلية خارجية.

و قد أيّد جدامير مفهوم هايدجر "ما قبل الإدراك الانعكاسى" و أقواله فى التصورات السابقة، فهو يؤكد فى كتابه "فلسفة التأويل" أن هايدجر اقترح وصفاً فينومينولوجيا دقيقاً و صحيحاً عندما كشف عن بنية الاستحضار السابق للفهم على أنها نشاط فعلى و عملى فى القراءة المفترضة لما هو موجود أمام أعيننا(*********).

(*********) ارجع إلى: فلسفة التأويل: الأصول، المبادئ، الأهداف، هانز جورج جدامير، ترجمة محمد شوقى الزين، الدار العربية للعلوم، ناشرون ومنشورات الاختلاف والمركز الثقافى

و قد رأى أن الحالة الزمنية المؤقتة(Temporality) و الحالة التاريخية (Historicality) موقف عقلى فى حاضر المرء الذى ينظر إلى الماضى و يستشرف المستقبل) جزء لا يتجزأ من وجود كل كائن فرد، و رأى أنه لكى نفهم شيئاً ما يقتضى أن يتضمن التفسير التجربة الذاتية لمؤلفه، فقراءة النص وحده لا تكفى فى الفهم، و أن اللغة مثلها مثل الزمنية المؤقتة تتخلل كل جوانب التجربة و تشملها، و رأى أن القارئ يعكس على النص فهماً مسبقاً (Pre–Understanding)، و هذا الفهم السابق يتألف و يتشكل فى النص متزامناً مع زمنية القارئ الشخصية و آفاقه، فالمبدع الفاعل(منتج النص) لا ينبغى له أن يحاول تحليل النص، أو أن يقوم بتقطيع أوصاله على أنه مفعول به(متلقياً)، أو لأنه يتعلق بذاته، فهذا عمل القارئ و دوره التفسيرى، فـ "أنا" تخاطب "أنت" القارئ المسئول عن التفسير و الفهم، و يجمع بينهما إرث لغوى مشترك و تفاعل و استجابة، ذلك أن المعنى المفهوم من النص عبارة عن حدث (An event) نتيجة الانصهار و الاندماج بين النص و القارئ، و أنه لا توجد معان ثابتة للنص، و هذه هي القراءة الحرة المنطلقة إلى المستقبل و المنتجة للنص في زمن قراءته، و قد تناولت هذا قبل في المذهب الهرمني، و بينت علل بطلانه علمياً.

العربى، ط ٢، ٢٠٠٦،ص ١٢٥، و فعل القراءة، نظرية جالية التجاوب، فولفغانغ إيرز، ترجمة د. حميد لحمدانى و د. الجلالى الكدية، منشورات مكتبة المناهل، فاس، ط ١/ ١٩٩٥م، ص١٣، ١٤

و قد حاول جدامير حل مسألة الحلقة التفسيرية عند هايدجر، فلم يركز على الصلة بين الأجزاء و الكل حسبما هو فى التفسير الشليرماخرى، بل على دراسة العلاقات المتبادلة بين ما قبل الإدراك المعرفى و الإدراك الانعكاسى، و رفض الأغراض المنهجية التى تهدف إلى نسف "الحلقة التفسيرية"، و خالف هايدجر الفلاسفة ذوى التوجهات الوضعية الذين طالبوا بنزع المقدمات (ما قبل الإدراك) عن المعرفة؛ للتحرر فى الحكم على النص، و رأوا أنه عملية أساسية و ضرورية و هامة فى المعرفة(†††††††††)، و قد رأى جادامير أن القارئ لا يستطيع أن يتخلص من كل خلفياته و تراثه، و لن يستطيع أن ينقى وعيه إلى درجة الصفر، و هو يفسر النص، فلن ينقطع عن تجاربه و معرفته السابقة، و أطلق على هذا "الإدراك الانعكاسى" الذى يعكس فيه على النص خبرته و وعيه، و قد يدفع هذا القارئ إلى أن يتخذ موقفاً من النص، فيفسره وفق سياق خبرته السابقة، و قد رأى أن القراءة تختلف باختلاف التاريخ و المحيط، و أنه يستحيل استرجاع سياق النص التاريخى فى الزمن اللاحق، و يصل من هذا إلى أنه لا توجد قراءة واحدة، أو قصد واحد، و لكن هيرش خالفه، و رأى أنه من الممكن التعرف على قصد المتكلم فى حالة استدعاء ظروف إنتاج النص الحقيقية(‡‡‡‡‡‡‡‡‡).

(†††††††††)ارجع إلى: التحليل النفسى والفلسفة الغربية المعاصرة، سيجموند فرويد، ترجمة د. زياد الملا، دار الطليعة الجديدة، سوريا، دمشق ط١ ١٩٩٧،ص١٧٧

(‡‡‡‡‡‡‡‡‡) لقد تبنى هانز جورج جادامير تلميذ وليم هيدجرفلسفة أستاذه، وصاغ منها نظرية فى التفسير النصى، و تناول رؤيته فى كتابه "الحقيقة و المنهج" الصادر فى عام ١٩٦٢م، و قد

نقد المذهب البراجماتي:

أ . أن الغالب عليه الفلسفة، و ليس البحث العلمي، و لهذا تتازعته اتجاهات فلسفية، و كل واحدة تدعيه لنفسها.

ب . أنه قسيم حقول معرفية مختلفة، فهو فلسفي و اقتصادي و رياضي و سياسي و لساني و بلاغي و نقدي، و مفتوح للاتجاهات العملية، و ليست هنالك فواصل بينها.

ج . أنه مثار نقد في تنظيره و تطبيقه، فمازال فى مرحلة النضج و التطوير و التنظير و التطبيق، و مازال قابلا الزيادة و التبديل و التصويب.

د . أنه ليس لها منهج واضح أو مجال بحثى محدد، فهو يتداخل مع العلوم التي تفاعل معها و تأثر بها، فهو فلسفة أكثر منه مذهباً بحثياً، فهو لا يمثل مذهباً بحثياً مستقلاً، بل يتنازعه علم اللسان و البلاغة و النقد و

ترجم إلى الإنجليزية فى عام ١٩٧٥م، والهرمنة أو التأويل عند جادامير ليس محاولة لتأسيس معايير للتفسير السليم، بل هو محاولة لوصف الكيفية التى ننجح بها فى فهم النص، و قد رأى أن البحث عن معنى النص الثابت والمحدد قد صار سراباً و وهماً؛ لأن معنى النص يصمم بشكل مشترك من كل من الظروف الآنية المعينة و الأفق الشخصى(personal horizon) للقارئ الفرد، و من ثم لن يكون ممكناً أن يتحقق تفسير صحيح واحد؛ لأنه لا يوجد معنى واحد دائم، فمعناه الآن الذى أراه خاص بى، وهو غير الذى يراه غيرى فى المستقبل، و من ثم توجد فجوة بين معنى النص الآن و بعد حين، فالجانب التاريخ متغير عن الجانب الشخصى للمؤلف فى النص،و كذلك المتلقى، و يتحقق، ويستحيل استرجاع ظروف إنتاج النص؛ ليفهم فهماً يتسق مع رؤية المؤلف، و قد خالفه هيرش، فرأى أن القارئ يمكن أن يفهم قصد االقائل إن استطاع إعادة بناء الشروط اللسانية و الأدبية و الثقافية للمؤلف التى تمكنه من أن يحدد المعنى اللفظى الذى لا يعروه تغيير عما أريد به فى الماضى، وهذه الرؤية تتسق مع ما اصطلح عليه علماء التفسير القرآنى المسلمون الذين اعتبروا السياق اللغوى و المقام الخارجى المتعلق بأسباب النزول فى التفسير، و أن المقاصد لم تختلف عندهم، بل وجوه التفسير. ارجع إلى: تأويل الخطاب الديني بين السلف و الهرامنة، ص ١٥ فما بعدها.

الفلسفة و الرياضيات و علوم أخرى، و يعد هذا التداخل و التنوع سببين رئيسين فى عدم وضوح مذاهبها التحليلية و معاييرها البحثية.

هـ . أنه ليس له معايير تحليلية واضحة يمكن تعميمها في كل بحث، فقد سلك أتباعه مذاهب متنوعة في التحليل منبعثة من رؤيتهم الخاصة و قناعتهم الشخصية بها و تأثرهم بمذاهبهم الفلسفية، و من ثم ليس له معالم واضحة فى التحليل.

و . أنه لا يحظى بمساحة بحثية واسعة فى علم اللسان، فاللسانيون يتعصبون للأصول اللغوية في البحث أكثر من الأفكار البراجماتية التي تتسع لمحاور نظرية و جدلية، بيد أن بعض الدراسات المتأخرة اتجهت إلى تأسيس علم اللسان البراجماتي بمعايير ثابتة؛ و هذا ممتنع؛ لأن البراجماتية فلسفة أو أفكار لا تحتويها المعايير العلمية.

ز . أن بعض باحثي اللسانيات رفضوها في البحث اللساني؛ لأنها تهتم بما هو خارج اللغة أكثر من عنايتها بها، و قد عدها بعض النقاد" صندوق القمامة" للسانيات حيث يرمى فيها كل ما لا يمكن دراسته ضمن مستويات علم اللغة الرئيسة (الأصوات و الصرف و النحو و الدلالة).

ح . أنها تفتقد إلى القواعد العامة و المبادئ التى تعين أسسها، و أن ما تطرحه من مبادئ لا تضع تصوراً دقيقاً للتفسير البراجماتي، و أن الأسس العامة للسياق لا تكفى فى تفسير كل السياقات و أنماط الخطاب.

ي . أنه . عند من يعده فى علم اللسان . أهمل بعض العناصر اللغوية الأساسية، ففقد استبعد العناصر الصوتية و الصرفية و القواعدية من بحثه

لانشغاله بما هو خارج البنية اللغوية، و أنه لم يعالج الأخطاء اللغوية و النحوية، و أنه لم يعتد بالوضع اللغوي للفظ، و اهتم فقط بالمعنى الثانوى، و تجاوز المعنى المباشر للتركيب، و لم يعتمده أساساً فى مقابل توسعه فى الاستعمال اللغوى و علاقة اللغة بالسياق الخارجى و المعانى التى تتحقق من خلاله.

. أنه اختزل اللغة في مقام الاستعمال الواقعي، و قد جعله موضوع بحثه، ولم يهتم بالمعانى الباطنية و أثرها النفسي.

. أنه لم يهتم بالقواعد و دراسة المعنى النحوي و الأسلوبي، و لم يعتد بأشكال التعبير غير اللغوية[§§§§§§§§§].

. أنه وقع فريسة المذاهب الفلسفية التي صرفته عن بحث العناصر اللغوية الأساسية.

. أنه اختزل مقاصد التواصل في الهدف الحسي، فهو مذهب مادي تأثر بالفلسفية البرجماتية التي ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية في القرن التاسع عشر عند جون ديوي و ويليام جيمس اللذين رأيا أن الحقيقة تكمن في طابعها المنفعي و المصلحي.

. أنه اهتم بالمقام التواصلي و متعلقاته أكثر من اهتمامه بالبنية اللغوية و المعنى.

§§§§§§§§§) لقد عالج ابن جنى وعبد القاهر الجرجانى علاقة النحو بالمعنى فى الخصائص٣/٣٣١، و دلائل الإعجاز،ص٨١وما بعدها،وتناول ابن مالك هذا فى صدر ألفيته فى تعريف الكلام بأنه اللفظ المفيد،وبينه شارحو الألفية،و قد تناول محمود عكاشة هذا فى التحليل اللغوى فى ضوء علم الدلالة،دار النشر للجامعات،٢٠٠٥م ص١١٩وما بعدها.

. أن مفاهيمه الأساسية غير واضحه، و أبرزها مفهوم البراجماتية نفسه، فقد تحرى العرب له ترجمة لطيفة غير التي يثيرها مفهومه في الوعي الفلسفي، فقد ترجموه بالذرائعية، و التداولية، و الوظيفية، و الاستعمالية، و التخاطبية، و النفعية، و التبادلية، و علم التخاطب . و هو أبعدها . و أشدها بعداً و نكراناً "علم المقاصد"، و تجاهلوا النفعية و المنفعة التواصلية و النهازية.

البراجماتيون العرب(التداوليون)

يرجع ظهور البرجماتية في البحث العربي إلى النصف الأول من القرن العشرين عندما ترجمت بعض أعمال الفيلسوف و ليم جميز إلى العربية، و هذا في المجال الفلسفي، و قد ظهرت إرهاصاتها اللسانية في الستينات من القرن نفسه، و بلغت شهرتها في المجال البلاغي في الثمانينات، ثم ظهرت الترجمات اللغوية في التسعينات التي أدخلتها البحث اللغوي التطبيقي، و لكنها أكثر شهرة في البلاغة، و يرجع هذا إلى البحوث البلاغية التي كتبها المغاربة، و ذاعت في المكتبات العربية، فأقبل عليها طلاب التجديد في البلاغة، بينما تحفظ عليها اللسانيون(*********).

لقد تأثر بهذا المذهب بعض الباحثين العرب بهذا المذهب في المفاهيم و التطبيق في مجالي اللغة و البلاغة اللذين تنازعا البراجماتية، فقد ترجموا

(*********) ارجع إلى: البراجماتية اللسانية، محمود عكاشة، ص١٨، و ٩٤ فما بعدها.

بعض الدراسات و الكتب، و اجتهدوا فى تطويعها للدرس العربى و تطبيقها، و كتبوا فيها، بيد أن التطبيقات يشوبها بعض اللبس و الضعف؛ لأن تطبيقهم غربي فى المفهوم و المضمون ، و ليس له معايير عامة فى التطبيق، و لا يساوق عرف التعبير عن القصد فى العربية، و لا يعبر تعبيراً دقيقاً عن العناصر البلاغية في الخطاب البلاغي، فقد عجز عن استيعاب الأبعاد البلاغية و القصدية فى النص، و قد نشأت البلاغة فى كنف العربية و فى بيئة إسلامية غزتها بقيم تفتقد إليها البيئة الغربية التى تأثرت بالفلسفة الواقعية (المادية) ومناهج العلوم التجريبية و الفلسفة البنيوية التى استحوذت على الدراسات اللسانية فى القرن العشرين، فصارت شكلية لا تعتد بالمعانى أو قصد الخطاب، و قد تأثرت البلاغة الجديدة (الحِجَاج) فى أوربا بهذه التيارات، فاهتمت بالعلل و الأسباب و الأدلة المادية الواقعية، و غلبت عليها الغائية و الجوانب الفلسفية و المنطقية، و لم تكلف بالعناصر الجمالية و أثرها النفسى فى استجابة المتلقى و اقتناعه، و لم تعتد بالتذوق و القيم الفنية و الخصائص الأسلوبية الخاصة، و قد اهتمت بالخطابة السياسية، و تأثرت الدراسات الأسلوبية بهذا التيار الواقعى، فاتجهت نحو أسلوب النص دون سياقه الخارجى، و غالت فى هذا، و ظهرت دعوة موت المؤلف؛ لتقطع الصلة بين النص و قائله، و جعلت فَهْم المتلقى مرجع القصد، و هى الفكرة التى سيطرت على البراجماتيين الأوائل الذين توجهوا نحو استعمال اللسان فى سياق خطابى و فهم المتلقى دون قصد من وظّف الخطاب فى التعبير عن قصده، و لم يعتدوا فى الجانب

التأثيرى بغير ما يلاحظ على سلوك المتلقى من رد فعله و درجة استجابته، و الوجوه التى يحمل عليها استعمال الخطاب فى السياق و ما يتعلق به و ما يترتب عليه من أفعال، و اعتدوا فى الأفعال بالفعل الإنجازى فى الواقع، فالأحداث أفعال كلامية و إنجازات واقعية، و هم فى هذا متأثرون بالفلسفة البراجماتية التى حملت البراجماتية اللسانية (Linguistic Pragmatics) اسمها "Pragmatism"؛ لغلبتها عليها، فهذا المصطلح مخصوص بالفلسفة العملية النفعية أو الفوائدية، و جعلوا "Pragmatics" مخصوصاً بالبراجماتية اللسانية . أو التداولية اللسانية التى اشتهرت باسم التداولية، و اللفظان الأجنبيان من أصل واحد . و لم تجد البراجماتية الغربية بديلاً له، يعبر عنها؛ فتسمت به، و تعترف التداولية العربية بأنها امتداد البراجماتية اللسانية، و لم أعدل عن هذه التسمية الأصلية (Pragmatics) إلى ترجمتها؛ لأنها أدق فى التعبير عن دلالتها فى بيئتها بيد أن بعض الباحثين العرب اختاروا ترجمة "التداولية"، و التداول يعنى التفاعل بين طرفى الحوار، و البراجماتية تعتد بعملية التلقى لا بنية الخطاب و تزويره (إعداده فى النفس) و قائله و قصده؛ فالمتلقى مرجع معرفة القصد و ليس القائل، و التداول لا يحمل هذا المفهوم، و آخرون استعاروا لها تسميات تراثية ذات أبعاد إسلامية مثل "علم المقاصد" أو "المقاصدية" و "علم الذرائع" أو "الذرائعية" التى تعبر عن الذريعة أو السبب، و لهذه الاختيارات أثر سلبى فى دلالة المفهوم الإسلامى الذى يحمل قيماً دينية و ثقافية من تراث الأمة، و ليست هذه التسميات العربية إلا قناعاً عربياً يستر مثالب

الفلسفة البراجماتية النفعية فى النظرية اللسانية، و الترجمات العربية لا تعبر عنها تعبيراً دقيقاً، و دليل هذا عدم اصطلاحهم على تسمية دقيقة لها، و أرى أن تبقى على لفظها الدخيل؛ لدلالته على مفهومها الغربى الخالص، و ليس له مقابل دقيق يعبر عنه فى الدراسات العربية، و هذا معمول به فى نظير اللفظ من المصطلحات التى تحمل مفاهيم غربية مثل الرادكالية(Radicalism) و الفاشية (fascism) و غيرهما من المصطلحات التى ترتبط بثقافتها غير العربية أو بأصحابها كالمكيافيلية و الماركسية، و من التعسف أن نطوع لها بديلاً عربياً و أن نفرضه على ثقافتنا، و لن يضر هذا بعربيتنا، بل هذا علامة نبو هذه المفاهيم عن قيمنا و تراثنا، و أرى أن الذين استبْقوا على تسميتها الأصلية (البراجماتية) مصيبون و كذلك الذين ترجموها بـ "النفعية"، و هو أصل معناها.

و قد انتشرت "التداولية"؛ لشيوعها فى الترجمات و البحوث و المؤلفات؛ و لا سبيل لى فى ردها بعد شيوعها، و هذا لا يغير من عدم اقتناعى بهذه الترجمات و عدم قبولى هذا المنهج بأبعاده البراجماتية النفعية أن يكون التصور الجديد لعلم اللسان العربى أو أن يكون بديل بلاغتنا العربية أو يكون الصورة الجديدة للبلاغة، فهو لا يمثل البلاغة العربية، و قد ظهر علم اللسان البراجماتي تأثراً بالبراجماتية و نظرية أفعال الكلام بيد أن ملامحه اللسانية لم تكتمل، و المكتوب فيه لا يعطى تصوراً واضحاً له، و لا أراه إلا امتداداً لتطور البراجماتية اللسانية، و ليس علماً لسانياً مستقلاً كعلم اللسان النصى أو الاجتماعى، و لا مانع من ترجمة هذه الدراسات

إلى العربية للمطالعة و البحث عن وجوه المنافع فيها، و غفر الله تعالى لزملائى الذين وقفوا جهودهم للعمل بها فى العربية، و قد شغلتهم لحداثتها، و إن أرادوا بديلاً ناجعاً و مفيداً يقابلها، فعليهم بدراسة علم المقاصد عند علماء الأصول، فهو علم شاف واف، و يحتاج إلى من يعيد طرحه و تنظيمه فى الدراسات اللغوية و البلاغية الحديثة؛ للاستفادة منه فى تنظير معاصر يستوعب أنماط الخطاب المعاصرة و يحللها، و يكشف أبعادها اللغوية التواصلية والتأثيرية والإقناعية فى التعبير عن القصد، و سيجد الباحث فيه مادة غنية بالأفكار، و سيجد فيه حلولاً و أجوبة يطلبها بحثنا المعاصر، و سيجد فيه مساحة متسعة للتجديد و الابتكار و الاجتهاد، لن يجدها فى البراجماتية الغربية التى حصرت نفسها فى دلالة الاستعمال اللغوى، و لا شك أنها أتت بجديد فى الفكر الأوربى بيد أن كثيره إعادة اجترار لبعض أقوال الأصوليين فى معرفة القصد و استنباط الحكم من النص الشرعى، و قد دفع هذا بعض الباحثين إلى تجذير أصولها فى تراثنا تحت تسمية "التداولية عند الأصوليين"، و هو ما أطلق عليه عند الأصوليين "المقاصد" فى بحث المقاصد الشرعية.

و قد أطلق بعض الباحثين "علم المقاصد" على البراجماتية مساواة بالمقاصد عند علماء الأصول، و هو تكلف ليس فى موضعه؛ لأنه يضر بمفهوم المقاصد الأصيل و غايته الحسنة فى تأصيل المصالح النافعة و درء المفاسد، فهو صادر عن أصول شرعية، و البراجماتية الغربية تقوم على تحصيل المنافع الدنيوية من كل الوجوه و بكل الوسائل التى تبررها

دون تحفظ أو احتراز أو غاية شرعية، و المقاصد فى صيغة الجمع مخصوص بالنص الشرعى؛ لما يحمله من وجوه المعنى ووجوه المنافع و المصالح الدينية و الدنيوية، فالخطاب الشرعى من لدن عزيز حكيم و محكم وحمّال مقاصد نافعة، و أرى أنه من الصواب أن يظل مصطلح المقاصد فى صيغة الجمع قيد النص الشرعى، و ألا يستخدم فى قصد الخطاب البشرى المحدود، و لا يجوز أن نستخدمه ترجمة للبراجماتية اللسانية التى تقوم على الفلسفة النفعية، و تتبنى اتجاها لسانياً لا يستوعب عناصر اللغة الأساسية و معطيات الخطاب و عناصره الاتصالية، فقد اختزلت اللغة فى السياق التفاعلى(استعمال اللغة) أو السياق الخارجى (فهم المتلقى الخطاب ورد فعله القولى و الإنجازى)، و للباحثين أن يستخدموا مصطلح "القصد". و هو المصدر العام . للتعبير عن غرض الخطاب البشرى منعاً للتلبيس والتشويه.

البراجماتية البلاغية:

لقد اجتهد بعض الباحثين البراجماتيين العرب تأصيل البراجماتية فى البلاغة، و بذل بعضهم نشاطه البحثي للبحث فيها، و أنشأ لها صحيفة علمية (مجلة بحثية أو دورية)، و أقام لها مؤتمرات، و عرف بها في المجال البحثي، و قد سمّاها أتباعها البلاغيون "التداولية البلاغية" و "التداولية العربية" يريدون مقاصد الخطاب فى التعبير، و زعموا أن عبد القاهر الجرجانى و حازم القرطاجنى من مؤسسى التداولية العربية، و أسقطوا بعض الأفكار البراجماتية البراجماتية على بعض التراث البلاغى؛

ليؤصل لها فى العربية، و لهذا الإسقاط أثر سيء فى تراثنا، فسوف يترتب عليه اتهام البلاغة بالضيق و العجز و أن مفسرى النصوص حرفيين، و الخطورة العظمى فى تطبيق هذا المنهج على النص القرآنى، فلسوف تحمل بعض المعانى على غير وجهها، و لسوف يقال إن المفسرين و الفقهاء لم يتوصلوا إلى مناهج صحيحة فى معرفة المقاصد و أحكام التشريع، و أن آراءهم فى المعنى و استنباط الحكم تحتاج مراجعة فى بعض النصوص . و قد قيل . و قد انتقد بعضهم البحث البلاغي بالتقصير و الضيق و العجز عن نظرية تداولية تكاملية، و تأسف بعضهم على تقصير البحث العربي فيها و عدم نهوضه بها، و بعض المؤلفات المغربية التي اشتعلت في شيب البحث العربي لفقت بين البراجماتية الغربية و عناصر البلاغة العربية، و عبثت بالأصول البلاغية التي اختلطت في أبحاث المقلدين، و بعضهم تماهى في تطبيق البراجماتية الغربية، و اتخذها بديل البلاغة، و هي من شواهد الفرنسة التي لم تباغتنا في البحث العلمي المترهل ليس من فرنسا، بل من المغرب العربي، فأذعنا له طائعين تآخياً و عروبة، و نجح مخطط الغزو بالوكالة.

و قد عدها بعض المحدثين بديل علم اللسان مثلما عدوا الحجاج بديل البلاغة تأثراً بالغربيين أيضاً، و هذا تضيق مجالى اللسان و البلاغة العربية الواسعين، فالتداولية فى الحقيقة لا تستوعب إلا جزءاً يسيراً من اللسانية العربية، و ليست هذه الزوبعة حول التداولية و المبالغات فى قيمتها و وظائفها و مستقبلها إلا مثل الزوبعة التى أثارها الهُواس حول

البنيوية التى زعموا أنها ذروة العقل و نضجة، ثم ما لبثت أن ذهبت جُفاء، و صارت كتب البنيوية و الدراسات التى تبنتها على الأرصفة يعافها القراء، و هذا مصير كل زبَد لا يصدر عن مرجعية بشرية ذات قيم و ثوابت علمية، و هى أشبه بمن يسير على قدم واحدة؛ لأنها تبنت جانباً لغوياً، و أهملت جوانبه الأخرى، و هذا شأن الأفكار الغربية التى قامت على رؤية فردية ترى شيئاً و تجاهل أشياء، فهى لا تستوعب كل الجوانب اللسانية، و قد تأثرت بالفكر المادى الذى تأثرت به البنيوية قبلها بيد أنها اهتمت بوظائف الاستعمال اللغوى فى السياق الكلامى فى مقابل البنيوية التى اهتمت بشكل اللغة و نظامها العام القواعدى الذى يربط بين وحداتها اللفظية متجاهلة المعنى و تطوره و علاقة اللغة بالسياق الخارجي و أثره فيها، و هذا لا يمنع أن نعول على بعض الوسائل و العناصر الحديثة و بعض المناهج فى بحث مقاصد النص القرآنى، فالذى يأباه العقل و الإنصاف أن نحمل نصاً مرتبطاً بتنزيله على ما فى عصرنا، أو أن نقصيه عن قائله ﷻ، و نسقط عليه أفكارنا و أغراضنا، فنفسده.

التطبيق البراجماتي:

لقد لفق بعض الباحثين محاور تطبيقية مستفادة من التداخلات المذهبية في البرجماتية، فاهتموا بدراسة الوظيفية اللغوية و الاستعمال اللغوي المقامي المتعلق بالنص أو الخطاب، و درسوا العلاقة بين المتكلم و المخاطب، و درسوا وسائل الحجاج و الإقناع و أفعال الكلام داخل النص، و درسوا العلامات و علاقتها بمستعمليها و مقام الاستعمال و المرجع و

الإحالة، و البنيات الشكلية و الجمالية، و المقصدية الوظيفية و اللغة العادية و اللغة غير العادية (اللغة الشعرية، اللغة الروائية، و اللغة الدرامية)، و المقامية التواصلية (حضور الأنا و الأنت)،

و قد اهتم التداوليون بدراسة العناصر المقالية، و الانتقال من الحرفي إلى الإنجازي، و عناصر الحجاج في النصوص و الخطابات التي يكون هدفها الإقناع الذهني و التأثير العاطفي الوجداني، و درسوا السرد الإقناعي . عند جريماس . خاصة في مقام التطويع و التحفيز المبني على فعل الاعتقاد و فعل التأويل، و الكفاءة المبنية على منطق الجهات (وجود الفعل، و ومعرفة الفعل، و قدرة الفعل، و إرادة الفعل).

و قد اهتم التداوليون في اللغة بالمكونات الثلاثة التي طرحها شارل موريس: التركيب، والدلالة، والوظيفة، و بالمظاهر الثلاثة: المظهر الخطابي، و المظهر التواصلي، و المظهر الاجتماعي في ضوء الموقف التواصلي في اللغة الطبيعية، و ظهرت الاتجاهات التحليلية الآتية:

ا . التداولية النصية التي تعاملت مع الخطاب كلية عضوية متسقة و منسجمة، و عدته جملة نصية كبرى، تتعامل معها كالتعامل مع الجملة اللسانية، و قد تبناه إميل بنيفنست، و هاريس، ورومان جاكبسون، و بعض السيميائيين، و منهم جريماس، و بعض التأويليين، و منهم بول ريكور.

ب . التداولية الجمالية التلقي التي تبناها ياوس و آيزر، و الوظيفة الشاعرية أو الجمالية، ترسل عبر قناة وظيفتها الحفاظ على الاتصال، و يمكن الاستفادة من وظائف اللغة التي أرساها رومان جاكبسون

(R.Jackobson)، منها الوظيفة الانفعالية التعبيرية، و هي تحدد العلائق الموجودة بين المرسل و الرسالة، و تحمل هذه الوظيفة في طياتها انفعالات ذاتية، و تتضمن قيما و مواقف عاطفية و مشاعر و إحساس يسقطها المتكلم على موضوع الخطاب المرجعي، والوظيفة التأثيرية التي تقوم بتحديد العلاقات الموجودة بين المتكلم و المتلقي، حيث يتم تحريض المتلقي، و إثارة انتباهه، و إيقاظه بالترغيب و الترهيب، و هذه الوظيفة ذاتية.

د . التداولية التلفظية المقامية التي بحثت المعينات: أسماء الإشارة، و الضمائر، و أداة التعريف، و أدوات التملك، و الزمان، و المكان، و الصيغ العاطفية و الانفعالية، و أحكام التقويم، و قد تبناها أتباع موريس: بنيفينست، و لاينس، و أوريكشيوني.

هـ . تداولية أفعال الكلام التي تبناها أوستين و سيرل و جرايس الذين رأوا أن الفعل الكلامي يؤدي إلى تحويل وضع المتلقي، و تغيير نظام معتقداته، و تبديل مواقفه السلوكية.

و . التداولية الوظيفة التي تبناها فان ديك و هاليداي و رقية حسن.

ز . التداولية المقصدية التي تدرس مقاصد الخطاب في الاستعمال المقامي.

ح . التداولية التحليلية التي تتناول عناصر التحليل الدالة على القصد.

ط . التداولية الحجاجية اللغوية التي تدرس وسائل الحجاج اللغوية و المنطقية و المقامية، و تذهب التداولية الحجاجية إلى أن النص أو الخطاب عبارة عن روابط لغوية حجاجية، و أشهر من تبناها أوزوالد

دوكرو (Ducrot)، الذي أدخل البعد التداولي ضمن الوصف اللساني، و عده أحد مكوناته الرئيسة إلى جانب التركيب و الدلالة.

ي . التداولية الإقناعية التي تدرس وسائل التأثير و الإقناع اللغوية و المقامية.

ل . التداولي الحوارية التي تدرس عناصر الحوار و وسائله و مقاصده.

و غيرها من الاتجاهات التحليلية التي تجسد التداخل بين المحاور اللغوية و البلاغية التداولية و النقد، و تعد هذه المحاور المستعارة من الفروع الأخرى عبئاً على الباحث و سبباً في عدم وجود معايير معلومة في التطبيق، فالباحث ينتخب منها ما شاء، و يدعيه منهجاً تطبيقياً، أو يزعم أن الدراسات الحديثة ألغت الحواجز بين العلوم عندما يخطئ في تطبيق المنهج، و تضطرب موضوعات بحثه و تختلط، و البحث العلمي له معالم منهجية واضحة.

مذهب تحليل أفعال الكلام

ترجع فكرة "أفعال الكلام" أو " نظرية أفعال الكلام" (Theory of speech acts) إلى الفكرة التي طرحها أرسطو في الفصل الأول من كتابه "العبارة" الذي رأى فيه أن "كل جملة ذات دلالة....، لكن ليس كل جملة تقريرية إلا تلك التي فيها صدق أو كذب، و ليس هناك صدق أو كذب في كل الجمل، فالدعاء جملة، لكنها ليست صادقة و لا

كاذبة"(††††††††††)، و قد بقيت آراء أرسطو معمولاً بها إلى القرن التاسع عشر، و كان أول من عارض آراءه هذه الفيلسوف توماس رايد الذي طرح فكرة "العمليات الاجتماعية" أو "الأفعال الاجتماعية" في مقابل "الأفعال الأَحدية"(الفردية)، و يعد الفيلسوف الألماني الظاهراتي أدولف ريناخ أول من طرح فكرة "أفعال الكلام"، و أول من درسوها دراسة علمية، فقد تناول الوعد و الطلب و الأمر تحت مسمى "الأفعال الاجتماعية"، و تناول هوسيرل "الأفعال التشييئية" التي بناها على طروحات سابقة، و أول من طرح فكرة "أفعال الكلام" بوهلر في كتابه "نظرية اللغة" (١٩٣٤م)، و قد رأى أن كل استعمال للغة يظهر حتماً واحدة من هذه الوظائف: التمثيل أو التعبير أو الإنشاء(‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡).

و يعد الفيلسوف جون أوستين(Jane Austen)(١٩١١ : ١٩٦٠م)(§§§§§§§§§§) المؤسس الحقيقي لنظرية أفعال الكلام (Theory of

††††††††††) النظريات اللسانية الكبري من النحو المقارن إلى الذرائعية، ماري آن بافو و جورج إليا سرفاتي، ترجمة محمد راضي، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٢م، ص ٣٥٠، و قد تبنى أرسطو (٣٨٤ – ٣٢٢ ق.م) "التأويل" الأفلاطوني إلى نهايته المنطقبة، و قد أطلق على كتابه المخصص للحديث عن "علم الدلالات و المنطق" اسم "بيري أرمنياس" (Περι Ερμηνειας) (Peri Hermeneias) الذي حمل عنوان: "حول التفسير" (On Interpretation) ، و قد ترجمه ابن سينا باسم: "العبارة"، و طبعته الهيئة المصرية للكتاب.

‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡) ارجع إلى: المقدمة التي كتبها عبد القادر قنيني، لترجمة نظرية أفعال الكلام، ص ٥، و التداولية و اللسانيات، عادل الثامري ، مجلة دروب، مقال في ١٩ /٥ /٢٠٠٦م.

§§§§§§§§§§) فيلسوف اللغة الإنجليزي جون لانجشاو أوستين أبو البراجماتية اللسانية الذي تأثر بفيلسوف اللغة المنطقي فتجنشتاين الذي يرى أن المعنى هو الاستعمال و قد تأثر أيضاً بمجال عمله في القضاء الإداري، و قد تبلورت نظريته في محاضراته الأخيرة التي ألقاها في جامعة هارفارد عام ١٩٥٥م، و هي التي جمعت في كتابه "How to doThings With Words" (كيف نفعل الأشياء بالكلمات) بعد وفاته١٩٦٠م، و قد ترجم إلى العربية: "كيف ننجز الأشياء

(speech acts) في اللسانيات الحديثة التي طرحها في محاضراته التي جمعها تلاميذه بُعيد وفاته في كتاب "كيف نفعل الأشياء بالكلمات"(***********) . و هي النظرية التي وصفها الباحثون العرب بنظرية أفعال الكلام العامة . و قد جاءته فكرتها من عمله بالقضاء الإداري الذي يستخدم أفعالاً طلبية خاصة ثبوتاً أو نفياً، و لها أثر مباشر إلزامي و رد فعل عملي، فاتخذ هذا النموذج مثالاً تطبيقياً، و عول في دراسته على روافد فلسفية فسر بها طبيعة هذه الأفعال و أثرها(†††††††††††).

بالكلام" في المغرب، و قد عممه بعض الباحثين في التحليل، و هو يتناول دلالة القرار السيادي الملزم للمخاطب به كالقرار السياسي و القضائي.

(***********) ألقى أوستين عدداً من المحاضرات في أكسفورد بين عامي ١٩٥٢م و١٩٥٤م، ثم ألقى اثنتي عشرة محاضرة في هارفارد في عام ١٩٥٥م ، و قد جمعت هذه المحاضرات الأخيرة في كتاب بعد وفاة أوستين عام ١٩٦٠م ، و نشرت بعد وفاته في كتاب عنوانه : How to doThings With Words ، و ترجمه عبد القادر قنيني، دار أفريقيا الشرق. و هذه النظرية تشبه ما وقع لبنيوية دي سوسير التي تعرف عليها الباحثون من المحاضرات التي جمعها تلاميذه، و نشروها بعد وفاته، فقد طرح أوستين رؤيته في المحاضرات، و من ثم نجد في الكتاب بعض الاضطراب و التكرار.

(†††††††††††) لقد لاحظ أوستين أن هناك عبارات إذا نطقت بها تؤدي قولاً منجزاً، و يتحقق عنها فعل منجز في الوقت نفسه، كأن تقول لمن بشرك بمولود : سميته محمداً ، فقد قلت قولاً منجزاً، و أنجزت فعلاً عينياً، و هو رد الفعل أو الأثر، ولكن هذا ليس مطرداً في كل الأفعال؛ لأنها ليست كلها من هذا النوع الذي يترتب عليه أثر خارجي، لذلك قسمها قسمين: أحدهما ـ الأفعال الإخبارية : التي تصف الواقع الخارجي ، و هي تتسم بالصدق أو الكذب.

و الأخرى ـ الأفعال الأدائية التي تُؤدى بواسطتها أفعالاً معينة، و لا يمكن وصفها بالصدق أو الكذب ، بل توصف بأنها موفقة أو غير موفقة، و منها الأفعال الدالة على : الاعتذار ، الوصية ، الوعد ، النصح، و الشكر و التمني و النداء و الدعوة، و هذه الأفعال تحقق هذه الأغراض، وهي قيد الملائمة، و بعض الأفعال الإخبارية تتضمن أداءً ، مثل : جاء الغادر، يتضمن تحذيراً، و من ثم قسم الفعل باعتبار الأثر إلى: الفعل اللفظي : المتألف من أصوات لغوية ضمن تركيب نحوي صحيح ينتج عنه المعنى الأصلي. و الفعل الإنجازي: ما يؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافي مع معناه الأصلي. و الفعل التأثيري : الأثر الذي يحدث عند السامع من خلال الفعل الإنجازي.

و قد تأثر في نظريته بكتاب "الخطابة" لأرسطو، و استدل بأمثلة من مجال القضاء الذي عمل به محرراً، و استخدم طريقة البرهان الخطابي المعمول به في القضاء الإداري، و من ثم يفسر الفعل الإنجازي و كيفية اتخاذه عنده في ضوء القانون الإداري كحديثه عن قرار الحرب و عقد العقود كعقود البيع و الشراء و الزواج، و من ثم قامت نظريته على الأساليب الإنشائية و الجمل التي تدل على الطلب، و هذه النظرية تقترب كثيراً من مفهوم الإنشاء في العربية و دلالة "فعْل الأمر" عند الأصوليين. و الإنشاء عنده: إخراج الأشياء من العدم إلى حيز الوجود بأفعال لغوية طلبية قيد أوضاع و مواقف.

و قد تناول أوستين "أفعال الكلام" في مجموعة من محاضراته التي جمعها تلاميذه بعد وفاته في كتاب "نظرية أفعال الكلام"، و قد تأثر في نظريته بعمله في القضاء الإداري الذي يستخدم أفعالاً أدائية (طلبية) تدل على أغراض مختلفة، و تعبر عن أقوال ننجزها في التواصل؛ لتحقق أثراً

و قسم أوستين الأفعال على أساس قوتها الإنجازية إلى خمسة أصناف: أولها ـ أفعال الأحكام: ما يتمثل في حكم يصدره قاضٍ أو نحوه.
ثانيها ـ أفعال القرارات: تتمثّل في اتخاذ قرار بعينه ، كالتعيين ، والطرد ، والإذن.
ثالثها ـ أفعال التعهد: تتمثل في تعهد يقدمه المتكلم ، كالوعد ، والقسم ، والتعاقد.
رابعها ـ أفعال السلوك : كالاعتذار ، والشكر ، والتحدي .
خامسها ـ أفعال الإيضاح: الأفعال التي تستعمل لإيضاح وجهة نظر أو بيان رأي ما كالاعتراض ، و التشكيك ، و الموافقة ، و الإنكار، و التصويب ، و التخطئة. [ارجع إلى: نظرية أفعال الكلام، ترجمة قنيني، أفريقيا الشرق، ص١١ و ما بعدها] و قد كتبت بحثاً أرد فيه على عيوبها، و كتبت نظرية أحداث التكلم رداً عليها، و قد تناولت بعض قضاياها في كتابي تحليل الخطاب (ط دار النشر للجامعات).

أو رد فعل، و هذا النوع تعبر عنه الأفعال الطلبية أو الإنشائية، و قد تعبر عنه الجمل الخبرية التي تدل على معنى طلبي، نحو: وقت العمل انتهي، أي: أسرع أو اخرج، و الأحداث: لفظية منجزة أو فعلية منجزة (العمل).

و الفعل الإنجازيّ عند أوستين: "ما نقوم به خلال كلامنا"، أي: الآثار الناتجة عن المنجز الكلامي أو ما يترتب على القول الطلبي المباشر أو غير المباشر من أثر واقعي أو رد الفعل الخارجي، أي: ارتباط الكلام أو القول بالحدث الواقعي الذي يعبر عنه مباشرة، و هو يخالف الفهم المجرّد لهذا الكلام و القضايا المنطقية المجردة، و قد ربط فان دايك مفهوم الفعل الإنجازي الأدائي بمفهوم الحدث، و عرف الفعل بأنه: كلّ حدث حاصل بواسطة الكائن الإنساني.

و الحدث (act) له معنيان: أحدهما لغوي، تعبر عنه اللغة، و الآخر الفعل المنجز، و قد أراد به أوستين الفعل المتحقق من فعل التلفظ، و هو الحدث الفعلي في العالم (رد الفعل أو الأداء و الأثر المترتب على قول)، يقال أيضاً: الفعل الخارجي أو العمل الحسي و الكينونة و التشيؤ (Doing) و الوجود، و هذا يؤكد لنا أنه استهدف الأفعال التي تحقق غاية عملية في الواقع، و أنه عمم حدوث آثار عملية لها أو استجابة إيجابية مباشرة لا تنفك عنها، و لا تتمرد على الفعل، و أن الاستجابة السريعة لازمة، و أنها قد تكون على التراخي لطبيعة الفعل أو لموانع ترجئ الحدوث إلى زمنه و مكانه المهيأ لحدوثه، و لعل اختزاله الحدوث في الفعل العملي دون الحدوث النفسي الباطني و الاستجابة الإيجابية الجبرية المتوقعة من

طبيعة الحكم القضائي الملزم بأثر فعلي أو عمل نافذ، و ليس معنياً بأفعال المعاني (الدالة على البواطن) و آثارها الباطنية، بل العملية و السلوكية.

و من شروط إنجاز الأفعال . في النظرية . اقتضاؤها الشروط التي تضبط دلالتها و الأحوال الذهنيّة السابقة، و هي تقوم على القصد؛ لأن حصول الأفعال المنجزة تعبيراً عن القصد هو ما يجعلها منجزة، و هي تمثل الغرض البراجماتي (التداولي) الذي يتحقق من استعمال اللغة في علاقة العلامات اللغوية بمستخدميها، فالبراجماتية تمنح هذه الأفعال إطاراً تواصلياً ضمن بنية خطابية قابلة للتأويل؛ و هو ما يسمى بتأويل العبارات البراجماتي، و قد وضع أوستين المفهوم اللغوي لهذا النوع من الخطاب باعتباره عملاً لغوياً، و قد ميز فيه بين ثلاثة مكونات:

أولها . العمل القولي(الإنجاز الكلامي): أن نقول شيئاً، و هو المنطوق القولي.

و الثاني . العمل المتضمن في القول(المعنى الطلبي): العمل الطلبي الضمني، و يتضمن قولاً بالإثبات أو النفي أو التمني أو معنى طلبياً.

و الثالث . أثر العمل الكلامي الفعلي: العمل المتحقق نتيجة قولنا، أو رد الفعل الواقعي، نحو: تحقيق فعل معين أو الأثر السلوكي (إيجاد حالات الخوف أو الإقناع أو حمل المخاطب على سلوك معين). و قد رأى جون سيرل تلميذ أوستين من بعده "أن إنجاز هذا العمل يتم من خلال أعمال فرعية، و هي: التلفظ، و الإحالة، و الإثبات، و التأثير، و سوف أبينها لاحقاً.

و لقد فرق أوستين بين نوعين من الكلام، أولهما . ما يحكم عليه بالصدق أو الكذب، و الآخر . ما لا يمكن الحكم عليه، فعندما نتفوه بالملفوظات لا نقوم بالإخبار، فبعض الملفوظات لا يمكن الحكم على أنها خطأ أو صواب، و هو هنا يستعير مفاهيم المناطقة في الحكم على الجملة أو استحالة الحكم، و هما الجملة الخبرية و الإنشائية عند النحاة، و الحكم على صحة الجملة لغوياً موضوع نحوي، و الحكم بالتصديق أو انتفائه موضوع منطقي.

و قد فرق بين القول و العمل، فإننا نقوم بإنجاز بعض الأفعال بالألفاظ، فالتفوه بالملفوظات فعل في ذاته، و أثره خارج اللغة فعل وظيفي آخر، كقول المتكلم: "إني أعتذر عن التأخير"، فهو إلى جانب فعل التفوه قد قام بفعل الاعتذار، فالتفوه ببعض العبارات ينتج عنه عقد البيع أو التهديد أو الاعتذار أو الشكر ...، و توجد جمل أخرى في شكل خبري تحتمل الإنشاء في مقامها، و من ثم لا يحكم بصوابها أو خطئها و الأفعال المستعملة في هذه الجمل تسمى الأفعال الإنجازية أيضاً، مثل: أعتذر، أشكر، أصادق، أقبل، أطلب(‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡).

و الأفعال عند أوستين نوعان: أحدهما . الأفعال الإخبارية التي تصف الوقائع، و يقضى فيها بالصدق و الكذب، مثل: تنحى فلان عن منصبة. صادقة لوصفها حادث متحقق، و تكون كاذبة لمجيئها على غير وصف

‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡) ارجع إلى: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، جون أوستين، ص ١٢و ما بعدها.

الواقع[§§§§§§§§§§§]، و هي المواقعة عند المناطقة.

و الآخر . الأفعال الأدائية[***********] التي تعبر عن معاني طلبية، و لا يمكن وسمها بصدق أو كذب في الحكم، و منها : الأمر، و النداء، و التمني، و قد جعل منها أوستين: الاعتذار ، الوصية ، الوعد ، النصح .....، و هذه الأفعال في الجملة العربية تفيد الخبر، و يترتب عليها أثر القبول أو الرفض، وهي باعتبار نطق الفعل اللغوي منجز قولي.

و هو لم يفرق بين أثر الفعل الملزم: كأفعال العقود التي يترتب عليها الوقوع كبعتك و زوجتك، و الأثر المتراخي الذي يقع لاحقاً في غير زمان القول و مكانه، و الأثر المحتمل المترتب على الأفعال المسوفة التي تحتمل الحدوث و الأفعال الطلبية كالأمر الذي يحتمل القبول و الرفض، و الوعد الذي يحتمل الإنجاز، و التمني المستحيل، و الجمل الخبرية التي تحتمل معاني إنشائية[††††††††††††].

و قد قسم أوستين الأفعال باعتبار التلفظ و الحدوث تقسيماً ثلاثياً مشابها أنواع الفعل السابقة: إلى ما يأتي:

[§§§§§§§§§§§]) النظريات اللسانية الكبري من النحو المقارن إلى الذرائعية، ماري آن بافو و جورج إليا سرفاتي، ص ٣٥٥، لقد ميز أوستين بين الملفوظات التي تصف وضعاً، نحو: السماء زرقاء، و الملفوظات الإنجازية التي تسمح بإنجاز فعل ما، نحو: أعدك بحل المشكل. الأولى تكون صادقة وفق ما تصفه، و الأخرى تعبر عن التزام حسب رؤية أوستين. و لا يقضى فيها بصدق أو كذب.

[***********]) النظريات اللسانية الكبري من النحو المقارن إلى الذرائعية، ماري آن بافو و جورج إليا سرفاتي، ٢٠١٢م، ص ٣٥٥

[††††††††††††]) تحليل الخطاب في ضوء أحداث اللغة، الدكتور محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، ٢٠١٤م، ص٧٢ وما بعدها.

ا . الفعل اللفظي(Locutionary act): المتألف من أصوات لغوية ضمن تركيب نحوي صحيح يعبر عن المعنى الأصلي.

ب . الفعل الإنجازي أو الفعل غير اللفظي (illocutionary act) : الفعل الذي يقصده المتكلم بالجملة، كطلب وجوب فعل الأمر أو النصيحة.

ج . الفعل التأثيري(perlocutionary act): الأثر المترتب على القول الذي يحدث عند السامع من خلال الفعل الإنجازي، كطاعة الأمر، أو الاقتناع بالنصيحة، أو تصديق المتكلم أو تكذيبه(‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡).

و قد بينها أوستين بأمثلة منها: قال صاحب المطعم: "سيغلق المطعمُ بعد ربع الساعة"، أنجز فعلاً لفظياً منطوقاً أو مكتوباً، و هو فعل نطق الكلمات، و قد أنجز فعلاً آخر ضمنياً، هو حث الزبائن على طلب ما يريدون قبل الإغلاق، و يترتب على هذا رد فعل المتلقي الذي يتمثل في استدعاء العامل بالقول: ائت، أقدم، هات، و يعين الطلب بالقول، أو أن يعبر عن طلبه بالحركة و الإشارة و الرمز (الفعل غير اللغوي، و يستخدم المتكلم فيه تعبيرات يستوعبها متلقيها)(§§§§§§§§§§§§).

و هنالك تسميات أخرى كالتلفظ و قوة فعل الكلام(إعادة اللغة الأشياء إلى ما كانت عليه بعد أن تحولت إلى رموز تعبر عنها)، و لازم فعل الخطاب (مقاصد المتكلم المفهومة من السياق، أي: المعاني المتحققة من

(‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡) ارجع إلى: نظرية أفعال الكلام، ص ١٢ و ما بعدها، و ص ١٣٨، و ارجع إلى: ص ١٨، ص ٦٠

(§§§§§§§§§§§§) نظرية أفعال الكلام العامة، ص ١٢٤

السياقات)، و قد أراد أوستين أننا ننجز أشياء باللغة، فالطاولة كانت شجرة لها تاريخ، و لا يجب اعتبار ما صارت إليه فقط بل ما كانت عليه، و اللغة كذلك تنجز أشياء بمجرد إنجازها تلفظاً، نحو قولك: بعتك و زوجتك: وقع البيع و التزويج.

و تقسم الجمل الإنجازية وفق التوصيف الذي اقترحه أوستين إلى جمل إنجازية ظاهرة و جمل إنجازية ضمنية، فالنوع الأول الجمل التي يظهر فيها الفعل الإنجازي، مثل: "أعدك بالحضور". و الجملة الإنجازية ترادف الإنشائية أو الإنشاء (Performative) عند أوستين، فهي في صورتها الطلبية فعل لغوي و في الواقع أثر منجز(*************). و النوع الثاني الجمل الخبرية التي تحتمل الإنشاء، الجمل التي لا تظهر فيها الأفعال الإنجازية كالجمل الدالة على العقود كأبيع و أتزوج، و أسلوب الوعيد و التهديد مثل: "أعلن الحرب"، و"أَخرجُ من الغرفة!" حيث لا يظهر الفعل الإنجازي "أطلب" فيهما، ومثل: "هناك مرض معدٍ في المدينة"، قد تكون هذه الجملة تحذيراً، و قد تكون إخباراً فقط. و قد أطلق أوستين على أفعال الكلام التي يمكن أن تؤدى بصيغ أخرى غير الصيغة الأساسية للملفوظات الإنجازية اسم "الأفعال اللالفظية"، و هي في الحقيقة مستوى من مستويات فعل الكلام الذي ينجزه المرء عقب النطق بالجملة، و هذا يعني أن أفعال الكلام ليست مجرد إصدار أصوات، و هو يريد بهذا بعض أشكال الجمل

(*************) نظرية أفعال الكلام العامة، ص١٧

الخبرية التي تعبر عن المعنى الإنشائي.

و قد رأى بعض النقاد أن أوستين أخذ أفكار نظريته ممن تقدموه، و أنه تأثر بفتجنشتاين(††††††††††††) الذي رأى أن اللغة العادية معيار صحة أو بطلان ما نقوله. و رأوا أيضاً أن مفهومي التلفظ (Enunciation) و فعل قوة التلفظ (Effective of Enunciation : action) أخذهما من مفهومي فتجنشتاين "Sentence Radical" و "Modal Element"(‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡).

• أنواع الأفعال الإنجازية باعتبار المعنى عند أوستين(§§§§§§§§§§§§):

أ . أفعال الأحكام: تتمثل في حكم يصدره قاضٍ أو نحوه: يفرج عن، يبرئ، يخلى سبيل، يعفو.

ب . أفعال القرارات أو التنفيذ: تتمثل في اتخاذ قرار كالتعيين و الفصل، و المنح و السلب، والإذن و المنع، و أفعالها: أعين، أقرر، أثبت، أفصل، أجيز، أسمح، أعفو، أحجب، و منها القرار الشخصي: تنحى، استقال، تنازل.

(††††††††††††) ارجع إلى: بحوث فلسفية، تأليف لودفيج فتجنشتين، ترجمة د. عزمي إسلام، موقع فلاسفة العرب، و مفهوم الفلسفة في نظر فتجنشتاين، و ليد عطاري، مجلة المنارة، المجلد ١٣، العدد ١،٢٠٠٦م، ص ٣٠٦ م و ما بعدها.
Wittgenstein, L. Philosophical Investigations, Oxford, 1953

(‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡) التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، الدكتور صلاح إسماعيل، مكتبة بستان المعرفة للطباعة و النشر و التوزيع، ١٩٩٣م، ص٢٤، "Sentence Radical" و "Modal Element": الجملة الأصلية و النمط المعياري.

(§§§§§§§§§§§§) النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص٣٦٠

ج . أفعال التعهد: تتمثل في تعهد يقدمه المتكلم ، كالوعد ، والقسم ، والتعاقد.

د . أفعال السلوك: الاعتذار ، و الشكر ، و الترحيب.

هـ . أفعال الإيضاح: الأفعال التي تستعمل لإيضاح وجهة النظر أو تبيين الرأي، أو الاعتراض، والتشكيك، والموافقة، والإنكار، والتصويب، والتخطئة(**************).

و قد تأثر في هذا التقسيم بالقضاء، و استخدم مفاهيمه و مفرداته أيضاً، و اختزل دلالة أفعال في قرارات القضاء و تصنيفها و درجاتها.

و يتبين من هذا أن أوستين رأى أن الذي يجعل الأمر أمراً و الإلزام إلزاماً في الاستعمال اللغوي التطفلي الموقف الكلي الذي يستعمل فيه الكلام، و أن الموقف الكلي يتألف من الحقائق ذات العلاقة بمقاصد المستعمل التي تحدد نوع الموقف مثل صدق العلاقة القائمة بين المتكلم و السامع؛ ليكون الأول آمراً للآخر، و مثل قراءة المتكلم قصيدة أو اقتباسه من جريدة، أو أن يمثل في مسرحية، و قد رأى تلميذه جون سيرل (John Rogers Searle)(و:١٩٣٢ بأمريكا) أن الاستعمال اللغوي يتحدد .

(**************) أرى أن ما سماه فعلاً من الأفعال الطلبية كالاعتذار أو الشكر أو النداء ليس فعلاً بل تعبيراً عن فعل (الاعتذار أو الشكر أو النداء)، ففعل الاعتذار يقع أداء في الواقع بالحركة و الإشارة و التشخيص، فقد خلط بين دلالة الفعل اللغوي و الفعل الواقعي، فالأول (أعتذر) تعبير عن الفعل الواقعي (كالانحناء و الانكسار و وضع النظر)، و كذلك الشكر يعبر عنه بالقول الدال أو فعل الحركة المتوا
ضع على دلالتها عليها، و الصواب أن نفرق بين النوعين بلفظي القول و الفعل، و هذا يتطلب منها تعيين دلالة القول و الفعل في اللغة.

اعتياداً أو تطفلاً . بموجب قصد المؤلف، فالذي يتكلم الإنجليزية سيكون قادراً على تأليف قصص، أو أن يمثل في مسرحيات، و أن يستخدم الأفعال بمقتضى غرضه(††††††††††††††).

و قد رأى أوستين أن الإنجاز يختلف باختلاف المؤسسة التي يصدر عنها التلفظ أو وظيفة المتكلم، فالتلفظ القانوني غير السياسي، و التلفظ السياسي غير الاجتماعي و غير الديني(‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡).

- تطوير جون سيرل نظرية نظرية أفعال الكلام:

لقد قام جون سيرل تلميذ أوستين بتطوير نظريته حيث أعاد النظر في التقسيم الثلاثي للفعل الكلامي، فجعل بدلاً من فعل التلفظ "فعل القول" الذي يعبر عن فعل القضية (§§§§§§§§§§§§§§)، و قسم الأفعال على هذا النحو: ا . فعل القول. ب . فعل القضية (الفعل الخبري و فعل المرجعية). ج . الفعل الإنجازي. د . الفعل التأثيري.

و قد طور سيرل شروط الملاءمة عند أوستين، فجعلها محكومة بأربعة شروط:

أولها . شروط المحتوى القضوي، و تتحق بأن يكون للكلام معنى قضوي من خلال قضية تقوم على متحدث عنه أو مرجع، و متحدث به أو خبر، و يكون المحتوى القضوي المعنى الأصلي للقضية(و القضية عند

---

††††††††††††††) ارجع إلى: فلسفة العقل، دراسة في فلسفة سيرل، الدكتور صلاح إسماعيل، دار قباء الحديثة، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ١٥٦

‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡) النظريات اللسانية الكبري من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص٣٥٦

§§§§§§§§§§§§§§) النظريات اللسانية الكبري من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص٣٥٦

المناطقة: الجملة الحملية المؤلفة من موضوع و محمول).
ثانيها . الشرط التمهيدي، و يتحقق إذا كان المتكلم قادراً، و لو بوجه من الوجوه على إنجاز الفعل .
ثالثها . شرط الإخلاص، و يتحقق حينما يكون المتكلم عازماً على أداء الفعل.
رابعها . الشرط الأساسي، و يتحقق حين يحاول المتكلم التأثير في السامع.

و قد غيَّر سيرل تصنيف الأفعال الإنجازية، فجعلها خمسة :

الأول . الفعل الإخباري أو الإقراري (Assertive)، و الغرض الإنجازي منه وصف واقعة معينة من خلال قضية، و يتميز بتوافق الملفوظ مع حالة العالم، و يتمثل عرضها الإخباري في نقل الوقائع، و تُدرج فيها كل الأفعال الدالة على التوضيح و الأحكام، و لذلك تحتمل الصدق أو الكذب (و هي تضم الحكميات و الإيضاحات عند أوستين)، و منها ما يأتي:

ا . الأفعال التي تدل على الأحداث القائمة و تصف المشهد في الخطاب: يثور، يفسد، يخرب، يسقط، يقتل، يدمر، يعصف، أرى، أشاهد، أعاين.

ب . الأفعال الشعورية: أحزن لما يحدث، أشعر بالأسى، أتألم مما أراه و أسمعه، أخاف على الوطن، و هي للاستعطاف و الاستقطاب، و لا يقصد بها التعبير عن المشاعر الوجدانية، بل غاية تأثيرية خارجية.

ج . أفعال التفسير المعبرة عن صاحبها: أوضح، أبين، أفسر، أشرح.

د . أفعال التقييم، و هي كثيرة: أقيم، أقدر، أعُد، أرى، أحرم، أجرم، أعيب، أصحح، أغلط، أحاسب، أقيس، و هذا النوع يكشف عن معتقد المتكلم

النفسي أنه مرجع التقييم و الحكم.

هـ . أفعال التعليل: يبرهن، يتسبب، يعلل، يربط، وهي للتبرير و التعليل، و توحي ببراءة الذمة مما ينسب إلى المتكلم. و أفعال الادعاء: أزعم، أدعي، أتوهم، أظن، يشيع، يفتن، يفتري. وهي تدل على المزايدة و الإفراط في الادعاء.

الثاني . الفعل التوجيهي(Directives): إنجازه يتمثل في توجيه المتكلم المخاطب إلى فعل معين على وجه الوجوب أو الندب أو التخيير، و يقوم على الإرادة و الرغبة، و هدفه محاولة توجيه المخاطب إلى فعل سلوك ما في المستقبل، و يمثله في اللغة العربية: صيغ الاستفهام، الأمر، النهي، الرجاء، النصح، السؤال، يمثل هذا النوع الاستفهام الصريح و الضمني، نحو: كيف تطورت الأحداث؟ من المسئول؟ الغرض: طلب المعرفة (إزالة الجهل)، و التأثير. الخروج من الحيرة، إزالة الحيرة بالجواب. و الاستفهام لغير الطلب في معظمها، و غرضه الاستنكار و التعجب، و تأثيرها: الاستقطاب. و يبدي المتكلم آراءه أحياناً، و لذلك يستعمل الأمر: "فليعلم الجميع"، و غرضه و النصح و التحذير، و مثله: و ينبغي أن ....، و يجب أن....، و منها تغيير الاعتقاد بالتحذير، نحو: فليحذر الذين يتاجرون بالدين و مصالح وطنهم، و يجب أن نحذر من الإشاعات، و منها التوضيح (الإعلام): أبين، أوضح، أكشف، أبرهن. و الدعاء (الطلب و النصح)، "حفظ الله البلاد و المواطنين" الدعاء غرضه تمني حصول الصواب.

و من الضرب الإنكاري: كيف نتقدم في ظل هذه الاضطرابات؟! و منها: الأمر، بالصيغة: افعلْ، أو بالمعنى المتضمن في القرار، نحو: أصدرت قراراً بـ .... ، و كلفت ...بـ ....، و قد يستخدم الأمر لمعاني أخرى، كالأمر الجماعي، نحو: " ينبغي أن نعلم....، ينبغي أن نحذر، و أن نتوخى جميع الأدلة...، ينبغي أن نأخذ الأمر على الجد ...."، "يجب أن يلتزم الجميع"، و الأصل أن يوجه الأمر إلى المخاطبين، فيعدل المتكلم عن "أنتم" إلى "نحن" للتشريك و التودد تحبباً أو تصنعاً، و قد يعول المتكلم في الخطاب على الجوانب العاطفية و الأخلاقية و الدينية و الوطنية؛ لتؤثر في المتلقي استقطاباً و توجيهاً نحو قصد المتكلم و أهدافه.

الثالث . الفعل التعهدي(Commitment): إنجازه يتمثل في تعهد المتكلم على نفسه بفعل شيء في المستقبل، فهو بمنزلة النذر للخير و التعهد و الوعد للناس ... ، و الالتزاميات أو التعهديات لا تقوم على مبدأ التأثير، ذلك أنها متصلة بالمتكلم، و هي مؤسسة على القصد، يلتزم فيها المتكلم بدرجات متفاوتة بالقيام بأفعال مستقبلية عن قصد، نحو الأفعال الدالة على الاستقبال: أعد بما ألزمت به نفسي، وعدت بإصلاحات، عاهدت نفسي و عاهتكم أن ....، و منها الاستقبال: ستشعرون بالإصلاحات في حينها، سيتحسن الاقتصاد، اعتمد الخطاب على التسويف، للدلالة على الإنجاز المستقبلي، و هو بمثابة الوعد، و قد يكون ترحيلاً أو خداعاً.

الرابع . الفعل التعبيري(Expressive): إنجازه يتمثل في التعبير عن الموقف النفسي تعبيراً يتوافر فيه القصد... ، و الغرض منه: التعبير عن

مواقف نفسية، كالشكر، التهنئة، التعزية، الاعتذار، التمني، الكره، الندم، الحزن، و الاستنكار، مثل السؤال الاستنكاري: لما يحدث هذا؟! يستنكر المتكلم الحدث، و التمني الفعل "أتمنى" الذي يعبر عن الباطن، و مثله: أحب أن أعرب عن تقديري، و ليت كذا يعود...، و أتفهم رغبتهم في....، و التقييم هنا ذاتي.

و لم يشر أوستين و سيرل إلى معايير الصدق و الكذب فيه، و أرى أن القاضي فيها المتكلم الذي يعلم ما في نفسه، و للمتلقي أن يقارن بين ما يصف به حاله و فعله الواقعي.

الخامس . الفعل الإعلاني أو التصريحي(Declarations): ما يطابق محتواه القضوي الواقع، و يحدث تغييراً في الواقع...[***************]، و أبرز ما يميزه مطابقة المحتوى العالم، و هذا يعني أن هذا النوع يقوم على وضع غير لغوي (Code non linguistic)، و منه الإعلان عن صدور قرار و البيان الرسمي. و لم يتناول سيرل "الفعل العملي المقامي": المنجز في مقامه الخارجي الواقعي.

و قد رأى أوستين أن الاقتضاء يكون فيما مضى من الأفعال و أفعال الحال، و أرى أن الاقتضاء قد يتحقق مستقبلاً، فالاستقالة من المنصب الإداري مثلاً يقتضي أن المستقيل فقد صلاحية ممارسة العمل و إصدار

***************) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، الدكتور محمود أحمد نحلة، ص ٤٠ : ٨٤ . مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينه و ديتر فيهفجر، ترجمة د. فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، ص ٦٣ – ٦٦ .

القرار، و هذا شأن القرارات الرسمية التي يضرب للعمل بها موعداً مستقبلاً، و من ثم تتبع بعبارة: يجري العمل بهذا بدءاً من.... و ينتهب في ....، و منها الجمل الشرطية التي يترتب الجواب فيها على الشرط، نحو: إن تتحى الرئيس يتول آخر، خُلْو منصب الرئيس يقتضي تولي آخر؛ لئلا يبقى منصب الرئيس شاغراً.

و الفعل المقامي يختلف عن أفعال الكلام عند أوستين، فالفعل المقامي العمل الواقعي في العالم أو الحدوث في الواقع، بيد أن الأفعال الكلامية المنجزة قد تكون قيد زمن الفعل اللغوي دون الواقع أو التلفظ الذي عده أوستين إنجازاً في القول(††††††††††††††)، و منها ما يشمل كل وحدات التواصل اللغوي القولية و الإنجازية التي تعبر عن الأفعال المُنجزَة، و الفعل القولى فيه كل أنماط الأفعال القولية (Actes de parole)، و هذا النوع ليس منقطعاً عن الإنجاز، بل المرحلة التي تسبقه، فالأفعال الطلبية التي يعبر عنها بلفظها الصريح أو بالمعنى تنشد الأغراض الإنجازية (Acte illocutoire)، بقوة القول (Force illocutoire)، ففعل الأمر في زمن القول في العربية يطلب حدوث الفعل على وجه الإلزام أو الندب أو التخيير، أو يراد به الدعاء، و هو في صيغة الطلب "افعل"، و هذا يتطلب تفسيره في سياقه و مقامه، نحو: كفى عنفاً، كفى عنفاً. خرج عن دلالته الاعتيادية (الوجوب) في مقام النصح و الرجاء، فالمتكلم ليس

††††††††††††††) ارجع إلى: نظرية أفعال الكلام العامة، ص ١٤١

له سلطان على المخاطب يلزمه الفعل، فصار: كفوا عن العنف، للنصح و الرجاء. و الأمر لذي سلطان، نحو قول الرئيس: أمرته بكذا، أو أصدرت تعليماتي بـ....، و أصدرت قراراً بـ....، و منه الأمر بالمعنى: فرض و أوجب و قضي، و قد يتحقق الأمر بلام الأمر، و قد يفهم الطلب من المعنى الخبري نحو: الصلاة واجب ديني، أي: صل، و المذاكرة شرط النجاح: أي: ذاكر، و كذلك النهي لفظاً نحو: لا تفعل، و النهى بالمعنى نحو: حرم أو منع، أو بالتعبير الخبري: السرقة خطيئة دينية و جريمة قانونية، أي: لا تسرق، و هذا النوع و غيره من أنواع الجمل التي لا تحتمل الصدق أو الكذب تعرف بالجمل الإنشائية.

و قد تناول أوستين دلالة الأفعال في الجملة الإنجليزية (الفاعل ثم الفعل)، و تابعه بعض الباحثين العرب، و الجملة الاسمية في العربية تعبر عن الحدث أيضاً، و هي أقوي في تأكيد الواقعة من الجملة الفعلية، نحو: الوطن حر، الشعب متحد، فالإخبار بالخبر الوصفي، يتضمن ضمير المبتدأ، و فيه معنى الفعل الدال على الحدث، و كذلك المصدر: الحاكم عدل، و يقدر الحدث في الخبر شبه الجملة، و هو دال على الحدث، نحو: الوطن فوق الجميع، و الخبر الجامد يؤول بمشتق، فلا يخبر عن الذوات بالاسم الجامد إلا بتقدير معنى فيه وصف، فقولهم: مصر كنانة الإسلام (أي: كالكنانة) و درع الأمة (الوقاء و خط الدفاع)، و الشعب يد واحدة (أي: كاليد: بمعنى متحد)، و الجيش درع الوطن(يراد به القوة و المنَعَة، أي: الوقاء و الحماية)، و الوطن حصن الشعب(أي: الملاذ

الآمن)، و مصر أم العرب (أي: كالأم لهم أو مشبهة الأم أو الجامعة الحانية)، و مثل: القائد صلب. (أي: قوي)، و كلكم مصر، أي: وطنيون، فالحدث في الجملة الاسمية مضمن في المحمول أو الخبر المسند، و ليس في المسند إليه، و من ثم يدل الخبر على الوصف، و يقدر فيه الضمير كالفعل(‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡).

و قد نقد جرايس فكرة قصد المتكلم المضمن في خطابه، و رأى أن المتكلم يتجه نحو قصده دون تلفظ، و أن ما يقوله شيء آخر غير قصده، و أن المتلقي هو الذي يعين قصد المتكلم، فقال: "لماذا يقول القائل شيئاً . و هو يقصد ما يقوله؟ لكنه يريد أن يقول شيئاً آخر. و كيف يمكن للسامع أن يفهم العمل اللغوي غير المباشر في حين أن الجملة التي يسمعها تقول شيئاً آخر؟"، و من ثم نظر إلى البراجماتية على أنها تأويل قول المتكلم حسب فهم المتلقي المراد منه، و لم يعتد بمراد المتكلم نفسه؛ و قد ذهب بعض الغربيين هذا المذهب بدعوى أن بعض النصوص المجهولة لا نستطيع معرفة قائليها أو غايتهم من خطابهم، و قد تأثروا في هذا بالمذهب الوضعي و نظرية "موت المؤلف" الفاسدة.

و هذا قول مردود؛ فالمعاني التركيبية لها قرائن قواعدية و سياقية و عقلية تعرف بها، و ليس معرفة القائل شرط تعيين القصد، فقولنا: العلم

(‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡) ارجع إلى: شرح الجمل؛ ابن عصفور، جـ١/ ٣٤٠، و شرح ابن عقيل، جـ١/ ٢٠١، و همع الهوامع، السيوطي، جـ١،٩٣، و ما بعدها.

نور، لا يراد ظاهر المعنى، بل لازمه المجازي، و العقل قرينة المعنى المجازي هنا، و الجمل المعدول بها عن صريح لفظها في الخطاب المنطوق تفهم في ضوء مقامها، و ليس هذا النوع عاماً في اللغة، فالمجاز نوع من المعنى.

و المراد بالقصد هنا ما يحمله الخطاب الإخباري خبرياً أو إنشائياً، و ما يفعله المتكلم نفسه دون قصد الإخبار لا يتلفظ به، نحو: عزمه على الخروج أو الجلوس أو النوم و كل ما يتعلق بسلوكه الشخصي، و المراد بأفعال الكلام أفعال الخطاب الموجه التي تتضمن طلباً من المخاطب، و ليس بصحيح أن فهم القصد مطلق للمتلقي، فهو يتحرى مراد المتكلم بضوابط خطابية و قرائن تؤكد أن ما فهمه قصد المتكلم، و هذا ليس مشكلاً في الخطاب اليومي الذي يستخدم المتكلم فيه لغة مباشرة و واضحة قيد مقامها، نحو: "قفْ" الذي يفهم في إطار علاقة المتكلم بالمتلقي في المقام، فهو يحتمل من غير هذه القرائن معاني: الطلب و النصيحة و التهديد، و قرينة المقام تعين واحداً.

نقد مذهب أفعال الكلام:

ا . أن القواعد التي وضعها تمثل قرارات القطاع الإداري (القضاء الذي تأثر به أوستين)، و لا تطرد في كل المؤسسات و الحقول، و لا يلزم العمل بها في كل خطاب[§§§§§§§§§§§§§§]، لأنها اختزلت الواقع و التعبير عنه في

[§§§§§§§§§§§§§§]) ارجع إلى: النظريات اللسانية الكبري من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص٣٦٢

الأفعال اللغوية، دون الجملة الخبرية . و الجملة الاسمية في اللغة العربية.
ب . أنه أهمل وظائف السياق و المقام و عناصر التعبير الأخرى كالإشارة و الرمز و التعبيرات الجسمية و دلالة الهيئة في التعبير عن القصد.
ج . أنه أهمل قرائن المعني اللفظية و المقامية و العقلية، و هي أساس تعيين القصد، و القرائن مبحث في علم المقاصد عند علماء الأصول المسلمين، و قد جهلها البحث الغربي الحديث، بل أخرج المذهب البنويوي المعنى من البحث اللغوي، و المعنى محل القصد، و إنما وضعت الألفاظ أوعية خادمة له.
د . أنه اختزلت الإنجاز التعبير في الشكل الإنشائي، و الأصل في التعبير عن الحدث الخبر بنوعيه الاسمي و الفعلي، فالتلفظ المفيد كله إنجاز قولي يعبر عن المعاني و الأعيان، و الغرض منه تحقيق المقاصد، و معيار التصديق علي الأعيان الإنجاز الواقعي، و يعبر عن العين بالملفوظ الاسمي و الفعلي خبراً أو إنشاء، نحو: زيد ناجح، و نجح زيد، و ما أحسن نجاح زيد!
هـ . أنه خالف العرف اللغوي في جعل الأساليب الإنشائية ساحة الإنجاز اللفظي و الواقعي، فقد اختزلت التعبير الإنجازي في الأساليب الإنشائية، و هي من صور التعبير عن المعاني الخاصة، و المشهور أن الإنجاز اللفظي عام في الملفوظ، و الإنجاز الواقعي فيما دل على حدوث الحدث في الواقع معنى و زمناً كدلالة الجملة الاسمية على الحدث الواقعي المنجز كقولنا: الرئيس تنحى، و منصب الرئيس شاغر، و دلالة الفعل الماضي

على انقضاء معناه الواقعي كقولنا: تنحى الرئيس عن منصبه و استقال منه، و أُعفي منه و أُقيل و خُلع، و ما دل عليه تعريضاً نحو: غادر البلاد سراً إلى جهة مجهولة، طلب حق اللجوء السياسي.

و . أنه اكتفى بالمقدمات و القضايا القانوية التي يترتب عليها أثر في الواقع، و لم يتناول دلالة أفعال اللغة في غير الطلب.

ز . أنه لا توجد فروق واضحة بين الحدث و الفعل في و الإنجاز، فقد سوى بين أداء الكلام و الفعل الواقعي في الإنجاز، و الصواب أن الكلام صورة المعنى و الفكرة الحسية، و ليس الكلام من جنس الفعل العملي في الواقع، بل سبب في حدوثه.

ح . أنه عول على فهم المتلقي القصد من الإنشاء، و القصد مرجعه القائل و قرائن قوله، و ليس المتلقي، و يفهم القصد من الخبر و الإنشاء تصريحاً و تعريضاً، و تعيينه يتطلب قرائن لغوية و مقامية و مقامية غير متوفرة في الجملة وحدها، و لا يمكن تعيين القصد في أفعال الكلام دون قرائن.

ط . أنه جعل رد الفعل العملي عنصراً أساساً في أثر كل القول، و أنه موضع التقييم عند حدوثه، و أنه اختزل رد الفعل في السلوك المباشر و الفعل العملي، و أهمل ردود الأفعال الأخرى، فرد الفعل قد يكون نفسياً غير ظاهر، و قد جعل أيضاً كل ردود الأفعال إيجابية، و أهمل السلبية، و قد جعلها مباشرة و سريعة، و أهمل غير المباشرة و المتراخية.

ي . أن الدراسة فيه جزئية، و لا تطرد أحكامها إلا في نوع من الأفعال الرسمية الإلزامية.

ك . أنه اختزل المعاني و المقاصد في الأفعال؛ لتأثرها بالمادية، و المعلوم أن المعاني المفيدة التي تتضمن قصد المتكلم معاني الجمل أو الخطاب، و أن إدراك المعاني الحقيقة للمنطوق يتحقق في سياقات الاتصال الفعلية(***************).

. أنه اهتم بالأفعال الإنشائية، و المعلوم أن الجمل القابلة للتصديق معاني الجمل الخبرية، و ليس الإنشائية، و هي التي تتضمن التعبير عن الإنجاز العملي و المعنى القطعي.

وقد استُثمرت مقولات "الفعل الإنجازي" في علم اللغة النصي و في النقد الأدبي الحديث في الغرب منذ السبعينات، و قد عد بعض الباحثين الكلام الأدبي و غير الأدبي فعلاً لغوياً (Speech Act) يدل على قصد المتكلم، و قد توسع الباحثون العرب في استخدام هذه النظرية في البحث و التحليل، و قد غالى بعضهم فطبقها على الخطاب القرآني، و أسقط مفاهيمها عليه.

(***************) لقد تناولت أفعال الكلام في كتابيّ تحليل الخطاب و البراجماتية اللسانية.

التداخلات اللغوية في تعليمية اللغة العربية للناطقين بغيرها دراسة وصفية، وتحليلية

إعداد
د/ فؤاد عمراوي
كلية علوم التربية – جامعة محمد الخامس

استلام البحث : ٢٠١٨/٥/١٥ **قبول النشر** : ١ / ٧ / ٢٠١٨

ملخص :

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على أشكال التداخل اللغوي لدى متعلمي العربية لغة ثانية خصوصا التداخل على المستوى الدلالي. سنقوم بجرد أشكاله ومظاهره من خلال تحليلٍ لأمثلة مختلفة بين العربية والإنجليزية. أيضا عن طريق وصف وتحليل وإحصاء الأخطاء التي تظهر في كتابات المتعلمين. والتمييز في إطارها بين الناتج عن تدخل اللغة أو اللغات الأولى، وبين ما ينتج عن عدم التمكن من اللغة العربية نفسها، من أجل بيان انعكاسها على سيرورة تعلم اللغة العربية لديهم.

كلمات مفاتيح: لغة أولى، لغة ثانية، تدخل لغوي، غير الناطقين بالعربية.

Abstract:

This research focuses on the types of language interference for learners of Arabic as a second language; more specifically, semantic interference. We will investigate their types and manifestations by providing various examples taken from Arabic and English. By describing, analyzing and counting the interference errors

found in the student s' writings, subject to our analysis, the impacts of interference on their learning process will be indicated.

Keywords: first language, second language, language interference, non-native Arabic speakers

مقدمة :

في إطار التعليم والتعلم المتعدد للغات الذي حظي باهتمام وعناية كبيرين خلال العقود الأربعة الأخيرة(*)من قبل مجالات بحثية كثيرة كاللسانيات، والديدكتيك، وعلم النفس بتفريعاته (علم النفس اللغوي، وعلم النفس المعرفي، وعلم النفس التربوي، وعلم النفس النمائي...إلخ)، وعلوم التربية، وعلم الاجتماع، وعلم الأعصاب اللغوي، وغيرُها كثير. يعرف تعليم وتعلم اللغة العربية باعتبارها لغة ثانية اهتماما بالغا كذلك، ويمكن رصد هذا الاهتمام من خلال نقاطٍ ثلاثٍ رئيسةٍ هي:

أولا: الاهتمام الكبير الذي أصبح يوليه الباحثون المنتمون إلى مختلف الحقول المعرفية السالفة الذكر– من لسانيين، ودِيدَكْتِيكِيِّينَ (دِيدَكْتِيكِيُو اللغات بالخصوص)، وعلماء نفسٍ، واجتماعٍ، وتربيةٍ، وحاسوبياتٍ لغويةٍ، وواضعي مناهجٍ – وما نتج عن ذلك الاهتمام من وفرة كمية ونوعية في الدراسات والأطاريح المنجزة حول تعليم وتعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها. يتجلى هذا الاهتمام أيضا في وفرة اللقاءات العلمية المنجزة، من ندوات ومؤتمرات، وفي البرامج الإلكترونية المبتكرة لتدريس العربية التي تروم توصيف وتحديد أبعاد

* أقصد مذ ثارت المدرسة المعرفية cognitivism سنة ١٩٧٠ على المدرسة السلوكية behaviorism.

هذه اللغة، وغير ذلك من الإنجازات الرامية إلى توحيد الجهود تطلعًا لِمَأْسَسَةِ وتنظيم الاشتغال حول تدريسية اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى[†].

ثانيا: تزايد أعداد الطلبة الوافدين، من جنسيات ومرجعيات لغوية مختلفة، على البرامج المهتمة بتدريس العربية للناطقين بغيرها كل حسب حاجته (الحاجة التعبدية، الاقتصادية، السياسية، العلمية المعرفية). هذا الإقبال الذي يوازيه اهتمام بتدريسية اللغة العربية للناطقين بغيرها في البلدان العربية، كما هو الشأن في البلدان الأجنبية التي أصبحت تهتم بتدريس العربية داخل المؤسسات التعليمية في مختلف المستويات، سواء تعلق الأمر بالجاليات العربية المقيمة بالخارج[‡] أو بأبناء تلك البلدان الناطقة بغير العربية.

ثالثا: تكوين وتأطير مدرسي اللغة العربية لغة ثانية[§]، وفتح وحدات وبرامج بمختلف الجامعات والكليات من أجل توفير العرض المناسب للطلب المتزايد على تعلم هذه اللغة.

إذن، وفي ظل تنامي الاهتمام بتعليم وتعلم اللغة العربية جاء هذا البحث المعنون بـ: "التداخلات اللغوية في تعليمية اللغة العربية للناطقين بغيرها: دراسة وصفية، وتحليلية، وإحصائية" استكمالاً للجهود المبذولة في

---

† انظر كمثال على ذلك: "الإطار العربي الموحد لقياس الكفاية اللغوية في اللغة العربية للناطقين بغيرها"، مشروع النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تونس ٢٠١٣. وعبد العزيز بن عثمان التويجي (٢٠٠٤).

‡ انظر. الخياري، محمد (٢٠٠٢) . ص.ص٧٥-٨٦.

§ انظر العمري فاطمة. (٢٠١٤). والعش، مهدي (٢٠٠٤). وطعيمة، رشدي أحمد (١٩٩٩).

هذا السياق. وقد أردتُ من خلاله بيان أشكال التداخل اللغوي، خصوصا تلك التي تؤثر على الدلالة، مع التمييز بين ما ينتج منها بتأثير من اللغة أو اللغات الأولى للمتعلمين، وما مَرَدُّهُ إلى عدم تمكنهم –بالقدر المطلوب– من اللغة العربية. مُعْتَمِدًا في ذلك على عقد مقارنات وصفية تحليلية بين العربية والإنجليزية (والفرنسية أحيانا). ثم تأكيد ذلك من خلال إحصاء عدد الأخطاء المرتكبة في الإنتاجات الكتابية لهذه الفئة من المتعلمين، باستخدام برنامج الرزم الإحصائية spss وبرنامج Excel للخروج بجداول ومبيانات إحصائية.

أ. إشكالية البحث

يعاني متعلم اللغة العربية باعتبارها لغة أجنبية/ثانية (ل٢) بعض المشاكل في مستوى فهم دلالة المفردات والمصطلحات والمفاهيم، ومعانيها، واستخدامها، والتعبير عنها في سياقات مختلفة والاحتفاظ بها. ولعل واحدا من أسباب هذا النوع من التداخل اللغوي، في مستوى دلالي، استعمال المتعلم للسمات الدلالية الموجودة في لغته الأولى (ل١) وإسقاطها على (ل٢)، أو عدم تمكنه بالقدر المطلوب من مُوجِبَاتِ استعمال اللغة العربية نفسها. الأمر الذي يؤدي به إلى القيام بتعميمات زائدة أو قياسات خاطئة تَسِمُ إنجازاته الكتابية بالغموض واللَّبس وعدم الدقة في التعبير عن المعنى المقصود.

إذن، ما العلاقة بين التداخل الدلالي وتعليم اللغات؟ ما مظاهر هذا التداخل في تدريس اللغة العربية باعتبارها لغة ثانية(ل٢)؟ وهل يكون اتجاه

التداخل من (ل١) إلى (ل٢) فقط؟ أم يمكن أن يحدث من داخل (ل٢) نفسها؟ وما هي الاستراتيجيات التي يستعملها متعلم العربية الناطق بغيرها ؟ ثم ما علاقة هذه الاستراتيجيات بالتداخلات المرتكبة؟ وما دور اختلاف السياق والأبعاد الإيحائية للتعابير في تغيُّر المعنى بين العربية واللغات الأولى للمتعلم؟ وكيف نجعل هذا الأخير يميز بين المعنى المعجمي وظلاله الثقافية والاجتماعية؟

ب. فرضيتا البحث

ينطلق البحث من افتراضين أساسين:

الفرضية الأولى: إن التداخلات المرتكبة أثناء تعلم اللغة (ل٢)، تكون ناتجة عن تأثير اللغة الأم للمتعلم.

الفرضية الثانية: إن التداخلات المرتكبة أثناء تعلم اللغة (ل٢)، تنتج أحيانا من اللغة الثانية نفسها ودون تدخل من اللغة الأم.

ج. أهمية البحث وأهدافه

يهدف البحثُ إلى تقديمِ حلولٍ ومقترحاتٍ بخصوص تعليم وتعلم اللغات والثقافات، وتشمل هذه الحلول الأطراف التالية:

١) متعلمو اللغة العربية الناطقين بغيرها

٢) معلمو اللغة العربية لغة ثانية (ع.ل٢)

٣) واضعو المناهج التعليمية الخاصة بتدريس العربية لغة أجنبية

٤) الباحثون في مجال تدريسية اللغة العربية عموما (**)

١.أما متعلمو اللغة العربية

يتيح لهم هذا البحث التعرف على أشكال التداخل اللغوي التي يقعون فيها، أو التي من المتوقع أن يقعوا فيها وما ينتج عن ذلك من نقولات سلبية تؤثر على سيرورة تعلم اللغة العربية من أجل تجاوزها. لأن التعرف على المشكل يعد أول خطوة للعلاج، والنقولات الإيجابية من أجل تعزيزها.

٢. معلمو اللغة العربية

يتيح لهم هذا البحث التعرف على أشكال التداخل اللغوي، لمراعاتها في الأنشطة التدريسية المقدمة.

٣. واضعو المناهج التعليمية

يتيح لهم هذا البحث، من خلال الاقتراحات المتضمنة فيه تصورات جديدة لبناء مناهجٍ عَمليةٍ في تدريس اللغة العربية.

٤. الباحثون في مجال تدريسية اللغة العربية

يُتَوَقَّعُ من هذا البحث أن يكون حلقة وصل بين الدراسات السابقة التي سيعمل على إضافة أشياء جديدة لها وبين الدراسات المستقبلية التي ستضيف له، أشياء، أغفلها أو لم تكن من صميم اهتمامه في مجال التداخل اللغوي عند تدريس العربية للناطقين بغيرها بصفة خاصة، وتدريسية اللغة العربية عموما.

** لأبنائها ولغير أبنائها

د. منهج البحث

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي والإحصائي في تحديد أشكال التداخل اللغوي لدى متعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها من جنسيات مختلفة والمنتمين إلى مؤسسات مختلفة لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بالمغرب. لتحديد أنواعه من حيث الإيجاب والسلب، وكذا بيان مظاهر التأثر على المستوى الدلالي اللغوي: المباشر[††] وغير المباشر[‡‡]. وصولا إلى بيان دور كل من اللغة أو اللغات الأولى (ل١) للمتعلمين، أو تأثير العربية نفسها على سيرورة تعلم هذه الأخيرة (ل٢). وقد تم الاعتماد في ذلك على تحليل أوراق المتعلمين. بهدف الوصول إلى اقتراح سبل جديدة تكون أساسا لبناء برامج أو طرائق تعليمية تنطلق من أشكال التداخل اللغوي، من أجل تخطيها، ومساعدة متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها على تحقيق أهداف التعلم. وبالتالي مد الجسور بين لغة الضاد ولغات المتعلمين لها.

هـ. إجراءات البحث

١. تحديد عينة البحث بشكل دقيق
٢. تجميع الكتابات، وعزلها وتصنيفها وتحليلها

[††] الناتج عن النقل الآلي للسمات الدلالية من (ل١) إلى (ل٢).

[‡‡] الناتج عن نقل لغوي غير دلالي محض؛ أي النقل الدلالي الذي يكون ناتجا عن نقل لأحد المستويات الأخرى (معجم، صوت، صرف، تركيب..). فيكون النقل الدلالي بذلك تحصيل حاصل.

٣. تكليف المتعلمين –من العينة المذكورة– للقيام بمهمات كتابية في مجالات مختلفة

٤. إحصاء عدد الأخطاء المرتكبة للخروج بمبيانات وجداول إحصائية، ثم مناقشة النتائج على ضوء الفرضية.

١. واقع تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

في ظل النظام العالمي الجديد (العولمة) الذي نعيشه اليوم "يعرف العالم ثورة شاملة في كافة المجالات، في وسائل الاتصال ونقل المعلومات، وانفجار معرفي وتكنولوجي، غير مسبوق يجعل من العالم قرية واحدة تمثل فيه اللغة مفتاح التحكم في آليات التقدم والرقي والوصول السريع إلى المعلومة والحصول على المنافع المادية والرمزية"[§§]. وبموجب المكانة التي أصبحت تحتلها اللغة العربية في مجالات مختلفة كالاقتصاد، والسياسة، والعلم...إلخ. فقد أصبح من شروط الانخراطِ في هذا الركب، الآن، ليس معرفة الفرنسية أو الإنجليزية فقط، بل دخلت العربية على المحك وبقوة. وهو ما يتضح في إقبال رجال الأعمال، والسياسة، والديبلوماسية، والعلم،...إلخ على تعلم العربية. إلا أن تعلم العربية كغيره من اللغات لا يخلو من المشاكل. ذلك أن الشروط الطبيعية المرافقة لعملية تعلم اللغات الثانية عموما[***] ليست هي نفسها الشروط التي تخضع لها عملية اكتساب (ل١). فلا شك أن اختلاف الظروف هذا سَتَتَرَتَّبُ عنه مشاكل لغوية لدى متعلمي

§§ العمري، نادية. (٢٠١٢). اللسان العربي في التربية والتعليم في ظل العولمة. ص٢٦٦. في مجلة الدراسات اللغوية.

*** ذلك عندما لا يكون متعلم اللغة أو اللغات الثانية عضوا في مجتمع هذه اللغة أو اللغات المراد تعلمها.

اللغات الأجنبية. وأبرز هذه المشاكل اللغوية ما يعرف بالتداخل اللغوي language interference، الذي يعنى بالتدخلات اللغوية (الإيجابية والسلبية) من ل١ إلى ل٢[†††].

١,١. اكتساب اللغة الأولى وتعلم اللغات الثانية

من الواضح أن تعلم اللغة أو اللغات الثانية (ل٢) يختلف عن اكتساب اللغة أو اللغات الأولى(ل١)[‡‡‡] فقليلا ما يستطيع متعلمو اللغة أو اللغات الثانية بلوغ نفس الكفاية اللغوية لدى متكلم صغير لتلك اللغة فطريا[§§§]. فـ"الطفل يكتسب لغته استنادا إلى عدد من العمليات الذهنية التي يقوم بها والتي ترتبط بنموه الإدراكي. وتتم هذه العمليات بصورة فعالة، من خلال تفاعل الطفل مع المادة اللغوية المحيطة به"[****]، ولا يعير الصعوبات اهتماما كبيرا كما يفعل متعلموها بوصفها(ل٢) لهم[††††]. فالصنف الأول يكتسب لغته في وسط طبيعي؛ عفوي، وتلقائي[‡‡‡‡]. بينما يعمل متعلمها باعتبارها(ل٢) على القيام بمجهود، أو بالأحرى سيرورة تقابلية[§§§§] بين لغته أو لغاته الأولى، واللغة أو اللغات الثانية. فالمتعلم

††† انظر. بالجيت، ب. (1999) Baljit. B

‡‡‡ انظر. كراشن، د. (1984) Krashen. D

§§§ سوزان، م. وأليسون، م. (٢٠١٤). Susan, M. and Alison, M

**** زكرياء، ميشال. (١٩٨٤). ص.١٥.

†††† انظر براون، ك. (1997) BROWN. Cynthia

‡‡‡‡ انظر. فيركاس، ك. (١٩٩٩). Vergas, c.

§§§§ في إطار ما يتيحه التحليل التقابلي. انظر. ديبيسر، ف (1970) Debyser F ص.ص٣١-٦١.

الإنجليزي للغة العربية، مثلا، يعمل على نقل المعلومات، والخبرات، والمهارات المكتسبة في اللغة الإنجليزية، ويعمل على مقابلتها بما يوجد في اللغة العربية من أجل تعلم هذه الأخيرة. أي أن تعلم اللغة الأولى يتم في ظروف طبيعية، بينما يتم تعلّم اللغة الثانية في ظروف مصطنعة ورسمية داخل المدارس والمؤسسات والمعاهد في أغلب الأحيان.

كما أن أحد الفروق المهمة بين اكتساب اللغة الأولى وتعلم اللغة الثانية هو أن عملية اكتساب اللغة الثانية ستكون متأثرة باللغات السابقة التي يتقنها المتعلم. وهذا التأثير يُعرف بـ: تدخل اللغة الأولى first language interference. وتَدَخُّلُ اللغة الأولى ظاهرة معقدة تنتج من خلال التفاعل بين المعارف والخبرات اللغوية السابقة للمُتعلِّم (التي اكتسبها في ل١) والمعارف والخبرات اللغوية اللاحقة (التي يود تعلمها في ل٢)، كما أن العمليات المعرفية الإدراكية لاكتساب (ل٢) ليست دائماً نفس العمليات المعرفية والإدراكية في تعلم (ل٢).

صحيح أنّ هناك أوجه تشابهٍ بين اكتساب اللغة الأولى وتعلم اللغة الثانية، إذ يشتركان في ضرورة الممارسة، والتقليد والتكرار، والفهم والتذكر، وما يستلزمه ذلك من عمليات المحاولة والخطأ والتعزيز...إلخ. إلا أن بينهما، وكما سبقت الإشارة، فروقا تتطلب منهجا تدريسيا خاصا بكل واحدة منهما.

١,٢. مفهوم استراتيجيات التعلم اللغوي

إن تحديد تعريفاً شاملاً لاستراتيجيات التعلم اللغوي أمر صعب للغاية، وذلك لوفرة التعاريف المقدمة بهذا الصدد واختلاف زوايا التطرق إليها. وسيتم، هنا، عرض أشهر التعاريف المُقَدَّمَةِ.

تُعَرِّفُ أوكسفودر oxford استراتيجيات التعلم اللغوي بأنها "نشاطات مخصوصة يقوم بها متعلمو اللغة من أجل تسهيل تعلماتهم وتسريعها، وجعلها أكثر متعة وفاعلية، ومُوجِّهًا ذاتيا، وقابلة للنقل إلى مواقف حياتية جديدة"[*****]. أما ريتشاردز وسميث Richards and Schmidt فيعرفانها على أنها "السلوكات المقصودة التي يستعملها المتعلمون من أجل مساعدتهم على تعلم المعلومات الجديدة وفهمها وحسن تذكرها"[†††††]. كما يعرفها سواناراك Suwanarak بأنها "إجراءات مخصوصة وواعية يقوم بها متعلم اللغة لتحقيق الهدف من تعلم اللغة، وهي متعلقة بخصائصه وتقنيات تعلمه ومستوى تحصيله"[‡‡‡‡‡]. إلا أن أشهر التعريفات حول استراتيجيات التعلم هي تلك الموجودة لدى أومالي وشاموت O'Malley, J. M. and Chamot, U, A إذ يعرفانها على أنها "عبارة عن إجراءات معقدة يطبقها

[*****] انظر. أوكسفورد، ر.(1990) Oxford, R.

[†††††] انظر. ريتشاردز، ز. وريتشارد، س. (٢٠١٠) Richards, J. and Richard. S. ص. ٣٣١.

[‡‡‡‡‡] انظر. سوواناراكا، ك (2012) Suwanarak, k

المتعلم على المهام، ومن هنا يمكن تصويرها على أنها معرفة إجرائية يمكن اكتسابها خلال مرحلة التعلم"[§§§§§].

يلاحظ من التعريفات المقدمة أعلاه أن استراتيجيات التعلم اللغوي هي مجموعة من التقنيات والإجراءات والتدابير التي ينتجها المتعلم بنفسه، من أجل مساعدته على تعلم اللغة وبلوغ الكفاية المتعددة اللغات التي يرغب فيها. بأقل جهد وأسرع وقت ممكن. هذه الكفاية التي تحدد على أنها "مجموعة من المعارف والقدرات المختلفة التي تمكن من حشد موارد سجل المتعلمين، الذي هو سجل متعدد اللغات وهي كفاية تتميز بالتعالق بين الأجزاء المكونة لها"[******]وبموجب هذا النحو من التعالق والتعقيد الذي تتطلبه الكفاية المتعددة اللغات، فلا يمكن للمتعلم بلوغها إلا إذا قام بإيجاد آليات وميكانيزمات تساعده على تعلم اللغة ومحاولة فهم هذه الميكانيزمات أو الاستراتيجيات ثم ضبط كيفيات اشتغالها، وهو كذلك، حتى يتمكن من الاحتفاظ بها من أجل استخدامها كُلَّمَا عَرَضَتْ له مواقف تعليمية تعلمية مشابهة، ليُضِيَف وينقُصَ ويُعَدِّلَ من تلك الاستراتيجية في كل مرة يَعْرُضَ لَهُ نفس الموقف التعليمي إلى أن يصل إلى ما يمكن أن أسميه بـ: النموذج الأمثل للاستراتيجية the optimal model of the strategy (OMS).

[§§§§§] انظر. أومالي، ج، م. وشاموت، و، أ (1990) O'Malley, J.M. and Chamot, U,A

[******] انظر كوسط، د. (د.ت) Coste D(N.D) الصيغة بالعربية عن الخلوفي، فاطمة(٢٠١٥). في منشورات التدريس، أشغال الندوة رقم ٦. ص٦.

والشيء نفسه بالنسبة لباقي الاستراتيجيات إلى أن تتوفر له "رُزْنَامَةٍ" من الاستراتيجيات، يوظف منها بحسب الحاجة التعَلُّمية.

٢. علاقة استراتيجيات اكتساب اللغة الأولى باستراتيجيات تعلم لغة ثانية

سيتم في هذا المحور عقد مقارنة بين استراتيجيات اكتساب اللغة أو اللغات الأولى، واستراتيجيات تعلم اللغة أو اللغات الثانية. بالنظر فيما إذا كانت استراتيجيات اكتساب (ل١) هي نفسها المستعملة في تعلم (ل٢)، أم أنهما تختلفان تماما، أم أن بعض الاستراتيجيات تخمد وتختفي بمجرد اكتساب (ل٢) وبعضها الآخر يستمر في الاشتغال حتى في مرحلة تعلم (ل٢). وتأثير كل ذلك على تعلم (ل٢).

إذا سلمنا في البداية بأن مرحلة تعلم (ل٢) تعرف استعمالا أكثر لاستراتيجيات التعلم من مرحلة اكتساب (ل١). بغض النظر عما إذا كانت هناك استمرارية أو قطيعة بين استراتيجيات اكتساب (ل١)، واستراتيجيات تعلم (ل٢)، لأنه في كلتا الحالتين سيكون المتعلم المتعدد اللغات أكثر توفرا واستعمالا لاستراتيجيات التعلم من المتعلم أحادي اللغة. فإذا كانت العلاقة هي علاقة استمرار، كان المتعلم في سياق التعددية على دراية بالاستراتيجيات التي مرت به في اكتساب (ل١)، ثم يتعرف أثناء تعلم (ل٢) على أخريات مخالفة لتلك التي اكتسب بها(ل١). وفي تعلم (ل٣) أخريات جديدة عن التي في (ل١) و(ل٢)، وهكذا دواليك بصفة دمجية وتراكمية. وحتى إذا كانت العلاقة هي علاقة قطيعة، فإنها لا تعدو أن تكون جزئية، والشاهد عندنا هو أن نحو اللغات كلي Universel، أولا، قبل أن يكون

خاصا عن طريق وسائط وبرامترات، ثانيا(††††††). ومن ذلك فما تختلف فيه اللغات يحتاج أثناء تعلمه من ابن تلك اللغة، ومن الخارج عنها (المتعلم الأجنبي) على وجه الخصوص استراتيجيات بعينها. وهو ما ورد عند جون أدولف روندال –الذي طور أعمال تشومسكي- من أن كلا من عمليتي اكتساب (ل١) وتعلم (ل٢) تتمان بنفس الاستراتيجيات، إلا أن آليات التفعيل هي التي تختلف(‡‡‡‡‡‡).

انطلاقا منه وتأسيسا عليه فإذا كانت آليات التفعيل هي التي تختلف، أما الاستراتيجيات فنفسها فمعنى هذا الكلام أن المتعلم يتوفر على الاستراتيجية التي اكتسب بها (ل١) وصِيغَتَهَا المُعَدَّلة، أو وجه التفعيل الذي يتعلم به (ل٢). وبذلك فهو أكثر استعمالا لاستراتيجيات التعلم من ذلك الذي اقتصر على ما اكْتَسَبَ به نَسَقَهُ اللغوي الأول وفقط. من دون صيغٍ مُعَدَّلَةٍ، ولا أوجهِ تفعيلٍ.

العلاقة، إذن، بين استراتيجيات اكتساب (ل١) واستراتيجيات تعلم (ل٢) هي علاقة استمرار أكثر مما هي علاقة قطيعة. لأن المتعلم يضيف، ويحذف، ويعدل من استراتيجيات اكتساب (ل١) من أجل تعلم (ل٢). وعمليات الإضافة والحذف والتعديل هذه تختلف باختلاف المتعلمين، وما يريد كل واحد منهم بلوغه أثناء تعلم (ل٢).

†††††† انظر. تشومسكي، ن. (1981)Chomsky,N. والفاسي الفهري، عبد القادر(١٩٩٠).

‡‡‡‡‡‡ انظر. روندال، ج، أ. (د.ت) (N.D) Rondal. J. A

أما عن أثر العلاقة- التي تَأَكَّدَ أنها علاقة استمرار وإغناء وتطوير في الاستراتيجيات المعتمدة بين (ل١) و(ل٢) وبالتالي وفرة في الاستراتيجيات المستعملة في التعلم المتعدد للغات، مقارنة بالتعلم الأحادي لها- فقد أوضحت الدراسات "أن عدد اللغات التي يعرفها الفرد يؤثر في وتيرة الاستراتيجيات التعلمية، كما يحسن بناء كفاية متعددة اللغات ظهور الاستراتيجيات الميتامعرفية التي تستلزم التفكير في اللغة"[§§§§§§]. بمنطق استنتاجي يمكن القول عل أن ظهور هذه الاستراتيجيات الميتامعرفية التي تساعد على التفكير في اللغة بشكل عميق، يساهم في فهم آليات اشتغال اللغة. وبالتالي ففهم اشتغال هذه الآليات اللغوية يُمَكِّنُ من التنبه إلى الانتاج اللغوي وضَبْطِهِ بالشكل الذي يتيح التملك الجيد للمكونات والمهارات اللغوية من داخل اللغة المستهدفة، وتَمَلُّكٌ جَيِّدٌ للوسيلة يليه –عادة- توظيف أَجْوَدٌ لها. وهذا كله يساهم في بلوغ كفاية لغوية عالية.

٣. علاقة استراتيجيات التعلم بالتداخلات اللغوية في العربية لغة ثانية

تساوقاً والاهتمام البالغ الذي حظيت به استرتيجيات تعلم اللغات الثانية والأجنبية. أُجْرِيَتِ العديد من الدراسات والأبحاث حول استراتيجيات تعلم اللغة العربية عند الناطقين بغيرها. وهذا المحور يدور حول سؤال أساس هو: هل هناك علاقة بين استراتيجيات التعلم وأشكال التداخل لدى متعلمي العربية لغة ثانية؟

§§§§§§ انظر الخلوفي، فاطمة (٢٠١٥).ص.٦٠. بتصرف

الانطلاقة في سبيل الإجابة عن هذا السؤال ستكون من دراستين. الأولى تلك التي قام بها العبدان عبد العزيز والدويش عبد الرحمان ١٩٩٨ المعنونة بـ: "استراتيجيات تعلم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية". والثانية قام بها، كما نونجلكسانا" ٢٠٠٧ بعنوان: "استراتيجيات تعلم اللغة وعلاقتها بالأخطاء اللغوية لمتعلمي العربية في الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا: دراسة تحليلية". ليتم بعد ذلك بيان علاقة الاستراتيجيات التي يستخدمها متعلمو اللغة العربية لغة ثانية، بالتدخلات اللغوية التي يقعون فيها.

الدراسة التي قام بها العبدان والدويش ركزت على معرفة درجة استخدام الطلبة الناطقين بلغات أخرى غير العربية لاستراتيجيات تعلم اللغة العربية، والعلاقة بين اللغات التي يعرفونها وبين الاستراتيجيات التعليمية التي يستخدمونها. وخلصت هذه الدراسة إلى أن المتعلمين يستخدمون الاستراتيجيات الميتامعرفية أولا، ثم الاستراتيجيات الاجتماعية، تليها في مرتبة رابعة الاستراتيجيات التعويضية، ثم الاستراتيجيات الوجدانية خامسا، لتأتي استراتيجيات الذاكرة في الأخير. وقد أكدت الدراسة على وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين مستوى استخدام الطلبة لاستراتيجيات التعلم اللغوي وعدد اللغات الأجنبية (غير لغتهم الأولى/الأم) التي يعرفونها(*******).

أما الدراسة الثانية وهي الأقرب إلى ما أود النظر فيه، دراسة نونجلكسانا الذي قام بدراسة هدفت إلى بيان العلاقة بين استراتيجيات تعلم

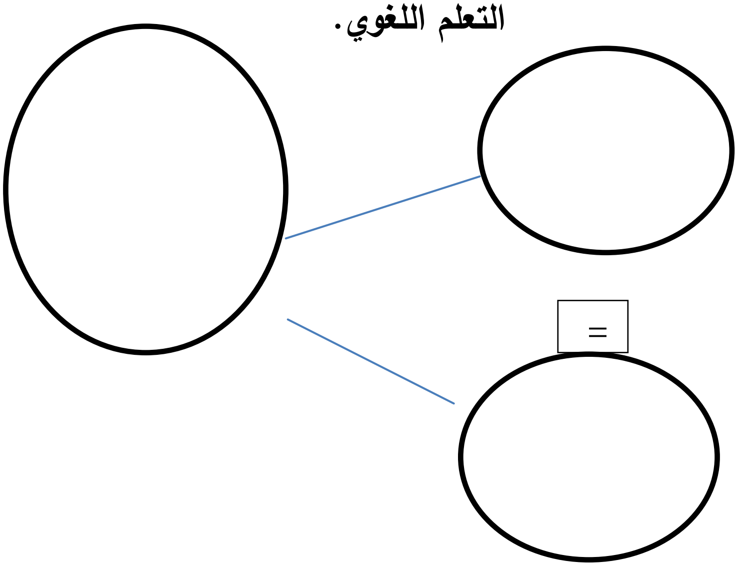
******* انظر. العبدان، عبد العزيز والدويش، عبد الرحمان. (١٩٩٨). ص.ص.١٦٩-٢١٩.

اللغة والأخطاء اللغوية. والتي خلصت إلى أن توعية المتعلم وتوجيهه إلى استخدام الاستراتيجيات المناسبة والفعالة لتعلم اللغة أثناء تقدمه في تعلم اللغة العربية يقلل من وقوعه في الأخطاء أو يجعله يتفادى نسبة كبيرة منها(†††††††).

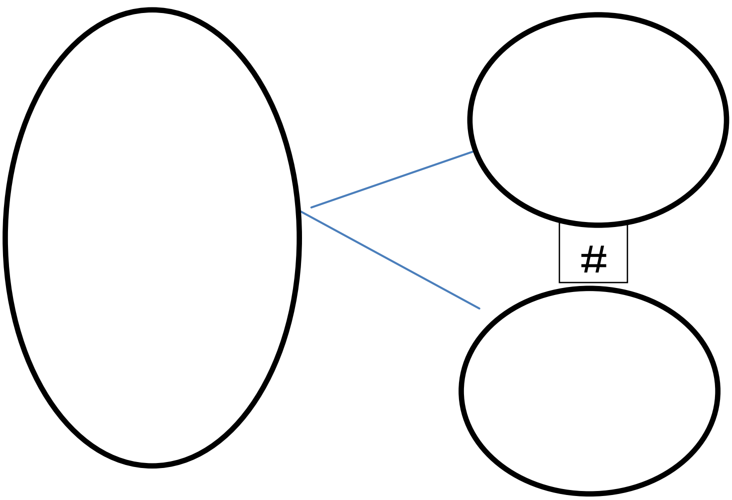
سبقت الإشارة في معرض الحديث عن العلاقة بين استراتيجيات اكتساب (ل١) واستراتيجيات تعلم (ل٢)، إلى أن الاستراتيجيات نفسها- تقريبا- هي المستعملة، مع الحذف والإضافة والتعديل استجابة لما تتميز به لغة ما-من وسائط/برامترات-عن لغة أخرى. بعبارة أخرى، أن تفعيل آليات اشتغال الاستراتيجيات تختلف استجابة لما تختلف فيه اللغات. بينما تُفَعَّلُ آليات الاشتغال هذه بالطريقة نفسها فيما تشترك فيه اللغات من مبادئ، وعناصر، وبنيات، ومكونات لغوية. ويمكن التمثيل لهاتين الحالتين على التوالي بالشكلين أسفله:

††††††† انظر. كما، نوبجلكسانا. (٢٠٠٧).

شكل رقم ١: رسم يبين التشابه بين (ل١) و(ل٢) وعلاقته باستراتيجيات التعلم اللغوي.



شكل رقم ٢: رسم يبين الاختلاف بين (ل١) و(ل٢) وعلاقته باستراتيجيات التعلم اللغوي.



الواضح من خلال الشكلين أعلاه أن تشابه(=) العناصر اللغوية في (ل١) و(ل٢) أدى إلى تفعيل الاستراتيجيات التَّعَلُّمِيَّة بالكيفية نفسها، بينما أدى اختلاف (#) العناصر اللغوية بين اللغتين إلى اشتغال الاستراتيجيات بكيفية مختلفة.

قياسا على ذلك وبناء عليه، فكلما كان التقارب والتشابه بين اللغة العربية واللغات الأولى للمتعلم أكبر، كان اشتغال الاستراتيجيات بالطريقة نفسها أكثر. وهذا معناه توفير في الجهد وفي الكلفة الزمنية اللذان من شأنهما الرفع من حافزية المتعلم وازدياد إقباله على تعلم اللغة العربية(‡‡‡‡‡‡‡)، وبالتالي تحقيقه لكفاية لغوية عالية في هذه اللغة. وذلك ما – قد- يكون سببا في عدم سقوطه في التداخلات اللغوية السلبية أساسا(§§§§§§§)، أو في التخفيف من نسبة الوقوع فيها. لأن المتعلم يكون أكثر تَنَبُّهًا لما ينتج في العربية. وكلما كان التباعد والاختلاف بين العربية وتلك اللغات أكبر، كان اشتغال الاستراتيجيات بطرق مختلفة أكثر. الأمر الذي يستوجب من متعلمي العربية الغير ناطقين بها مجهودًا أكبرَ ووقتًا أكثرَ، وهذا من شأنه أن يسبب قلقًا وإحباطًا لدى المتعلم. وبالتالي الحيلولة

‡‡‡‡‡‡‡ للمزيد حول عن حافزية المتعلم وجاذبية اللغة. انظر. العمري، نادية. (٢٠١٣). المقاربة التربوية لإشكال تعليم اللغة العربية. في منشورات كلية اللغة العربية. سلسلة أعمال المؤتمرات والندوات. ص٢٠٤-٢٠٦

§§§§§§§ أقصد هنا تلك التي يكون مردها لتدخل اللغة أو اللغات الأولى للمتعلمين، أو (و) الناتجة عن التعميم الزائد والقياس الخاطئ اللذان مردهما عدم التمكن من مُوجِبَاتِ الاشتغال اللغوي في العربية.

دون بلوغه للمستوى المطلوب في التمكن من الكفاية اللغوية في اللغة العربية.

٣.أنواع التداخل اللغوي وبعض المصطلحات والمفاهيم المجاورة

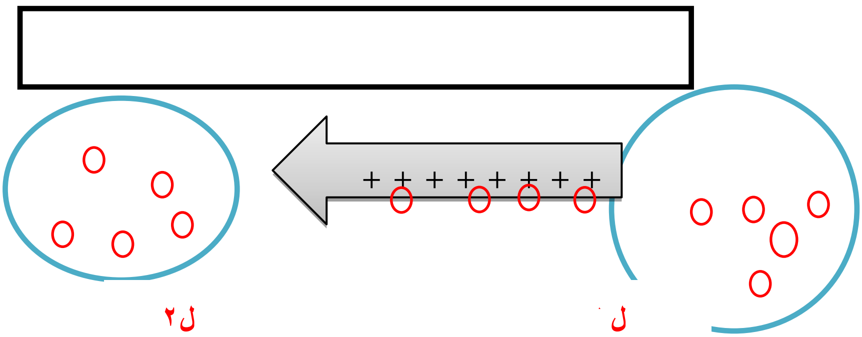
يرتبط مفهوم التداخل بمجموعة من المفاهيم والمصطلحات المجاورة، من قبيل التدخل، والتحول، والانتقال، والاقتراض...إلخ. منها ما هو أشمل من التداخل ومنها ما يندرج ضمنه. كما أن منها ما يكون بين اللغات وما يكون داخل اللغة الواحدة. ومنها ما يتم بصفة شعورية وما يتم بصفة لا شعورية. لذلك يروم هذا المحور تسليط الضوء على مجموع هذه المصطلحات والمفاهيم وبيان أوجه الشبه والاختلاف بينها وبين التداخل. حتى يتم للقارئ التمييز بينها. وكذا من أجل بيان الغرض من هذا البحث بشكل جلي.

٣,١. أنواع التداخل

تَشْتَرِكُ اللغات في مجموعة من الخصائص، كما أنها تختلف في خصائص أخرى يُمَيَّزُ بواسطتها بين هذه اللغة وتلك. ولهذا التشابه والاختلاف أثره في التعليم والتعلم المتعدد للغات. فعندما يبدأ المتعلم بتعلم لغة ثانية غير لغته الأم، فإنه يقوم بنقل مجموعة من العناصر اللغوية من (ل١) إلى (ل٢). وهذه العناصر المنقولة، إما أن تكون من النوع الأول أي الخصائص المشتركة بين اللغات فتكون أما تدخل إيجابي. أو أن تكون من العناصر المختلفة بين اللغات، فيتسبب نقلها في تدخل سلبي. وهو ما سيتم بيانه في هذا المحور مع أمثلة بين العربية والإنجليزية مرفوقة بأشكال توضيحية.

٣,١,١. التداخل الإيجابي positive interference

التداخل الإيجابي هو التدخل الذي يجعل التعلم سهلا. ويظهر عندما يكون للغة الفطرية واللغة الأجنبية نفس الشكل فمثلا كُلٌّ من الفرنسية والإنجليزية توجد فيها كلمة" table" التي تدل على نفس الشيء"(********) أي الطاولة وهذا ما قد يجعل الانتقال من الواحدة منهما إلى تعلم الأخرى أمرا سهلا. وبذلك فهذا النوع من التداخل–على مستوى الوحدات المعجمية– يحدث عندما يستعمل متعلم اللغة عناصر ومبانٍ لغوية موجودة أصلاً في اللغة الثانية. إنه أداة مساعدة على تعلم لغة جديدة ثانية أو ثالثة أو رابعة...إلخ. فكما كان التقارب أكبر بين اللغتين، وكلما كان المتعلم على علم بالعلاقة بين اللغتين، حصل النقل الإيجابي بشكل أكبر(††††††††). وإن رمنا التبسيط مثلنا لهذا النوع من التداخل اللغوي؛ بالترسيمة التالية



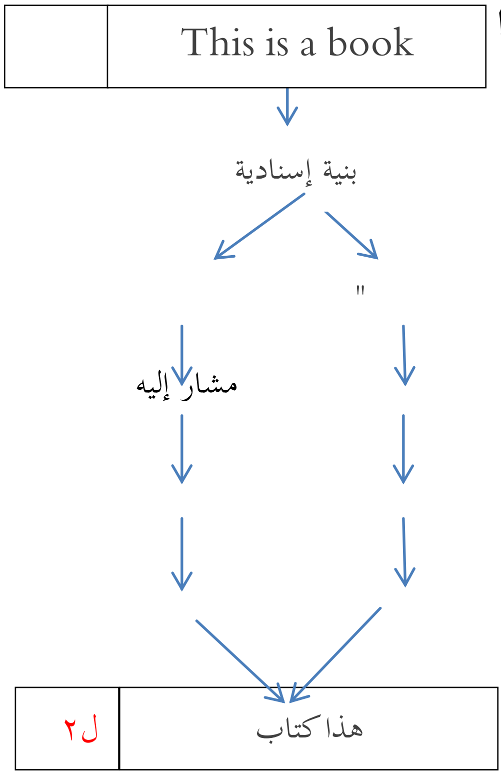
******** انظر ريتشاردز، ج. وريتشارد، س(Richards, J. and Richard, S(2010 . ص.ص.٣٢٢-٣٢٣.

†††††††† لكن اتساع حيز التشابه بين ل١ و ل٢، أو اتساع حيز الاختلاف بينهما لا يعني سهولة أو صعوبة تعلم (ل٢) فالتشابه والاختلاف مسألة لغوية، بينما السهولة والصعوبة؛ مسألة نفسية – لغوية. انظر: الراجحي، عبدو (١٩٩٥م).ص ٢٤-٤٣.

كما نلاحظ من خلال الترسيمة (5) أعلاه أن بعض العناصر اللغوية المتشابهة–وفقط– بين اللغتين تنتقل من (ل١) في اتجاه (ل٢) لتَسِمَ النقل اللغوي –في هذه الحالة– بـ: الايجابي فهو –بذلك– أداة مساعدة تنطلق مما هو موجود أو قديم (ل١) لبناء كفاية لغوية جديدة داخل نسق لغوي جديد (ل٢). ومثال هذا النوع من التداخل على مستوى التراكيب بين اللغة الإنجليزية(ل١) واللغة العربية(ل٢)؛ جملة من قبيل:

1. أ) This is a Book

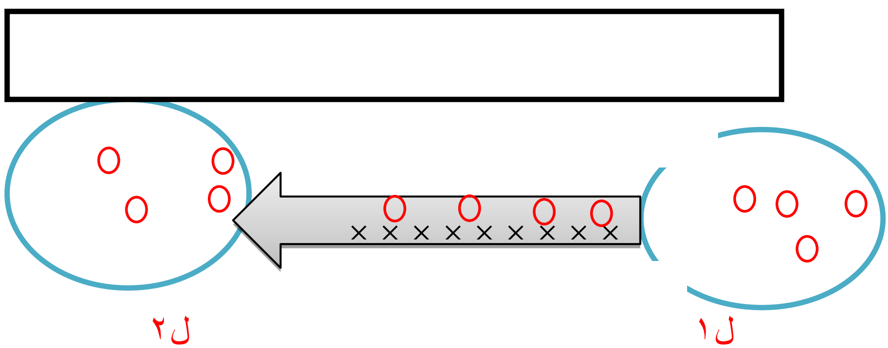
ب) هذا



المتعلم هنا نقل المعنى المراد وأطراف البنية الإشارية فقط (أداة الإشارة والمشار إليه) ثم قام بالنقل إلى العربية.

٢,١,٣. التداخل السلبي negative transfer

يقصد به تأثير اللغة الأولى الذي يؤدي إلى الخروج عن قواعد اللغة الثانية. ويحدث عندما ينقل المتعلم ملامح وبنيات من لغته الأم ويسقطها بطريقة آلية على اللغة الثانية، دونما مراعاة لخصوصيات هذه اللغة المنقول إليها (اللغة الهدف target language). وهذا هو السبب الأساس في حدوث التداخل السلبي الذي يشوش بشكل كبير على عملية تعلم اللغات الأجنبية. وإذا كان التداخل الإيجابي أداة مساعدة. فالتداخل السلبي يعتبر عاملا معيقا في تعلم لغة جديدة بسبب اتساع حيز الاختلاف بين (ل)١ و (ل٢). والشكل أسفله يبين هذا النوع من التداخل.



الملاحظ من الترسيمة (6) أن بعض العناصر اللغوية المختلفة –وفقط– بين اللغتين تنتقل من (ل١) في اتجاه (ل٢). الأمر الذي من شأنه أن يسِمَ الانتاج اللغوي للمتعلم في (ل٢) بالمضطرب واللاحن، وغير المقبول. وذلك لوجود فرق واختلاف بين العناصر أو الخصائص اللغوية المميزة لـ: (ل١) وتلك الموجودة في (ل٢).

لنأخذ المثال السابق: (1.أ). ليكن المقابل في العربية هذه المرة كما في (ج.١)

ج.١) "*هذا هو كتابٌ".

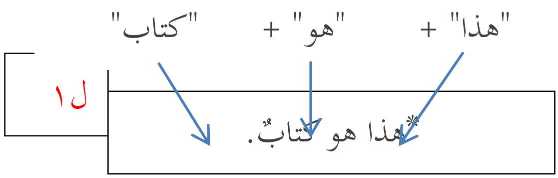
ليتبين أن المتعلم في هذا النوع لا يفرق بينما يتشابه بين اللغتين وما يختلف، فيقوم بنقل آلي– للكل في الكل– من (ل١) إلى (ل٢). ويمكن توضيح ذلك على النحو التالي:

This is a book	ل١

]a book] +[is]+[This [

"مسند" + "رابطة" + "مسند إليه"

"أداة إشارة" + "رابطة" + "مشار إليه"



الجملة (١.ج) إذن، جملة لاحنة فاللغة العربية لا تقبل مثل هذا التركيب (مسند/أداة /مسند إليه). والمتعلم في هذه الحالة لم يقم بنقل الصيغة فقط، كما في المثال السابق للنقل الايجابي. بل قام بنقل آلي للجملة من ل١ (الانجليزية) إلى ل٢ (العربية) غير مُرَاعٍ للفروق التمييزية بين اللغتين.

نستنتج من خلال ما سبق توضيحه أن التدخل الإيجابي لا يؤدي إلى انحراف المعنى من (ل١) إلى (ل٢) كما في (١.أ) و(١.ب). وبالتالي فهو أداة مساعدة يرتكز بموجها المتعلم على ما لديه في لغته أو لغاته الأولى من أجل تسهيل وتسريع عملية تعلم اللغة أو اللغات الثانية. أما التداخل السلبي فيؤدي إلى انحراف المعنى بين (ل١) و(ل٢) ويُوقِعُ المتعلم في لبس دلالي، الأمر الذي من شأنه أن يكون عائقا يُـبَطِّـؤُ ويشوش سيرورة تعلم اللغة الثانية كما في (١.ج).

٢,٣. التداخل والتحول

التحول code–switching ظاهرة لغوية تحدث عندما يقوم المتكلم أثناء المقام التخاطبي الواحد بالانتقال من (ل١) إلى (ل٢) ومنها إلى (ل١) ثم العودة إلى (ل٢) وهكذا دواليك. ويحدث التحول، أساسا، على مستوى المفردات والجمل، فعندما لا يجد المتكلم في اللغة أو اللغات الثانية العبارة المناسبة – أو لا يقدر على إيجادها– للمعنى المراد تبليغه للمستمع. يستعين بما يعرفه من لغته أو لغاته الأولى. أو العكس، فعندما يجد أن العبارة في لغته لا تسعفه في إبلاغ المعنى المراد بدقة، يتحول إلى اللغة الثانية لينقل

منها كلمات وعبارات أبلغ في التعبير وأدق في إيصال المعنى من نظيرتها في اللغة الأولى. ويمكن أن التمثيل لهذه الحالة بين اللغة العربية واللغة الفرنسية في البلاد المغاربية، خصوصا في المغرب والجزائر وتونس، التي عرفت استعمارا فرنسيا ترتب عنه إلحاق لغوي annexation أثر على اللغات الأولى في هذه المناطق.

يُشترط في التحول أن يكون المستمع على دراية باللغتين أو اللغات التي يقوم المتكلم بالانتقال بينها، وهو بذلك عكس التداخل الذي لا يَشْتَرِطُ أن يكون المتلقي على دراية باللغات التي يستعملها منتخ الخطاب (كتابة كان أو مشافهة). كما أن التداخل غالبا ما يكون بطريقة لا شعورية، بينما يتم التحول بموجب عملية إدراكية واعية ومقصودة من قبل المتكلم يروم من خلالها تحقيق أهداف تخاطبية بعينها.

٣,٣. التداخل والانتقال

يحدث الانتقال transfer عندما يقوم المتعلم بالانتقال من موقف تعليمي إلى موقف تعليمي آخر. إذ يقوم المتعلم بالاعتماد على ما اكتسبه من معارف ومهارات وخبرات واستراتيجيات...إلخ في اللغة أو اللغات الأولى– أو في أي موقف تعليمي على العموم– من أجل تعلم معارف ومهارات وخبرات واستراتيجيات... جديدة. فإذا ساهم هذا الانتقال في تيسير/تسهيل تعلم الموقف التعليمي الجديد فيسمى الانتقال إيجابيا positive transfer، أما إذا كان هذا الانتقال عنصرا مشوشا/معيقا فنحن بصدد الانتقال السلبي negative transfer. وبذلك فالانتقال أشمل وأوسع

من التداخل، لأن هذا الأخير عادة ما يُطْلَقُ في حقل تعليم اللغات الثانية second language acquisition(SLA) على الانتقال السلبي من (ل١) إلى (ل٢).

٤,٣. التداخل والاقتراض

يحدث الاقتراض borrowing عندما يستعمل المتكلم كلمة من لغة أخرى ليست لغته. أو بعبارة أخرى هو عملية شعورية يقوم بموجبها الفرد أو المجتمع بنقل كلمات من لغة أجنبية ليوظفها أثناء التعبير الشفوي أو الكتابي في لغته لأغراض تواصلية مختلفة. ولا يُشترَط في "المُقْتَرِضِ" أن يكون على علم باللغة المُقْتَرَضِ منها، بل تكفيه المعرفة بالمفردات التي يقترضها وبموجبات استعمالها. ويمكن أن نمثل لهذا الأمر بالكلمات والمصطلحات المقترضة في مجال المعلوميات العربية والتقانة العربية الحديثة، هذا المجال الذي يعرف عددا كبيرا من الكلمات والمصطلحات المقترضة من الانجليزية أو (و) الفرنسية.

يختلف التدخل عن الاقتراض، إذن، في مجمل النقاط الآتي ذكرها:

أ. التداخل عملية لا شعورية في حين أن الاقتراض يتم بصفة شعورية

ب. التداخل يكون على مستوى الأفراد، وفقط، بينما الاقتراض يكون فرديا وجماعيا

ت. التداخل عملية نفسية لغوية، أما الاقتراض فعملية لغوية مجتمعية

ث. التداخل يكون على مستويات لغوية مختلفة (صوتية، تركيبية، ونحوية، ودلالية...)، بينما الاقتراض يكون على المستوى المفرداتي – المصطلحاتي وفقط.

٣,٤. عوامل التداخل

تدخل في حدوث التداخلات اللغوية مجموعة عوامل سيتم فيما يلي بيان كل واحد منها بشيء من التفصيل:

٣,٤,١.طبيعة المهمة اللغوية

إذ تَعْتَبِرُ النظرة الحديثة للتداخل طبيعة المهمة اللغوية التي يقوم بها متعلم اللغة الثانية، متغيرا أساسا في زيادة أو نقصان نسبة التداخل. فالترجمة على سبيل المثال تعتبر سببا في حدوث نسبة تداخل أكبر من غيرها من المهمات. إذا كانت آلية/حرفية كان التداخل – غالبا – سلبيا. وإذا كانت تنقل المعنى وتتجرد مما من شأنه المساس بالمراد إبلاغه كان التداخل إيجابيا.

٣,٤,٢. ضغط الاستعمال المبكر

المقصود بهذا العامل أن يكون الفرد مجبرا –لغرض ما– على التعبير الشفوي أو الكتابي باللغة الثانية قبل أن يتمكن من تعلمها بالشكل المطلوب. فيكون ذلك سببا في حدوث تدخل اللغة الأولى، لأنها في موقع قوة لديه ولأن الرقابة من داخل اللغة الثانية لا تزال ضعيفة، ولم تصل بعد للدرجة التي تُمَكِّنُهَا من منع حدوث تلك التدخلات تدخل من لغته.

٣,٤,٣.ضعف الرقيب

المقصود به أن المتعلم عندما لا يتوفر لديه الإلمام الكافي بموجبات استعمال اللغة الثانية، فإن احتمال تدخل اللغة الأولى يرتفع. وعلى العكس من ذلك فإن هو استطاع التعرف على كيفيات الاشتغال من داخل (ل٢) فالمتوقع أن احتمال تدخل (ل١) يكون ضعيفًا.

٤,٤,٣.اتقان ل١ ول٢

هذا العامل على ارتباط شديد باتجاه التداخل، فكلما كان حيز الفرق بين (ل١) و(ل٢) متسعا كان ذلك سببا في ارتفاع احتمال وقوع التداخل. أي تدخل اللغة الأكثر اتقانا أو الأكثر هيمنة لدى المتعلم في اللغة الأضعف والأقل هيمنة.

٥,٤,٣.مكانة اللغة

يكون الحديث بصدد هذا العامل عندما يكون المتعلم في حالة اتقان شبه مُتُسَاوٍ بين (ل١) و(ل٢)، حينها ينتقل التأثير ليكون بموجب مكانة كل لغة بالنظر إلى المتعلم (أي موقفه منها ونظرته إليها) وبالنظر إلى مكانتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية...إلخ. وليس بموجب متغير القوة والضعف بين اللغتين.

٦,٤,٣.محدودية التعرض

المقصود بهذا العامل أنه على الرغم من بلوغ المتعلم درجة إتقان عالية في (ل٢) من خلال معرفته بالضوابط الصوتية والتركيبية والنحوية والدلالية...إلخ. إلا أن المادة اللغوية المعروضة له داخل الكتب المدرسية

وفي حجرات الدراسة لا توفر القدر المطلوب من أجل التمكن من اللغة. فلابد له من الاحتكاك بالوسط الاجتماعي الذي تمارس فيه اللغة، لأنه يُعْتَبَرُ مَنْهَلاً أساسًا لمتعلمي اللغات الثانية، لذلك نجد المهتمين بتعليم وتعلم اللغات الثانية يركزون على ضرورة ملامسة المتعلم لجوانب من هذا الواقع. حيث الدلالات تختلف عما هو موجود بين دفات المعاجم والكتب، وحيث الثقافة والمعطيات الاجتماعية على احتكاك مع المعطيات اللغوية من أجل اصباغها بدلالات جديدة. وإذا علمنا أن ما هو موجود في الكتب وقاعات الدروس لا يوفر لمتعلم (ل٢) المادة اللغوية المطلوبة، فمعنى ذلك أنه يعجز عن التعبير بطلاقة وإتقان بها ومن داخلها. وكلما زاد هذا العجز زاد احتمال التداخل.

٣,٤,٧.الموقف من اللغة

يعتبر الموقف من اللغة عاملا أساسيا، للغاية، في بلوغ المتعلم كفاية عالية في (ل٢) أو في الوقوف حجرة عثرة أمام تحقيق التعلم. ذلك أن نظرة المتعلم للغة تحدد مدى اندفاعه وإقباله عليها، فإن كان يرى في تعلم (ل٢) سلبا لكرامته، وحريته، وانتمائه الهوياتي، كان إقباله عليها ورغبته في التمكن منها أضعف وكان ذلك سببا في تدخل (ل١). ويمكن أن نمثل لهذا النوع بموقف المتعلم من لغة المُسْتَعْمِر، مثلا، الذي يرى فيه مَنْ قَتَلَ الآبَاءَ والأجداد وانْتَهَكَ الحُرُمَات، وتعلمُ لغته سيعتبر تطبيعا وتَوَاطُؤًا معه (وتدنيسا لدماء الشهداء). أما إذا كان موقفه منها إيجابيا وكان ينظر إليها على أنها لغة انفتاح وعلم، واقتصاد، وسياسة، وشغل...إلخ. فإن إقباله عليها سيكون

أكبر، ومن شأن ذلك أن يقلل من نسبة احتمال التداخل. ومثال ذلك اللغة الإنجليزية، اليوم، التي تعتبر لغة العصر والشغل والتواصل مع أكبر عدد ممكن من ساكنة المعمور، وأن تعلمها يعتبر مسايرة للعصر وإشارة على وعي صاحبها وتَحَضُّرِهِ. فيكون ذلك سببا في بذل جهد مضاعف في سبيل إتقانها، ومحاربة أي تدخل –سلبي– من لغته الأولى من شأنه أن يحول دون بلوغ الهدف.

٤. أنواع التداخلات اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها

٤,١.التداخل الدلالي اللغوي

سيهتم هذا المحور ببيان الأخطاء الصوتية، ثم الأخطاء الصرفية، فالأخطاء الإملائية، ثم الأخطاء النحوية. التي يكون منشؤها إما تدخل اللغة الأولى للمتعلمين أو الناتج عن عدم التمكن من اللغة العربية فيقوم المتعلم بتعميم بعض الظواهر على البعض الآخر أو عدم الدراية بموجبات التعامل مع تلك القواعد فيحصل لديه خلط في استعمالها. مع الوقوف على تحليل الأخطاء التي تسبب في تغير الدلالة. أما تلك التي لا تؤثر فسيتم الاقتصار على ذكرها.

٤,١,١.التداخل الصوتي

يعتبر التداخل الصوتي(‡‡‡‡‡‡‡‡) من (ل١) إلى (ل٢) أول نوع من أنواع التداخل اللغوي وأكثرها شيوعا في مجال اكتساب اللغات الثانية

‡‡‡‡‡‡‡‡ من الضروري الإشارة هنا إلى أن التدخل الصوتي نوعين: تدخل صوتي فونيمي phonimic transfer وتدخل صوتي ألفوني alophonic transfer. والنوع الأول الفونيمي هو الذي أود التطرق إليه وهو الذي يكون

second language acquisition (SLA). ولأن الأصوات هي أول ما يكتسبه الفرد من النسق اللغوي وهي الأساس الذي تتبني عليه أي لغة بشرية كما في تعريف ابن جني "اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[§§§§§§§§]، فالكثير من الأبحاث في مجال الصواتة والأصواتية، وتدريس نطق اللغة أو اللغات الثانية، تؤكد على أن التدخل على هذا المستوى غالبا ما يكون سلبيا[*********]وهو على العموم يتوافق طرديا مع حجم الاختلاف بين (ل١) و(ل٢).

فكيف يتم هذا التداخل؟ وما العناصر الصوتية–التمييزية الموجودة في اللغة العربية دون غيرها من اللغات؟ أو ما تلك الموجودة في لغات أخرى عدا العربية؟ وكيف تؤثر هذا الخصائص الصوتية المختلفة في تبدل الدلالة بين (ل١) و(ل٢)؟

٤,١,١,١. التداخل الصوتي الناتج عن عدم التمكن من العربية

يتجلي هذا النوع بشكل أساس في الخلط بين الحركات القصيرة (الفتحة والكسرة والضمة) والحركات الطويلة (الألف والياء والواو).

بين لغتين مختلفتين. وبما أن أصوات اللغة العربية لها قدرة وظيفية وأي انزياح عن النسق الصوتي العربي المعيار، قد يؤدي إلى انزياح دلالة الملفوظ. في حين أن "التدخل الألفوني" غالبا ما يكون داخ النسق اللغوي الواحد (بين اللهجات) وقليلا ما يكون له تأثير على مستوى الدلالة.

§§§§§§§§ ابن جني، د.ت، ص٣٢

********* انظر. روبيرت، بانيرت (Robert Bannert(2005. ص٧٥

أ. الخلط بين الفتحة القصيرة ـَ) والفتحة الطويلة (ا)، كما في "رَبَطَ" و"رَابَطَ"، فالأولى تدل على ربطِ أجزاء الشيء وشدِّ بعضها ببعض. بينما تدل الثانية على الإقامة كما في قولنا "رابط الجند في المعسكر شهرا كاملا". وكذلك الحال في كلمات من قبيل "سَأَلَ" و "سَاءَلَ"، وفي "صَرَفَ" و "صَارَفَ"، وفي "ضَرَبَ" و "ضَارَبَ".

ب. الخلط بين الكسر القصيرـِ) والكسرة الطويل(ي)، ومثال ذلك كلمة "زِرٌّ" وكلمة "زِيرٌ". فالأولى تدل على نقطة التحكم في جهاز معين مثلا تشغيله أو إطفائه. أما "الزير" فهو نوع من الأواني الخزفية، التي تستعمل لتخزين العسل أو السمن وغيرها. وكذلك الحال بالنسبة: ل "خِلٌّ" و "خِيلٌ". فـ "خِلٌّ" تستعمل للدلالة على الصديق والرفيق، بينما "خِيلٌ" تستعمل للدلالة على جمع "حصان". قد يؤدي عدم التمييز بين الكسر القصير والطويل إلى الانتقال من صيغة "الفعل" إلى صيغة "مبالغة اسم الفاعل". وذلك نحو "رَحِمَ" و "رَحِيمٌ".

ج. الخلط بين الضمة القصيرةُ) والضمة الطويلة (و)، في "رفع"، في جمل من قبيل:

١٢.أ) رُفِعَ علم البلد عاليا. ب) رُوفِعَ الملف في المحكمة

إذ تدل الأولى في (١٢.أ) على انقضاء رفع الشيء. وذلك من مكان منخفض إلى آخر أعلى منه، واتجاه العمل من الرافع (وهو مجهول في الجملة) إلى المرفوع (علم البلد). أما الثانية والتي بها ضمٌ طويل في (١٢.ب) فتدل على انقضاء عملية "الترافع" بين طرفين، "مُتَرافعين"،

بخصوص ملف موضوع محط نزاع في المحكمة. وكذلك الحال بالنسبة لـ: "ضُرِبَ" و"ضُورِبَ"، وفي "سُئِلَ" و"سُوئِلَ"، وفي "صُدِرَ" و "صُودِرَ".

٤,١,١,٢. التداخل الصوتي الناتج عن تدخل اللغة الأولى

يتجلى هذا النوع بشكل أساس في تقريب المتعلم واستبداله لبعض أصوات اللغة العربية بأصوات مشابهة في اللغات الأوروبية، ويحدث هذا النوع من التداخل نتيجة تميز النسق الصوتي العربي بتركيبة صوتية متكاملة وخصائص غير موجودة في جميع اللغات(†††††††††) مما يؤدي إلى صعوبة نطق متعلم اللغة العربية كلغة ثانية لمجموعة من الأصوات مثل (العين، والقاف، والحاء، والظاء، والضاد....). فيعمل على حذفها أو استبدالها أو تقريبها – بوعي أو بدون وعي– من أصوات في لغته أو لغاته الأولى. كأن يشبه صوت "ص" في العربية بصوت "s" في الإنجليزية مثلا. وذلك كما بين (١٣.أ) و(١٣.ب).

١٣.أ) "*سَارَ الحليب لبنًا". ب) "صَارَ الحليب لبنًا"

الملاحظ أن عدم التمييز بين هذين الصوتين خَرَجَ بالجملة (١٣.ب) عن دلالتها الصحيحة التي هي أن يصير الحليب لبناً بعد دخول عامل ما عليه. إلى دلالة خاطئة لاحنة(‡‡‡‡‡‡‡‡‡) كما في (١٣.أ). فالصاد في العربية صفيرية ومفخمة، بينما "S" في الإنجليزية صفيرية كذلك لكنها مرققة.

(†††††††††) ذلك أن الأصوات العربية تتميز بصفة وظيفية لا توجد في كثير من اللغات الأم للمتعلمين نحو: صفة (الإطباق) وهي صفة صوتية وظيفية تتميز بها العربية، ويفرق فيها بين معنى وآخر.

(‡‡‡‡‡‡‡‡‡) انظر. جوهان، باراديس. (د.ت) (Johanne, paradis (N.D

كذلك الأمر بين "ط" و"ت" في العربية التي يشبهها المتعلم بأقرب صوت عنده هو "t". كأن يكتب "طيار" وهو يقصد "تيار". وبين "ظ" و"t" فيكتب "تلال" وهو يقصد "ظلال" لأنه يجد صعوبة في نطق الأصوات المطبقة.

نستنتج مما سبق أن الأصوات العربية تلعب دورا وظيفيا في تبدل الدلالة من كلمة إلى أخرى كما في المثال بين "سار" و"صار". وقد يؤدي عدم تمكن المتعلم من التمييز بين الفروق الوظيفية لهذه الأصوات إلى خطأ دلالي. لذلك فعلى المدرس– على وجه الخصوص– العمل على تمكين المتعلمين من معرفة الخصائص الصوتية الموجودة في لغاتهم الأولى وتلك الموجودة في العربية، فيقوموا بنقل ما تشترك فيه اللغتين وترك ما تختلف فيه. لأن من شأن هذا الاختلاف أن يسب في تداخل صوتي سلبي ذو أبعاد دلالية تُسِيءُ إلى الانتاجات اللغوية لهذه الفئة من المتعلمين. كما أن اختلاف الحركة بين القصر(ـَ ـِ ـُ) والطول(ا، ي، و) يؤدي إلى اختلاف دلالات الكلمات؛ وبالتالي دلالات الجمل في اللغة العربية، وذلك لما تتميز به العربية من قوة اشتقاقية تُخَوِّل لمستعمليها التنقل من صيغة إلى أخرى بمجرد إطالته أو تقصيره لنطق الكلمة. الأمر الذي ينتج عنه حرف جديد قد يكون "ا" أو "ي" أو "و" والذي يثبت رسما، فينتج عن ذلك تبدل دلالي ناتج عن تبدل صوتي طفيف قد لا يعيره متعلم اللغة العربية ك(ل٢) اهتماما فيقع في الخطأ.

٢,٤. التداخل الإملائي

ويعزى هذا النوع من التداخل أساسا إلى وجود بعض الأشكال اللغوية في العربية وعدم وجودها في اللغات الأولى للمتعلمين، ويتجلى ذلك في العناصر التالية.

أ. الخلط في كتابة الهمزة عندما تأتي في أول الكلمة أو في وسطها أو في آخرها.

ب. عدم التمييز بين التاء المفتوحة والتاء المربوطة ومثال ذلك كلمتي "ابْنَةٌ" و"بِنْتٌ" اللتان يدخل في تحديد سلامة استعمالهما من عدمها السياق أو التركيب الذي ترد فيه، ثم كلمتي "سيارة" و"*سيارت"، أو "كرة" التي يكتبها "*كرت".

ت. الخلط بين الحروف التي تنطق ولا تكتب، والحروف التي تكتب ولا تنطق، ومن أمثلة ما ينطق ولا يكتب: التنوين الذي يتجلى نطقا بنون في آخر الكلمة. وقد يعمل المتعلم على اثبات النون التي سمعها في كتاباته. ومثال ذلك كلمات من قبيل "كتابٌ" التي يكتبها "*كتابن" و"مدرسة" التي يكتبها هكذا "*مدرستن". كذلك الأمر في اسم الإشارة "ذلك" الذي يكتبه المتعلم هكذا "*ذالك"، الشيء نفسه في "هذان" التي يكتبها "*هاذان". والاسم الموصول "اللذين" الذي يدل على المثنى، الذي قد يكتبه المتعلم هكذا "الذين" التي تدل على الجمع. ومن أمثلة ما يكتب ولا ينطق كلمات من قبيل "ازدهر" و"اضطرب" و"انصرف" لأن العربية لا تبتدأ بساكن فيكتبها المتعلم كما تنطق "*زدهر" و"*ضطرب" و"نصرف".

أ. الخلط بين النكرة والمعرفة كأن يقوم بتعريف ما حقه التنكير ومن أمثلة ذلك أن يكتب "البيت الكبير" وهو يريد "البيت كبير" فتنتقل دلالة الكلمة من الخبر إلى الصفة.

٣,٤. التداخل الصرفي morphological transfer

يختلف صرف اللغة العربية عن صرف اللغات الأوروبية (الفرنسية أو الإنجليزية مثلا)، فالصرف العربي صرف سلسلي concatenative [§§§§§§§§§] وغير سلسلي nonconcatenative[**********]، بينما هو سلسلي– في غالب الأحيان– في هذه اللغات. لذلك نتوقع من هذا الاختلاف أن يلعب دورا في تغير الدلالة من (ل١) إلى (ل٢). لذلك فسيتم التطرق إلى جانبين الأول تدخل اللغة الأولى في اللغة العربية والثاني متعلق بعدم التمكن الجيد للمتعلم من اللغة العربية الأمر الذي يؤدي به إلى تداخلات داخل العربية نفسها.

١,٣,٤. تداخل صرفي ناتج عن تدخل اللغة الأولى للمتعلم

المتعارف عليه هو أن الصرف في اللغة العربية ليس كغيره في باقي اللغات. وهذا الاختلاف قد يسبب في تدخل هذا الجانب أثناء التعبير الكتابي أو الشفوي للمتعلمين، ويظهر ذلك في اشتقاق مقولتي العدد (المثنى والجمع) والجنس.

[§§§§§§§§§] الصرف السلسلي أو السالم هو الذي ذلك النوع من الصرف الذي يتم عن طرق الاحتفاظ بالجذر كما هو وإضافة السوابق أو اللواحق.

[**********] الصرف غير السلسلي هو ذلك النوع من الصرف القائم على تكسير بنية الكلمة وإعادة تشكيلها.

٤,٣,١,١. اشتقاق مقولة العدد

يتم اشتقاق الجمع والمثنى الذي يعبر عنه بالجمع أيضا بإلصاق اللاحقة (s) والسابقة (les) أو (des) بجذر الكلمة المفردة كما في (١٤.أ، وب). أو إبدال أواخر الكلمة المفردة بلاحقة مثل (aux) كما في (١٤.ج) وذلك ما تدل عليه القاعدة(††††††††††)في اللغة الفرنسية.

١٤.أ) un homme des homme(s)

ب) une femme des femme(s)

ج) des chev(aux) / un chev(al)

أما في الانجليزية فمن خلال إضافة اللاحقة(s) أو السوابق (many, match, few..) فهي أسوار "quantifiers" تستعمل للدلالة –في الجمع دائما– على الكثرة أو القلة، ولا تسقط اللاحقة (s) كما في (١٦.ب) و(١٦.ج) وهو ما يعبر عنه في العربية بصيغ من قبيل "أَفْعُلٌ" "فُعُولٌ" في جمع القلة والكثرة في العربية إلا أن هذه الصيغ أو المحددات منصهرة في الكلمة في العربية كما في (١٥.أ و.ب)، بينما هي ظاهرة ومعزولة كما في (١٦.ب.ج).

١٥.أ) طاقم / أطقم [أَفْعُلٌ] . ب) نجمة / نجوم [فُعُولٌ]

---

†††††††††† القاعدة في الفرنسية تقول

Pour obtenir le pluriel d'un mot en français : on ajoute généralement (S) à la plupart des mots ; sauf si il se termine par (AL) à savoir : cheval qui devient chevaux ou (il) comme vieil qui devient vieux

١٦.أ) friend / friends . ب) friend / many friends

ج.) friend / few friends (‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡)

لكن الأمور تختلف في العربية عما هي عليه في الفرنسية والانجليزية، لأن العربية تمزج بين الصرف السلسلي (مسلم/مسلمون/مسلمين- صحفي/صحفيون/صحفيين)، والصرف غير السلسلي(كتاب/كتاب- نبيل/نبلاء-قاض/قضاة) وهذا ما قد يؤدي بالمتعلم الأجنبي إلى نقل قاعدة الإلحاق الموجودة في لغته وتطبيقها على العربية (كتاب/كاتبون).

٢,١,٣,٤. اشتقاق مقولة الجنس (التذكير والتأنيث)

تختلف سمتا التذكير والتأنيث بين العربية وغيرها من اللغات الأوروبية. فما يذكر في العربية قد يؤنث في اللغات الأخرى، ويؤنث فيها قد يذكر في غيرها، والجدول أسفله يوضح بعض الأمثلة بين العربية والفرنسية والإنجليزية

جدول رقم 1: يوضح الفرق في التأنيث والتذكير بين العربية والفرنسية والإنجليزية

العربية	الانجليزية	الفرنسية
قمر	Moon	La lune
باب	Door	La porte

‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡ مع التأكيد دائما على أن النماذج التحليلية المذكورة أعلاه تتساوق مع القاعدة العامة لاشتقاق مقولة العدد من الانجليزية. وعدم الدخول في الحالات الشاذة التي يتعين على المتعلم حفظها عن ظهر قلب.

La chaise	Chair	كرسي.
La classe	Classroom	قاعة

يتبين من خلال ما تقدم أن اختلاف خصائص المستوى الصرفي بين العربية واللغات الأوروبية؛ يؤدي إلى اختلاف دلالة الكلمات عند الانتقال من (ل١) إلى (ل٢). ذلك أن آليات اشتغال التوليد الاشتقاقي ليست بالطريقة نفسها في العربية والانجليزية أو الفرنسية، مثلا، ولذلك وجب على المتعلم أثناء القيام بالنقل من (ل١) إلى (ل٢) استحضار الخصائص الصرفية بين اللغتين؛ لنقل المتشابه منها، وتعويض ما يختلف بالقرائن اللفظية التي تناسب الدلالة المرجوة في هذا المقام التخاطبي أو ذاك.

٢,٣,٤. تداخل صرفي ناتج عن عدم التمكن من اللغة العربية

قد يحدث أن يقوم المتعلم بتعميم بعض الظواهر الصرفية من داخل اللغة العربية نفسها وذلك بموجب ما تمت الإشارة إليه في محور عوامل التداخل كـ"ضعف الرقيب" و"اتقان ل١ ول٢" ويحصل ذلك على المستويات التالية:

ب. عدم التمييز بين الصيغ الصرفية المتشابهة في الجذر. مثل الخلط بين المصدر والفعل مثل خرج" و"خروج"، وبين اسم الفاعل وصيغة المبالغة مثل "مراقب" و"رقيب"، والخلط بين الفعل واسم الفاعل "ضرب" و"ضارب".

ت. عدم التمكن من استخدام حروف المضارعة بحسب التطابق مثل "*الولد تلعب الكرة "عوض "الولد يلعب الكرة"

ث. عدم التمكن من الاستعمال الوظيفي للأزمنة (الماضي، والمضارع، والأمر). بين الماضي والمضارع مثلا "*يصل الأب البارحة" عوض "وصل الأب البارحة".

ج. اشتقاق بعض الصيغ الصرفية بطريقة غير صحيحة. كأن يشتق "*ضريب" من فعل ضرب وهو اسم الفاعل "ضارب"

ح. عدم التطابق بين الضمير وما يعود عليه. ومن أمثلة ذلك "*رأيت الأستاذة الذي أحترمه "و"*جاء الرجل الذي أعرفها"

خ. عدم التمييز بين أسماء الإشارة والتذكير والتأنيث. ومثال ذلك "*هذا بقرة" و"*هذه خروف".

د. التعميم في اشتقاق جموع التكسير[§§§§§§§§§§] يبين أمثلة ذلك "قلب" التي جمعها "قلوب" وينقلها بكيفية غير صحيحة فيشتق "*كلوب" من "كلب". وعمود" التي جمعها أعمدة ينقلها ليشتق "*أخرفة" من "خروف"

ذ. صياغة جمع المذكر السالم من كلمات لا تقبل هذا الجمع ومن أمثلة ذلك" كاتب" التي يكتبها في الجمع "*كاتبون" و"قاضي "التي يجعلها "*قاضيون" و"نبيل" التي يجعلها "*نبيلون".

ر. صياغة جمع المؤنث السالم من كلمات لا تقبل هذا الجمع مثل "*قصات" من المفرد "قصة" و "*يدات" من "يد"

[§§§§§§§§§§] قد يحدث هذا الأمر بموجب مقابلة اللاواحق في اللغات العربية بـ "ون" وين" في العربية كما قد يحدث بموجب تعميم اشتقاق الجمع وعدم التمييز بين الجمع السالم وجمع التكسير لذلك كررته.

٤,٤. التداخل النحوي

يتجلى هذا النوع من التداخل في انحراف المتعلم عن القواع النحوية الضابطة للاستعمال اللغوي في اللغة العربية. وقد يحدث هذا النوع من التداخل كنتيجة لمجموعة من التداخلات الأخرى التي تحدث على مستويات صوتية أو صرفية مثلا. ويمكن بيان تجليات هذا التداخل في القضايا التالية:

أ. عدم مراعاة المتعلم لأحكام المطابقة بين العدد والمعدود، مثل (* أربع رجال، عوض، أربعة رجال) و(*اثنتا عشر كرة، عوض، اثنتا عشرة كرة).

ب. عدم التطابق بين الصفة والموصوف، مثل (*رجل الطويل، عوض، الرجل الطويل)

ت. عدم ضبط المطابقة بين الضمير وما يعود عليه، مثل (*خَرَجَهُ، عوض، خرَّجَهُ)

ث. الخلط بين الفعل اللازم والمتعدي، مثل (* كَتَبَ الطالب، عوض، كَتَبَ الطَالِبُ الرسالة)

ج. عدم ضبط حالات المثنى في حالات الرفع والنصب والجر، مثل (* جَاءَ الوَلَدَيْنِ، عوض جَاءَ الوَلَدَانِ)

ح. عدم ضبط جمع المذكر السالم في حالات الرفع والنصب والجر، مثل، (* عَرَفْتُ المُسْلِمُونَ، عوض، عَرَفْتُ المُسْلِمِينَ)

خ. إثبات نون المثنى في حالة الإضافة، مثل (* رأيت ابنتان عمي، عوض، رأيت ابنتا عمي) أو (* سَلَّمْتُ عَلَى ابْنَانِ جَارَتِنَا، عوض، سَلَّمْتُ عَلَى ابْنَيْ جَارَتِنَا)

د. إثبات نون جمع المذكر في حالة الإضافة، مثل (* مَرَرْتُ بِمُسْلِمُونَ أمريكا، عوض، مَرَرْتُ بِمُسْلِمِي أمريكا)

٥,٤. التداخل التركيبي

يمكن التمثيل لهذا النوع من التدخل بقضية العلاقة الإسنادية، وهي من القضايا التي تختلف بين العربية وغيرها من اللغات. لذلك نتوقع أن يكون ذلك سببا في حدوث تدخلات أو نقولات دلالية من (ل١) الانجليزية أو الفرنسية إلى (ل٢) العربية في هذه الحالة.

يظهر ذلك من خلال اختلاف اشتغال الاسم الموصول، مثلا، بين العربية والانجليزية. ففي الإنجليزية يمكن أن يأتي الاسم الموصول بعد النكرة. في حين لا يجوز ذلك في العربية. لذلك نتوقع من الإنجليزي الذي يتعلم العربية أن ينتج جملا لاحنة من قبيل (٢٠):

٢٠)*شاهدت طالبا الذي نجح.

متأثرا في ذلك بنسق لغته الأم كما في (٢١).

٢١) I saw the student who succeeded

الملاحظ من المثالين أعلاه أن اختلاف اللغتين في التصريح بالعلامة التي تربط ما بين المسند والمسند إليه أدى إلى خلط لدى المتعلم فَنَقَل ما في الانجليزية (التصريح بعلامة الربط) إلى العربية (التي لا تصرح بعلامة

الربط في حالة الإسناد). إذ يتم في العربية الاكتفاء بإنشاء علامة ذهنية بين المسند والمسند إليه، في حين تحتاج الانجليزية بالضرورة إلى القرينة اللفظية المتمثلة عندهم في (verb to be). ومن أمثلة ذلك أيضا:

٢٢) *اليوم هو مشمس.

المترجمة حرفيا من (٢٣).

٢٣) today is sunny

أو أن يقول "*إنه مُشْمِسٌ يوم" على صيغة " It's sunny, today"

كما أنهما أيضا تختلفان في التركيب الإضافي، فالإنجليزية مثلا تستعمل (of) بين المتضايفين كما في (٢٤)، أو أن يأتي المضاف إليه متبوعا ب(s) الدالة على الملكية، ثم يأتي المضاف في الأخير كما في (٢٥).

٢٤) the phone of hamza

٢٥) hamza's phone

والشيء نفسه بالنسبة للفرنسية التي تجعل (de) بين المضاف والمضاف إليه كما في (٢٦)، أو ما يشتق منها كما في (٢٧).

٢٦) le téléphone de hamza

٢٧) la didactiques des langues étrangères

كذلك الأمر بين الصفة والموصوف ففي العربية يتقدم الموصوف الصفة كما في (٢٨) أما في الانجليزية فيتأخر الموصوف عن صفته كما في (٢٩).

٢٨) صبورة سوداء.

٢٩) black board

يستفاد مما تقدم أن المستوى التركيبي (العلاقة بين المسند والمسند إليه على وجه الخصوص) يلعب دورا في تبدل الدلالة أو لحنها بين الانجليزية والعربية(***********)، ومرد ذلك إلى اختلاف البنية الإسنادية بين اللغتين(†††††††††††)

٦,٤. التداخل الدلالي الثقافي

*********** لمزيد من التفصيل. انظر. العمري، نادية. (٢٠٠٨). ص١٢٦ وما بعدها.

††††††††††† أود الإشارة هنا إلى أن الرتبة يمكن أن تكون نفسها في بعض اللغات مثل الألمانية والانجليزية إلى أن المعنى قد يختلف فالنقل اللغوي يمكن أن يحدث أيضا على مستوى فهم الأفراد ل:(الأدوار الدلالية والمحورية) فاللغتين الألمانية والإنجليزية مثلا تتوفران على نفس الرتبة(س س ف)(NNV).لكن هذه الرتبة تقدم بطريقة مختلفة بين اللغتين.

لنأخذ المثال التالي: البنت التي قبلت المرأة، هي بلوند.

المثال باللغة الألمانية؛ هو كالتالي:

German example: Das Mädchen, das die Frau küsst, ist blond

ومن خلال الترجمة الحرفية لهذا المثال الألماني، نحصل عليه في الإنجليزية كالتالي:

English example: The girl, that the woman is kissing, is blonde.

المثال اختلف بين اللغتين الألمانية والإنجليزية، ففي الألمانية يمكن لدور الفاعل (the subject role) أن يأخذ من قبل كل من الفتاة(Das Mädchen) أو المرأة (Die frau). بينما في الإنجليزية فقط الإسم الثاني من الجملة (المرأة/the woman) يمكن أن يأخذ =دور الفاعل. باختصار المثال الألماني تركيبي لأنه بالإمكان أن تكون البنت أو المرأة التي قامت بالقبلة، بينما في الإنجليزية الذي أعطى القبلة لا يمكن أن يكون إلا المرأة. وبالتالي فقد يؤدي هذا إلى لبس دلالي لدى المتخاطبين في معرفة الفاعل من المفعول بين اللغتين. الصيغة باللغة الانجليزية موجودة على الرابط التالي: https://en.wikipedia.org/wiki/Language_transfer

يقوم اكتساب النظام الدلالي للغة الأولى على امتلاك المتكلم القدرة الفطرية على فهم الجمل من خلال حدسه اللغوي الذي يتأسس وفقا للمواضعات الدلالية التي تقرها هذه العشيرة اللغوية أو تلك والتي تستجيب للثقافة الحاضنة للغة المراد تعلمها. لذلك نتوقع من متعلم اللغة العربية باعتبارها (ل٢) أن يقوم بنقل الخصائص الثقافية التي تتميز بها لغته وإسقاطها على انتاجاته في اللغة العربية فيخرج بذلك عن المعنى المراد. فكيف تؤثر هذه العوامل الناتجة، أساسا، عن تبدل المعطيات الثقافية في تغير الدلالة؟ وبالتالي ما تأثيرها في تعليم وتعلم اللغة العربية باعتبارها (ل٢)؟ للجواب على هذا السؤال سيركز هذا المحور –باعتبار الأهمية التي يحظى بها داخل البحث– على محورين. الأول متعلق بتأثير اختلاف الثقافات على اختلاف المعنى بين اللغات. والثاني متعلق بالترجمة الحرفية للتعابير الاصطلاحية والمقولات الثقافية على تعتبر تغير الدلالة من لغة إلى أخرى.

١,٦,٤.المعنى والثقافة

ترتبط دلالات الكلمات والعبارات، كما سبقت الإشارة، بعوامل أخرى خارج مقال القول. فلا يكفي من أجل تعلم دلالات الوحدات المعجمية الاكتفاء بحفظ دلالة كل منها على حدة وتخزينها من أجل استرجاعها في مواقف تواصلية مشابهة. بل ينبغي التنبُه للمعطيات الثقافية التي أُنتِجت العبارات اللغوية من داخلها. ويمكن بيان ذلك من خلال الفروق الدلالية بين

العربية ولغات أخرى. في الانجليزية، مثلا، قد يعبر المتكلم، مجازا، عن الانشراح والارتياح لسماع خبر ما بقوله:

٣٠) هذا الخبر أدفأ صدري .This is a heart warming news

بينما يتم التعبير عنه من طرف متكلم العربية(‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡)بجملة من قبيل:

٣١) هذا الخبر أثلج صدري.

يعود الاختلاف بين الكلمتين أدفأ كما في (٣٠) وأثلج كما في (٣١) إلى اختلاف المناخ والأحوال الجوية في البيئتين العربية والأوروبية. فالمناخ الصحراوي والحار الذي تتميز به البيئة العربية، في أغلب الأحيان، يجعل أهلها تواقين إلى البرودة. الأمر الذي جعل المتكلم في (٢) يستعمل (أثلج) لما توفره من تساوق مع ما تتطلبه البيئة المنتجة، والشيء نفسه بالنسبة للمتكلم الأوروبي في(١). وهو ما يؤكده البيت الشعري المعروف لشكسبير" Shall I compare thee to a summer’ s day" الذي يريد به التغزل وتشبيه محبوبته بيوم صيفي مشمس جميل. وترجمته إلى العربية لا تؤدي نفس المعنى المراد في الانجليزية، بل ربما العكس إذ قد يدل على التقبيح والنفور.

لذلك فقد يحدث أن ينقل متعلم غير ناطق بالعربية العبارتين المذكورتين إلى البيئة العربية، وبالتالي فلن تحقق في المستمع مثل الذي تحققه في بيئتها الأوروبية.

‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡ الذي يعيش في بيئة عربية.

هذا المشكل الدلالي ناتج عن اختلاف الطاقة التعبيرية بين اللغات، وعن مدى انصهار العناصر الثقافية في المكونات اللغوية. ومدى استجابة "الجهاز الاصطلاحي/المفرداتي" الذي توفره لغة ما (أو الذي يجب أن توفره) في التعبير عن مقوماتها الثقافية، وربما الهوياتية حتى. كما أن اتساع وضيق "الهالة الدلالية"[§§§§§§§§§§§] للمفردات والتعابير بين اللغات يلعب دورا كبيرا في تبدل الدلالة من (ل١) إلى (ل٢). فالوحدات المعجمية تحتوي على معاني تعتبر جزءا من صورتها المعجمية أو اللغوية، كما هو الحال في حقل "الحيوانات" وحقل "الألوان". فكلمة "بُومَةٌ" التي تدل في معناها الأصلي اللغوي على أنثى طائر البوم تختلف دلالتها بين الثقافات، فهي رمز "للحكمة" عند الثقافات الغربية. بينما هي رمز "للشؤم" و"الشعوذة" في الثقافة العربية. كما أن دلالات الألوان تختلف من الدلالة على الحزن والمرض واليأس، إلى الدلالة على الفرح والبهجة والتفاؤل. وذلك ناتج عن إدماج الدلالية المعجمية أو اللغوية للكلمة في قوالب تعبيرية جديدة/استعارية، فهي لا تخرج بعد الاستعمال فيها "سالمة" بل يتبقى فيها من ذلك المعنى الوظيفي المستعار معنى ينضاف إلى المعنى الأولي اللغوي أو النووي، ليصبح لصيق الذكر به لدى المتكلم. إذا استعمله العربي في وصف شخص ما أراد به الدلالة على النُفُورِ والاشمئْزَازِ والتقبيح. بينما يريد الإنجليزي من خلاله

[§§§§§§§§§§§] أقصد بالهالة الدلالية حجم المعاني–سواء اللغوية أو المجازية– التي تثيرها الكلمات/التعابير من لغة إلى أخرى.

التعبير عن الاحترام، والحكمة، والصدق، والخصال الحميدة التي يتمتع بها الشخص الموصوف.

يبدو واضحا أن معنى الكلمة لا يدل على الشيء نفسه في جميع الثقافات الأمر الذي يكسب الكلمة معنى مختلف عما هي عليه في ثقافة اللغة الأخرى(************).

لذلك وبمنطق استنتاجي يمكن القول على أن الثقافة تلعب دورا رئيسا في تحديد معنى الكلمات والعبارات. ولذلك وجب أخذها بعين الاعتبار أثناء النقل من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف. وبالتالي أثناء تعليم وتعلم اللغات- سواء كانت أولى أو ثانية-، فالمعجم الذهني للمتعلم يتكون من الثروة المفرداتية المخزنة من لغته، أو اللغة المتعَلَّمة، لكن الاستعمال السياقي والثقافي للوحدات المعجمية هو الذي يحدد درجة تمكن المتعلم من اللغة. وليس حجم الوحدات المعجمية التي يحفظها فحسب. أي أن المعجم لا يمكنه الاشتغال بشكل سليم ومقبول إلا بتوجيه أو رقابة من البيئة الثقافية التي تعمل على توجيه دلالات الكلمات والتعابير المنتجة، وتصبغها بمعاني خاصة قد لا تفهم في أي سياق ثقافي آخر. واللغة بذلك نتاج ثقافي تراكمي، يمر من جيل إلى جيل، لأن الثقافة تُصْهِرُ مَعان خاصة في تعابير اللغة

************ للمزيد من التفصيل حول الموضوع انظر. بنكراد، سعيد(٢٠٠٦).

التي تحتضنها، ليكون كل تعبير لغوي يستخدمه أهل اللغة "حاضنا" لثقافتهم(††††††††††††)، وإضافة للمعنى المعجمي اللغوي.

في نهاية البحث يمكن القول بصحة الفرضية وإمكانية الاحتفاظ بها في الحدود الزمانية والمكانية والموضوعية لعينة الدراسة. وذلك لما أكدته نتائج وصف وتحليل الأخطاء الكتابية المرتكبة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها. والتي تضمنت إجاباتٍ عن مجموعة من الأسئلة مذيلة بتعبير كتابي كان موضوعه أن يصف المتعلم تجربته السابقة في تعلم اللغة العربية، فتبين أن التداخلات اللغوية بأنواعها، لا تنتج دائما، عن تدخل لغاتهم الأولى في اللغة العربية وفقط. بل يكون مَرَدٌّ نسبة مهمة منها إلى التعميمات الزائدة والقياسات الخاطئة التي يقوم بها المتعلم، والناتجة أساسا من عدم تمكنه من اللغة العربية نفسها.

من بين ما تُوُصِّلَ إليه أيضا –بعد عقد المقارنات اللازمة– أن التدخل على المستوى الصرفي هو أكثر أشكال التدخل شيوعا، يليه التدخل النحوي، ثم التدخل الصوتي، ثم التدخل الإملائي رابعا، فالتدخل التركيبي بأقل نسبة من الأخطاء المرتكبة.

†††††††††††† والمراد بالثقافة هنا :ذلك الجزء الأساس من النظام اللغوي سواء في اللغة الأم أم اللغة الهدف، الذي يتشكل في كل لغة كانعكاس لمكوناتها الثقافية وهي" :العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية والمعتقدات والفن والأدب التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع

المصادر والمراجع

- الإطار العربي الموحد لقياس الكفاية اللغوية في اللغة العربية للناطقين بغيرها. (٢٠١٣). مشروع النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تونس.
- الخلوفي، فاطمة. (٢٠١٥). الاستراتيجيات الميتامعرفية وتعلم اللغات. في منشورات التدريس. كلية علوم التربية. أشغال الندوة رقم٦. بعنوان: استراتيجيات التعلم؛ المرافقة المنهجية والدافعية. مطبعة كانا بريت. ص.ص ٥-١٣.
- الخولي، محمد علي. (١٩٨٧). الحياة مع لغتين، الثنائية اللغوية. دار الفلاح للنشر والتوزيع. الأردن.
- الخياري، محمد (٢٠٠٢). منهاج تعليم اللغة العربية والثقافة المغربية لأبناء الجالية المغربية بالخارج. مجلة التدريس. العدد١٠. ص .ص٧٥-٨٦.
- - زكرياء، ميشال. (١٩٨٣). مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- زيدان، محمود فهمي. (١٩٨٥). في فلسفة اللغة. دار النهضة.
- العمري، فاطمة. (٢٠١٤). معلم العربية بين القابلية والتمكن في ضوء علم اللغة التطبيقي. في كتاب. الأنساق الثقافية في تعليم اللغة العربية. ضمن أعمال المؤتمر الدولي الأول لتعليم العربية. مركز اللغات. الجامعة الأردنية.

- العمري، نادية. (٢٠٠٨). تركيب الصفات في اللغة العربية دراسة جديدة مقارنة. دار توبقال للنشر. الطبعة الأولى.
- العمري، نادية. (٢٠١٢). اللسان العربي في التربية والتعليم في ظل العولمة. في مجلة الدراسات اللغوية. العدد الثامن. قسنطينة الجزائر. ص. ص. ٢٦٥-٢٨٣.
- العمري، نادية. (٢٠١٣). المقاربة التربوية لإشكال تعليم اللغة العربية. في منشورات كلية اللغة العربية مراكش. سلسلة أعمال المؤتمرات والندوات. ص.ص.١٩٢-٢١٢.
- الفاسي الفهري، عبد القادر. (١٩٩٠). البناء الموازي؛ نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة.
- كما، نونجلكسانا. (٢٠٠٧). استراتيجيات تعلم اللغة وعلاقتها بالأخطاء اللغوية لمتعلمي العربية في الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا: دراسة تحليلية. أطروحة دكتوراه غير منشورة. الجامعة الإسلامية ماليزيا. عن الخوالدة، محمد علي. (٢٠١٥). استراتيجيات تعلم اللغة العربية لدى الطلبة الماليزين في جامعة اليرموك وعلاقتها بمتغيري التخصص والجنس. المجلة الأردنية في العلوم التربوية. مجلد ١١.ع٢. ص. ص١٦٩-١٨٦.

باللغات الأجنبية:

- Baljit, B. (1999). Native Language interference in Learning a Second Language; Explotary Case Studies of native Language interferences with Target language Usage. Flindres University School of Education. Pp .22-31. In international Education Journal Vol1,N01. http://iej.cjb.net.
- Bannert, R. (2005). Phonological Interferences in The Third Language Learning of Swedish and German (FIST). Departement of philosophy and linguistics. Umea University. P.75. In procedings; FONETIK. Departement of Linguistics. Goteborg University.
- Chomsky, N. (1981). Government and Binding Theory.
- Debyser, F. (1970). La linguistique Contrastive et les interférences. Langue Français. Vol. pp31-61.
- Krashen, D, S. (1984)
- O'Malley, J. M. and Chamot, U,A. (1990). Learning Strategies in Second Language Acquisition. CAMBRIDGE University press.
- Oxford, R. (1990b). Language learning strategies; What every teacher should know. Boston. Heinle and Heinle
- Paradis, J (N.D). Second Language Acquisition In Childhood. In Handbook of Language Development. WORD Count 9,038.
- Richards, J .and Richard, S. (2010). Longman dictionary of language teaching and applied linguistics. 4th edition. Pearson Education. P331.

- Rondal, J. A (N.D). le développement du langage oral. Laboratoire de Psycholinguistique. Université de Liège. B32. SART TILMAN. 4000 LIEGE. Belgique
- Susan, M. and Alison, M. (2014). the Routledge Handbook of second Language Acquistion. Printed and bound in Great Britain by Tj international Ltd. Padstow. Cornwall.
- Suwanarak, k. (2012). English Language Learning beliefs; learning strategies and achievement of Master Students in Thailand. TESOL in context. s3.1-15.
- Vergas, C. (1999). Sociolinguistique et didactique de la langue première. In ; Skohlé, hors-série. pp.1-6.